سمير فراج

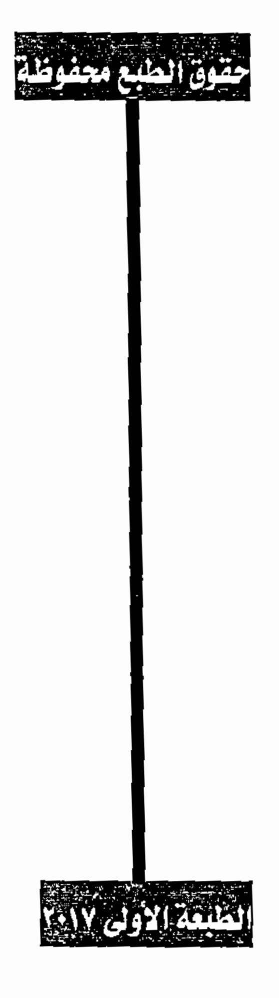
ابن الشاطئ

الأستاذ أنيس منصور

الفيلسوف.. الصحفي .. الأديب .. الإنسان



بطاقة فهرسة



مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : أنيس منصور

اسم المؤلف: سمير فراج «ابن الشاطئ»

رقم الايداع ٢٠١٧/١٤٧٩٥

الترقيم الدولى / ٣-١١-٠-٨٣٤-٩٧٧-٩٧٨



القاهرة: ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

[illegible]

www.gwbook.net

E-mail:tokoboko_5@yahoo.com

الإهداء

إلى

روح كاتبنا الكبير
الراحل
الأستاذ أنيس منصور

مع كل الحب والاحترام والإعزاز

المؤلف

سمير فراج

ابن الشاطئ

مقدمة الكتاب للمؤلف

هذا الكتاب يكتبه «دمياطي» ملقب بابن الشاطئ ، نسبة إلى شاطئ دمياط.. ومن قبله كانت بنت الشاطئ الدمياطية أيضًا.. وهو كتاب عامر بمائدة من الوفاء عليها كل قطوف أو أغلب ما قيل فى الكاتب الكبير الراحل أنيس منصور وهو يستحقه ، بل ويزيد – ثم إن القطوف هى محاولات رصد بكل الوفاء والاحترام لهذا الفيلسوف الأديب أو الأديب الفيلسوف أو الصحافى فى الأديب أو الأديب الفيلسوف أو المفكر والأديب والصحفى الفيلسوف.

وعندما أكتب هنا أن هذا الكتاب يكتبه أحد أبناء دمياط بكل الوفاء العظيم للعظيم الراحل العزيز أنيس منصور وقيمته ومكانته ، فعلى القارئ العزيز أيضًا أن يدرك مقصدى من ذلك ؛ لأن دمياط كما ذكرها أنيس منصور على مدار حياته فى كل المجالات التى ذكرتها هى العدو الرئيسى له فى الحياة، وذكر ذلك كثيرًا كثيرًا فى الحياة ، وأعلن أنه زار العالم كله بجميع مدنه ، ولم يزر هذه المدينة التى تسمى دمياط عن قصد ومع سبق الإصرار.. وزاد من هذا الكلام، وهذا المعنى بأن قال بكل حسم: لن أزور دمياط أبدًا رغم صداقاتى المقصورة مع البعض من أبنائها مثل حمدى عاشور محافظها الأسبق، والذين فشلوا فى إقصائى عن رأيى بأن دمياط لن أزورها ، ولكن الكاتب الكبير لم يشرح علنًا لماذا يكره دمياط هذه المدينة الفاضلة التى تجاور مدينته ابنة العم «المنصورة»؟! وأوضحه لى عندما قابلته فى احتفال مؤسسة الزهراء للإعلام العربى ، وكنت أشغل منصب مدير الإعلام أو العلاقات العامة بها بمناسبة افتتاح دار النشر الوليدة الجديدة بها ، وأمام كل الضيوف الذين حضروا الافتتاح من المثقفين والكتاب والأدباء الكبار ، ومنهم : السيد فتحى رضوان الوزير الأسبق ، والدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة الأسبق ، وبالطبع كان موجودًا الكاتب الكبير أنيس منصور .

وفى جلسة سبقت الافتتاح أشار الراحل العزيز الأستاذ أحمد رائف رئيس مجلس إدارة الزهراء للإعلام العربى ، وصاحب الدعوة إلى مقالات الأستاذ أنيس منصور المستمرة فى الأهرام وغيرها بأن دمياط هى المدينة الوحيدة فى العالم التى لم يزرها فى حياته وأسباب ذلك..!

وهنا لم يتركه الكاتب الكبير أنيس منصور يكمل حديثه ، فقال له على الفور: ولن أزورها على الإطلاق..! وضحك الكثيرون على هذا التصدى السريع للأستاذ أحمد رائف برفضه زيارة دمياط!

وعرف الكاتب العزيز الأستاذ أنيس منصور بأننى دمياطى حتى النخاع، ومن عائلة يعتبر جدودها أصل دمياط ، فابتسم لى ، وقال: سأخبرك لماذا لم أزر دمياط ، بصراحة الموقف هنا يتعلق بـ «أمي» رحمها الله، فقد تألمت كثيرًا من حكم صدر ضدها على ما أعتقد خاص بأملاك تخصنا لعائلة ، وأدى ذلك إلى توترها حتى داهمها المرض، وانتقلت عقبه إلى الرفيق الأعلى ، أى أن دمياط كانت سببًا فى موت أمي..!

وهذه مسألة نفسية خاصة بى لن أنساها أبدًا ، وضحك الأستاذ فتحى رضوان ، وقال معلقًا: يعنى لو كان الحكم فى صالحكم كنت ذهبت لدمياط؟ وأعقبه وزير الثقافة فى ذلك الوقت الدكتور أحمد هيكل معلقًا أيضًا: هل نسيت أن دمياط هى مدينة الشعراء والأدباء والفلاسفة مثل : طاهر أبو فاشا ، والفيلسوف زكى نجيب محمود ، وعبد الرحمن بدوى ، وبنت الشاطئ!! فقال أنيس منصور: كل هؤلاء فوق رأسي.. لكن المسألة هى أساسًا مسألة نفسية، كما أوضحت ليس إلا.

وتحولت الجلسة إلى صالون أدبى يناقش قضية متهم فيها أنيس منصور بأنه يعاقب مدينة لم ترتكب شيئًا ضده.. وما ذنبها فى حكم صدر من محكمة عادلة ، ومرة أخرى يتدخل الكاتب الكبير الطيب القلب أنيس منصور ، ويعلن أمامى لدمياطى بصفة خاصة.. أنا لم أحمل فى نفسى أى شيء لدمياط.. ولكن هى نفسى التى تأبى زيارة مدينة ماتت فيها أمى بسبب حكم لم تتوقعه! وهنا قلت

للأستاذ أنيس منصور : هل توافقنى أن أوجه الدعوة لسيادتكم مرة أخرى لزيارة دمياط، وتنزل ضيفًا على عائلتى كلها ، لترى وتسمع بنفسك اعتزاز دمياط كلها بأنيس منصور ؟!

فقال أنيس منصور على الفور وهو يضحك: كان غيرك أشطر.. فقد تلقيت هذه الدعوة من صديقى العزيز ، واعتذرت عن قبولها..!

وكانت روح المسامرة فى الواقع هى السائدة الواضحة ، ونهضنا جميعًا لنذهب لمكان الاحتفال التى خصصته الزهراء للإعلام العربى بمناسبة إنشاء دار النشر الكبرى بها.. والتى حرص أيضًا الأستاذ الناشر الكبير محمد المعلم على حضورها رحمه الله ، وكذلك نجله الأكبر الأستاذ إبراهيم المعلم متعه الله بالصحة والعافية ، ومرت السنوات ، وإذا بى وجهًا لوجه فى حفل آخر للزهراء للإعلام العربى فى هيلتون القاهرة بمناسبة احتفال الزهراء بأحد شعراء المملكة العربية السعودية أمام الأستاذ أنيس منصور أحد أقطاب الأدب والفلسفة والصحافة ضمن ضيوف المناسبة الكبيرة ، وداعبته قائلًا: هل تتذكرني؟!

وعلى الفور قال: أيوه طبعًا «الدمياطى المخلص» ، وكان جالسًا الشاعر الدمياطى الكبير الأستاذ فاروق شوشة ، فأشار إليه ، وقال مبتسمًا: أنت وهذا الشاعر الرقيق .

الجريمة التى ارتكبها أنيس منصور..!!

وقبل وفاة الكاتب الكبير العزيز الأستاذ أنيس منصور بعامين تقريبًا.. فوجئنا «بمواقف» الأهرام ، وفيه كتاب أستاذنا أنيس منصور يقول بالنص: وأعتذر لأمى على هذه الزيارة التى قمت بها أخيرًا لدمياط..!؟!

أعتذر لك يا أمى عن جريمتى التى ارتكبتها فى حقك بزيارة دمياط..!

ورغم إشادته بطبيعة الناس فى دمياط ، وأنهم يعملون بجد واجتهاد وبكل الحرص الدءوب على الوقت.. إلا أنه يقول: وعزمونى ، وضعفت أمام رغبة

بعض أصدقائى ، وذهبت لدمياط ، وتناولت فيها «السمك الأسود» الذى كاد أن يقتلع منى الحياة!

وعلى أثر ذلك ذهبت لصديقى الطبيب «فلان» بالجهاز الهضمى بالمنصورة ، الذى أنقذنى ، وأنقذ حياتى بعد تناولى لهذا السمك الأسود..!

وذهلنا فى دمياط.. لهذا الحد يكره هذا الكاتب الكبير ابن العم مدينة كدمياط يلقبونها بالمدينة الفاضلة ، ويقول عن أحلى أكلة فيها وهى «السمك المشوي» أنه هذا السمك الأسود..!

وبهذه المناسبة أذكر أن الأستاذ جلال الدين الحمامصى الكاتب الدمياطى الكبير كان يطلب منى عندما يرانى ويعرف أننى ذاهب لدمياط أن أحضر له فى القاهرة هذا السمك المشوى «فى علبة الأحذية الشهيرة» ، وكان الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا يطلب منى نفس الطلب ومعه الفجل والجرجير..!

هذا هو السمك الأسود الذى كان يطلبه بحب وبمزاج خاص أبناء دمياط المشاهير فى القاهرة .. ويعتبره الكاتب أنيس منصور شيئًا آخر كاد أن يدمره..!

إذن المسألة فى الواقع هى حالة نفسية بالفعل ، عاش بها كاتبنا الكبير أنيس منصور طوال حياته ، ولم يتخلص منها بقبوله على مضض زيارة دمياط، بل وصف زيارته لدمياط بأنها جريمة ارتكبها فى حق أمه ، وطلب منها رحمها الله أن تسامحه على ذلك..!

من أجل ذلك أضع أمام القراء الأعزاء قطوفًا من تاريخ هذه المدينة المصرية التاريخية الفاضلة «دمياط» ، فدمياط هى مسقط رأس المؤلف، ومسرح طفولته وصباه ورفات آبائه ، وتراب أجداده إلى أجيال عدة ، تظل فى ليل الزمن ، والمعروف أن كلًا منا يتعلق بموطنه الأول ، ويشعر نحوه بالحنين، ويحفظ له الذكريات ، ويدين له بالفضل ، ويود أن يوفى له بعض الجميل.

ويعرض المؤلف إلى تاريخ هذه المدينة الشائقة ، الذى تمتزج فيه الحقـائق بالأساطير ، ويترامى إلى عصور سحيقة يحتجب أقدمها بـالغيوم، ويفخـر كـل الفخر بدمياط ، وهى مدينة قديمة ، فالثابت مما ورد فى المراجع القديمة التـى خلفها الإغريق قبل الإسلام ، أن دمياط كانت فى العصور الإغريقية والرومانية معروفة باسم «تامياتس» كما كانت تعرف عند قدماء القبط قبل الفـتح العربـى باسم «تاميات» ، وتامياتي.

ولكن الخلاف بين بعض العلماء هو عن أصل هذا الاسم المـرتبط باللغـة المصرية القديمة «لغة الفراعنة».

أنيس منصور

يرحم الله الكاتب الكبير أنيس منصور لم يحظ كاتب عربى معاصر بتصاعد قيمة التقدير الذى حصل عليه مثلما حظى أنيس منصور. تجلى هذا فى التزايد والتضاعف والتراكم اللانهائى فى معجبيه على مر الأيام، كما تبلور فى التقدير الأكاديمى والعربى والنقدى لأعماله، بل تكرس هذا المعنى فى جوائز الدولة، وقد منح الجائزة التشجيعية منذ أربعين عاما والتقديرية منذ عشرين عاما ثم جاء منحة جائزة مبارك فى الآداب تتويجا للقيم الأدبية الرفيعة. فأنيس منصور هو المبدع الذى لم تقف إبداعاته عند حدود أى نمط من أنماط الكتابة الأدبية، ومع هذا فقد تسنم الذروة السامقة فى كل الموضوعات التى تناولها والأنماط التى مارسها.

وهو الفيلسوف الذى مارس الفلسفة فى كل ما كتب وقدم، وكان بمثابة رسول الفلسفة فى الأدب العربى الحديث والمعاصر، وهو المفكر الذى فتح بجسارة شديدة كثيرا من الأبواب المغلقة وسيطر باقتدار بالغ على كل زوايا الفكر المتميز التى قدر له أن يوجدها وينشئها وينميها فى التفكير المعاصر، وهو نمط نادر من الكتّاب والأدباء والنوادر فى تاريخ الآداب العالمية الذين تتاح لهم فرصة الشهرة المبكرة ولكنهم يؤخرون -عن عمد- انتشارهم من أجل التجويد ثم إذا هم بعد الوصول إلى أقصى درجات الشهرة والتجويد لا يبخلون على قرائهم ولا على معاصريهم بإنتاج غزير كثيف لا يكف عن الارتقاء والتفوق على كل ما سبقه فإذا هم من قمة إلى قمة، وإذا هم يجمعون ويحرزون ويحصدون ويسجلون تفوقا فى الكم والكيف يصعب أن يفكر أحد فى اللحاق به، وفى حالة أنيس منصور فإنه يجمع بالإضافة إلى هذا إعجاب الأذكياء والعامة والمتذاكين والمتبسطين، ويجمع بين تقدير الأكاديميين وطلاب المدارس، ويجتمع على تقدير موهبة كل الناس شبابا وشيبة ورجالا ونساء

وأطفالا ولكنه يضحى بإعجاب أنصاف المثقفين وأنصاف المفكرين. وإذا هو فى كل ما يمارس وينشىء من زاد فكرى عميق المحتوى ينسج خيوطاً من حرير الوطنية الحقة التى لا تختلط بأى قدر من أقدار الشوفونية، ولا تصطنع بأية نسبة من الأيديولوجية، إنما هى وطنية راقية متزنة عاقلة مبصرة حفية بكل تقدير وإعجاب ولهذا فإن صاحبها يتنازل طوعا عن افتتان الوطنيين وأنصاف السياسيين.

وأنيس منصور هو النموذج المتفرد والبارز للكاتب الذكى.. والفيلسوف الذى سعى إلى اصطفائه حاكم عظيم وزعيم متفرد. لا لكى يكتب له أو يملى عليه ولا لكى ينقل إليه أو عنه ، وإنما سعى إليه ليقدح زناد فكره بفكرة ، وليجدد من خلال اللقاء به شرارات الإبداع فى السياسة وممارستها وفى التاريخ وصنعه ، وقد كان من حسن حظ الرئيس السادات أن وجد فى عصره هذا الفيلسوف العبقرى، حتى وإن كان تاريخ عصر السادات لا يزال يتشوق ويتطلع إلى أن يتناوله قلم أنيس منصور على نحو أو آخر.

وأنيس منصور هو النموذج التاريخى للعبقرى الذى يولد بلمحات العبقرية ويتاح له من التعليم ما يؤجج العبقرية ، ثم يتيح هو لنفسه من استكمال التعليم ما يكفل للعبقرية المتأججة أن تتوهج، ثم لا يفتأ العبقرى يعنى بعبقريته إلى الحد الذى يجعله آناء الليل وأطراف النهار يضيف إليها ويصقلها ويشذبها ويراجعها ويركزها ويكثفها، والعبقرية فى كل هذا تستجيب له استجابات مضاعفة، تحفظ عليها جوهرها ومظهرها.

أنيس منصور هو السهل المطلق الذى لا سبيل إلى تصعيبه او تعقيده، ولا إلى تحويره او تدويره، يقرأه كل الناس فيحرزون أقدارا متساوية من الفهم دون أن تحتاج نصوصه إلى كهنة أو مفسرين أو شراح، لأنه لا يكتب إلا إذا وصل إلى كبد الحقيقة وقلب الحقيقة وباطن الحقيقة حتى لو كانت الحقيقة هى الحيرة نفسها، وقد مكنه علمه الفلسفى الغزير وتفوقه المعلوماتى الساحق أن يدرك منذ مرحلة مبكرة أن نهاية البحث الجاد قد تكون سؤالا كما أنها قد تكون جوابا، ولهذا نجد أنيس منصور فى كل ما كتب وألف وأبدع وسجل وقرر من

التعالم والتصنع والتمعل والتمعمل والافتعال والتـذاكى والادعـاء والتحـذلق والتفذلك، وجاءت آراؤه وأقواله على الدوام نموذجا للحكمة الخالـصة حتـى لو كانت الحكمة هى البحث عن الحكمة فحسب.

أنيس منصور قبس من نور الخـالق جـل فى عـلاه، منحـة للعـرب وللفكـر العربى فى وقت كانا أحوج ما يكونان إلى مثله تجردا للحقيقة، وبحثا عن الحـق وقد مثلت كتاباته فى بعض الموضوعات نـورا هـدى إلى الطريـق الـذى كانـت الأغلبية تجهله وفى موضوعات أخرى مثلت كتاباته ضميرا متيقظـا فى مواجهـة خطايا الجهالة والعمالة والتعتيم والانحياز وتفضيل القوالب الجاهزة. وحـين مارس الصحافة حقق فيها بفلسفته واطلاعه وجهـده عـددا لا يـستهان بـه مـن الخبطات الصحفية فلما تفرغ للمقال كانت المعجزة أنه حقق أيضا من خـلال المقال خبطات صحفيةوفكرية نقلها العالم كله عنه!

وأنيس منصور هو المزيج ذو الكود الـسرى الأمثـل بـين رباعيـات العلـم والفن والأدب والفلسفة وهو السبيكة النفيسة النادرة فى تناسق نسبها بـين كـل هذه المكونات الأربعة التى يندر أن تجتمع بأقدار مثاليـة فى شـخص واحـد أو قلم واحد، وكما أن سبيكته عبقرية فى جوهرها فإنها عبقرية فى قشرتها الخارجية بما انصهر عليهـا مـن مقـادير محـسوبة مـن بلاغـة وفـصاحة وإشـراق ودقـة ونعومة.. وهو النموذج المعبر عن الفن الراقى الـذى يـدرك عـن فهـم أصـيل مبادئ الصنعة وآفاق التجديد وهو فى الوقت ذاته النموذج البارز للأدب الـذى يرتقى بالمعرفة ويوجهها فى اتجاهات لم يكن لصاحبها عهـد بهـا قبـل أن يقـرأ أنيس منصور.

وقد أتاح له أدبه وذكاؤه وجده واجتهاده طرازا متفردا فى الشخصية العبقرية التى نجحت وتبرأت من كل مركبات النقص، ومع هذا فقد احتفظت بالأقـدار المثلى من مسوغات العظمة الإنسانية ومقومات الكمال البشرى.

ويندر أن تجد فى الأدب العربى من نجح فى توظيف ألفاظ اللغة العربية على نحو ما وظفها أنيس منصور فى التعبير عن المعانى الدقيقة والمبتكرة عـلى حـد سواء وعـلى نفـس الـنمط فعـل بقواعـد المنطـق وبأصـول التفكيـر الفلـسفى

وبحقائق علم النفس والصحة النفسية وقد مكنته دراساته المتصلة وقراءاته المتعمقة من أن يحقق بكل هذه الأدوات مستوى رفيعا ولا يضاهى من أسلوب متميز يحمل اسمه معه فى كل جملة من جمله وهو أقصى بكثير مما يسعى إليه الأسلوبيون من نجاح ، إذ إن غاية جهدهم أن يعرف الكاتب من فقرة، ولكن أنيس منصور وصل إلى ماهو أبعد من ذلك حيث يعرف فى كثير من الأحيان من سطر أو من جملة أو حتى من عبارة. بل إن أنيس منصور نحت للمفاهيم الفلسفية المستحدثة والعصرية فى اللغة العربية عبارات بأكملها ويسر للقارئ العربى الاطلاع على روح كثير من المدارس الفلسفية التى كانت، بدون جهده.ستبقى أشبه بالمدارس النقدية المعاصرة التى يعجز النقاد أنفسهم عن تبسيط مضمونها ومصطلحاتها بل أسمائها للجمهور.

وتحمل أنيس منصور فى شموخ كثيرا من العبث الذى حاول أن ينال من مكانته فى وجدان أمته وأدبها وفكرها دون أدنى نجاح يذكر. وقد شاء له حظه. على سبيل المثال. أن ينجو من تسليط روح السلطة على نفسه ولو للحظة واحدة، لذلك نراه ونحس به دوما أكبر من كل سلطة ونفوذ، ولم يعرف عنه فى يوم من الأيام شوقه إلى سلطة، ولا إلى تسلط ، بل لعله كان أحرص الناس على أن تنجو نفسه من هذه القيود المكبلة، كما احتفظت نفسه الصافية بأقدار لا نهائية من التواضع الحقيقى دون ادعاء، وليس فى عالمنا العربى كله من يتمتع بتواضع حقيقى كتواضعه الذى يظهر فى جلوسه بالساعات إلى كل النصوص الجديدة فى العالم كله، يقرأ ويحلل بعقلية ابن العشرين، ومع هذا فإن نفسه الأبية ترتفع بقدرها عند نفسها إلى حيث يبغى أن ترتفع وسط أمواج الأدعياء والمدعين والمشرأبين والمزيفين والمزورين والمنتفخين والمضخمين وذوى الضجيج، وليس سرا ان ترسخ مكانة أنيس منصور فى وجدان أمته كانت بمثابة أبرز الدوافع الذى استثارت جهودا محمومة بذلت فى الأعوام الأخيرة لمحاولة الارتفاع بالأقدار الفكرية لبعض الذين استلبوا الأموال ثمنا لتضحيتهم بشرف الكلمة والوطن وتملكوا بها الشركات الاحتكارية لدور النشر والتراث الوطنى الفنى، ورغم هذا فقد أثبتت التجربة أن أنيس منصور بقى وسيبقى على القمة التى لن يصل إلى سفحها من صوروا لأنفسهم أن

بإمكـانهم أن يـستحوذوا بطريقـة أو بـأخرى عـلى مكانـة موازيـة لمكانتـه. ومع أن لأنيس منصور كل الحق فى أن يشكو فى بعـض الأحيـان مـن موجـات السطو على إنتاجه الفكرى فى كثير من البلدان العربية، وما يمثله هذا من إهـدار لحقوقه المادية إلا أنى أرى فى هذا أكبر وسام على صدره، لأن كل الذين سطوا ويسطون على هذا الإنتاج يعـدون إنتاجـه جـزءا مـن تـراث الإنـسانية المبـاح للإنسانية كلها، ويصعب على هؤلاء التجار والناشرين أن يتصورروه كغيـره مـن الأسماء التى تؤلف كتبا موسمية تباع لأجهزة دول معينة بعشرات الألوف دفعة واحدة من أجل قارئ واحد، وتدق لهـا عنـد صـدورها طبـول جوفـاء، بينمـا يجتمع عشرات الألوف من القراء العرب عـلى أن يقتطعـوا مـن قـوت يـومهم ليقتنوا كتابا من كتب أنيس منصور يقرؤونه مرة بعد أخرى.

وربما يرى البعض أن يمتـدحوه بقـولهم إنـه أمـة فى رجـل، وربمـا يـصور آخرون قدره بقولهم إنه تاريخ فى شخص، وربما تجسد طائفة ثالثة إنجازه عـلى أنه بمثابة موسوعة القرن العشرين كله بما تبلور فى القرن العشرين من معـارف وفلسفات القرون السابقة بيد أن كـل هـذه الأوصـاف وغيرهـا تتـضاءل أمـام حضور طاغ لم يسبقه إليه أديب أو كاتـب، ومكانتـه فى الأدب القـومى - اليـوم تفوق بلاشك مكانة سلفه العظيم والترليبمان فى الولايات المتحـدة الأمريكيـة والمجتمعات المرتبطة بثقافتها.

بيد أن حضوره الطاغى غطى حتى على تقييم مجمل أعماله، لأنه أصـبح فى مخيلة المعاصرين بمثابة المحيط الذى لا يمكن وصف حدوده ولا تـصويرها إلا بالخروج من الكرة الأرضية، ويكفى الأحياء أنهم يجدونه محيطا بهـم مـن أى ناحية اتجهوا إليها (*) .

(*) د. محمد الجوادي.

أنيس منصور : (١٩٢٤- ٢٠١٢) :

ولد أنيس فى الثامن عشر من أغسطس سنة ١٩٢٤ بقرية كفر الباز مركز السنبلاوين بمحافظة الدقهلية ، وحفظ القرآن الكريم بكّتاب القرية ، وتلقى تعليمه الابتدائى ثم تعليمه الثانوى بمدارس المنصورة ، حيث حصل على شهادة الثانوية العامة بتفوق، فلحق بقسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٤٣، وطوال سنوات الدراسة الأربع كان أنيس مثال الطالب الجاد المجتهد الملتزم بواجباته الدراسية ، فحصل سنة ١٩٤٧ على درجة الليسانس، وكان فى نفس الوقت يمارس نشاطه الصحفى بين الترجمة وكتابة المقالات الفلسفية والأدبية التى كان ينشرها على صفحات الجرائد المختلفة ، إلى أن استقال من وظيفته فى الجامعة سنة ١٩٥٥ عند صدور قانون نقابة الصحفيين الذى يحرم العمل بالصحافة على غير المتفرغين لها ، وبذلك بدأت صفحة جديدة من حياة أنيس منصور إذ تفرغ تفرغا كاملًا للصحافة ووهبها كل خبرته وكل علمه.

وإلى جانب عموده اليومى بجريدة الأهرام ، وترجماته عن اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، وسيرته الذاتية ، فقد اشتهر أنيس منصور أكثر مما اشتهر بأدب الرحلات ، حيث كان كتابه «حول العالم فى مائتى يوم» أكثر الكتب مبيعًا بشهادة اليونسكو.

ويمتاز أسلوب أنيس منصور بالسلاسة والسهولة بتدفق كما يتدفق الماء من الصنبور، حيث كان لعمله الصحفى الأثر البالغ فى تطويع أسلوبه وتبسيطه.

ومن أشهر مؤلفاته:

أعجب الرحلات فى التاريخ – فى صالون العقاد – عاشوا فى حياتى – طلع البدر علينا – إلا قليلا – وداعا أيها الملل – حول العالم فى مائتى يوم – أول مرة – قالوا – ألوان من الحب – وغيرها.

كما صدرت عنه كذلك دراسات أدبية وفلسفية منها: كتاب «السندباد الطائر : أنيس منصور » للكاتب الصحفى محمد رضوان ، صدر سنة ١٩٨٣م.

مرثية الأستاذ قبل رحيله

أنعى إليكم نفسي

لأن الموت حقيقة واقعة كتبها الله على جميع خلقه، فقد تعهد سبحانه أن يكتب على نفسه البقاء وعلى جميع عباده الفناء.. الموت الذى كتبه الله على كل من خلق أجل مكتوب، بل وقدر محتوم، وسيف مسلط على رقاب البشر كتبه الله على الصغير والكبير.. العظيم و الحقير.. من آمن به ومن كفر.. كتبه الله على الأنثى والذكر.. من يمشى على رجلين ومن يمشى على أربع.

أما ملك الموت الذى يأتى بغتة فلا يعرف البدايات أو النهايات أو المقدمات أو المبررات ولا يحتاج إلى واسطة أو محسوبية ولا يتأثر بعلل أو أمراض، يأتى ليقبض الأرواح.. فتتكشف الأنوار وتتجلى الحجب فيعرف كل إنسان ما قدمت يداه، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، هناك من يأخذ كتابه بيمينه، وهناك من يأخذه بشماله..

فـ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾. إنها الحقيقة التى آمن بها الفقيد الراحل ووضعها نصب عينيه.. قالها صراحة: سبحانك لا إله إلا أنت وحدك.. أنت الله.. لا شريك لك.. لا ند لك ولا ولد، حقيقة سجلها قلمه، وترجمها فكرة واعترف بها ورقة وكشف عن تفاصيلها مدير مكتبه الأستاذ نبيل عتمان الذى قال على هامش حوارنا معه، كنت ملازما للفقيد حتى رحيله عرفت منه البداية، والنهاية تكشفت على لسانه عظمة الملك والملكوت، أحس بنهايته، وقال: يا نبيل لم يعد من الموت بد.. أنا لا أخاف الموت، ولا أهابه، ولكنى أرجوه أن ينتظر قليلا ليزداد يقينى بعظمة الخالق سبحانه.. إنه لا إله إلا هو.

ويضيف عتمان سكرتير «الأستاذ» أنيس الخاص ورفيقه الخصوصى فى رحلة الحياة: إن «الأستاذ» كان يحس بقرب نهايته.. كان يعلم بدنو أجله، زهد

فى الدنيا وما عليها.. كثيرا ما كان يبكى بينه وبين نفسه ويقول سبحانك أنت الله.. كان يدرك أن هناك من يتربص به ويشكك فى إيمانه، ويقول عنه إنه خارج زمرة المؤمنين، ساعتها كان يضحك «الأستاذ» ويبكى، يضحك عليهم.. ويبكى عليهم أيضا، أما هو فقد رأى الله سبحانه وتعالى فى ملكة وخاطبه من فوق عرشه قائلا له: إنك أنت الله لا شريك لك، كان يؤمن- كما يقول عثمان- أن هناك جنة، وهناك نار، وهناك عرض على الواحد القهار، وكان يؤمن أيضا أن الله لا يحتاج إلى واسطة لدخول الجنة أو تحريضا على دخول النار، فهو سبحانه الأعز الأكرم.

الأستاذ أنيس منصور، آمن فى بداية حياته بحقيقة الفناء، فأطلق على كتابه القيم «البقية فى حياتى» رغم أنه يعد لوحة تذكارية لأيام الطفولة كان يدرك عظمة الوجود وحقيقة الفناء.. كان بحرا من الفيض والعطاء، ونهرا من الفيض والنماء، كان كما قال فى مقدمة «البقية فى حياتى» شلالا من القلق، وجندولاً من الأرق، وواديا من الفزع، يخاف من أمه ويخاف عليها، ويقلق على أبيه ويشتاق إليه، يقرأ القرآن ويتدبر معانيه يفكر فى النهاية، ويؤمن بها.. إنه أنيس منصور عزّى نفسه، واستسلم لخاتمته فقال فى بداية الطريق «البقية فى حياتى» وفى نهايته قال:أنعى إليكم نفسى.. رحمه الله الفقيد رحمة واسعة. هذا وكان قد انتقل الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور إلى مثواه الأخير صبيحة يوم الجمة الموافق ٢١ أكتوبر الجارى، وتم تشييع الجنازة فى اليوم التالى من مسجد عمر مكرم والتى شارك فيها عدد كبير من العشاق والمحبين لأدب وفكر الفقيد الراحل، حيث تم دفنه بمقابر الأسرة بمدينة نصر. شارك فى تشييع الجنازة، ومراسم الدفن والعزاء أسماء لامعة فى سماء الأدب والثقافة والسياسة والاقتصاد ووزراء سابقين وحاليين ونجوم الفن والمجتمع، وكان على رأس المعزين د. عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء الأسبق والفنان فاروق حسنى وزير الثقافة السابق، ود. عماد أبو غازى الوزير الحالى وأسامة هيكل وزير الإعلام، ود.مفيد شهاب وزير الشؤون القانونية والمجالس النيابية السابق، ود. مصطفى الفقى رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشورى السابق، ود. على السمان رئيس لجنة حوار الأديان بمجلس الوزراء، والأنبا

بسنتى أسقف المعصرة وحلوان، بالإضافة إلى رموز الإعلام وعلى رأسهم الكاتب الصحفى مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين السابق، والأستاذ صلاح منتصر، والأستاذ إبراهيم نافع، والأستاذ أسامة سرايا، وعدد كبير من الفنانين منهم يسرا، ولبلبة، ومحمود عبدالعزيز، وجلال الشرقاوى، وأشرف عبدالغفور، ونهال عنبر، ودلال عبدالعزيز.

وقد فاز- رحمه الله- بألقاب علمية لا حصر لها منها: الدكتوراه الفخرية من جامعة المنصورة، وجائزة الفارس الذهبى من التليفزيون المصرى أربع سنوات متوالية، وجائزة الدولة التشجيعية فى الأدب عام ٦٣، والتقديرية فى ٨١، وجائزة مبارك فى الأداب عام ٢٠٠١.

وعلى هامش الجنازة قال الكاتب الصحفى الأستاذ أسامة سرايا رئيس تحرير الأهرام السابق: إن الأستاذ أنيس منصور كان فاكهة الصحافة المصرية، وسيظل - بفضل كتاباته وآرائه - فاكهة الصحافة لأجيال وأجيال لن ينازعه فيها أحد، وهذا لسبب بسيط، وهو أن الفقيد الراحل كان فاكهة نادرة، لم تكن عادية أو كمثل التى تظهر فى الشتاء وتختفى فى الصيف، والخلاصة على حد تعبير الأستاذ أسامة سرايا أن تلك الفاكهة لن تتكرر أو يجود الزمان بمثلها. سألته عن السر فقال: إنه قامة من قامات الصحافة من الوزن، لم يتلون أو يغير جلده.. كان يعمل من أجل مصر، لم ينظر إلى منصب أو جاه، لأنه ببساطة كان أكبر من كل مناصب الدنيا، آمن منذ أيامه الأولى أن العمر لحظة فقال على لسانه: أنعى إليكم نفسى أو البقية فى حياتى.

ومن جهة أخرى فقد قالت تهانى البرتقالى مدير تحرير الأهرام بصوت مبحوح، وكلمات متقطعة، ونبرة لا تخلو من حزنٍ وأسى، ودموع ساخنة تعبر عن الحالة التى تمر بها، أن الفقيد الراحل كان السند الحقيقى للمرأة، لجأنا إليه عندما غاصت الرمال تحت أقدامنا، وطرقنا بابه، عندما وصدت الأبواب فى وجوهنا، كان مخلصاً وفياً عاشقاً، وأباً وحنوناً يسبر الأغوار، ويكشف الأسرار كان يفهمنا بالإشارة بعيداً عن التصريح والعبارة، نهلنا من علمه وفكره، فعاش وجداننا بذكره.

وتتذكر أنها عندما كانت تعمل فى الكويت أقامت نقابة الصحفيين ندوة لمناقشة بعض القضايا المتعلقة بالسياسة، وعلاقة الكويت بدول الجوار، وكان من المفترض أن يجلس رموز الفكر والأدب والاقتصاد والسياسة فى الصفوف الأولى، فالمحاضر هو أنيس منصور، وكانت المفاجأة التى لم يتوقعها أحد، وهى أن الصفوف الأولى كانت من نصيب عشاق الأستاذ أنيس منصور، وهن السيدات اللائى حضرن ليرين بأم أعينهن بريق عينى الفقيد الراحل، ويستمعن إلى خواطره، وصولاته وجولاته فى عالم السياسة والفن.. أما الرجال فلم يجدن موطئ قدم.

رفض الأستاذ أنيس منصور - على حد تعبير الأستاذة تهانى الجبالى العلاج على نفقة الأهرام، وآثر العلاج على نفقته الخاصة، وقال: إن من بشائر الخير أن من عنده فضل مال يعطى من لا فضل له.. هذه هى أخلاق الأستاذ أنيس منصور!!

ومن جانبه قال الأنبا بسنتى أسقف المعصرة وحلوان فى تصريحات خاصة لأكتوبر أن الأديب الكبير يعد آخر العظماء الكبار فى زمن تعالت فيه الصيحات والصرخات.

وأشار نيافة الأنبا أن الفقيد الراحل له مكانة خاصة فى قلبى، نظراً للمبادئ السامية، والأفكار الراقية التى كان يؤمن بها هذا الرجل، فهو أول من دعا - كما قالت كتبه ومواقعه - إلى إزالة بذور الفتنة، وإلغاء مظاهر التمييز، ودعم الدولة المدنية، وإعلاء قيم المساواة، واحترام سيادة القانون، والمحافظة على هيبة الدولة.

وأضاف صاحب النيافة، أن الفقيد - رحمه الله - كان لطيف الدعابة، وله روح شفافة، وكان يجيد قراءة المستقبل، ولكونه ابن نكتة ومن عشاق مصر، فكأنه وقد اجتمع مع قداسة البابا شنودة على قلب رجل واحد، والذى قال أكثر من مرة: إن أنيس منصور شجرة مثمرة، نبتت على ضفاف النيل يستظل بظلها كل أبناء مصر والعالم(*) .

(*) إبراهيم عبد الغنى ، تصوير : عبد الله عبد العزيز - عاطف دعبس.

- كبـار رجـال الدولـة والمثقفـون شـاركوا فـى جنـازة «فيلسوف الصحافة»
- أنيس روى ذكريات الطفولة فى رائعته «البقية فى حياتي»!
- دوما كان يستقبل تلاميذه بالابتسامة الكبيرة ، فكانت دموعهم المنهمرة فى تشيعه لمثواه الأخير
- فى وداع «الأستاذ» اجتمع رفقاء السياسة والثقافة والأدب
- الفنانون لم يغيبوا عن جنازة أنيس الذى أثرى عالمهم بأعماله

قالها لنفسه. أنيس منصور له كتاب شهير بعنوان «البقية فى حياتى»، لكن بعد رحيله نقول



البقية فى حياة كتاباته. اليوم، شيع المئات من رموز الفن والأدب والسياسة، جثمان الكاتب الصحفى الكبير من مسجد عمر مكرم فى ميدان التحرير. المئات احتشدوا فى ساحة المسجد، فى انتظار قدوم جثمان الراحل. أدوا صلاة الظهر، يتقدمهم رئيس جامعة الأزهر السابق الدكتور أحمد عمر هاشم. بعدها أدوا صلاة الجنازة على الراحل، وارتفعت أصوات باكية إثر شروع الدكتور هاشم فى الدعاء «اللهم أسكنه فسيح جناتك، اللهم زد فى حسناته». وزير الإعلام أسامة هيكل أكد ل«التحرير» أن «مصر افتقدت قامة كبيرة برحيل الكاتب أنيس منصور»، أما الكاتب الصحفى صلاح منتصر فقال: إن «الفقيد أدى دورا لن يتكرر فى العالم العربى. كان بمثابة أسطورة كتابية»، بينما قال أسقف حلوان والمعصرة الأنبا بسنتى: «إن الراحل كان رجلا سياسيا وصحفيا عظيما، وكان أقرب إلى قلب الجماهير، نظرا إلى قدسية المعلومة بالنسبة إليه، وتقديمها إلى القراء بكل مصداقية».

المخرج والفنان جلال الشرقاوى أشار إلى أن «الدولة افتقدت رجلا ذا قلم صادق وحقيقى، وكان أشبه بالأسطورة، وكان يمتلك من فلسفة الفكر والإبداع كثيرا»، مضيفا «أكن له من الحب كثيرا، وسأفتقده كما ستفتقده مصر بأكملها»، أما نقيب الممثلين الفنان أشرف عبد الغفور فقال «أمتعنا بكتاباته وأعماله الاجتماعية، كان متحدثا لبقا وكاتبا واعيا بآلام أمته». المفكر السياسى، رئيس لجنة العلاقات الخارجية السابق بمجلس الشورى

الأسبق الدكتور مصطفى الفقى، أكد أن الكاتب الصحفى أنيس منصور كان يمتلك صفات عظيمة، فقد كان كاتبا متجددا، واقترب من الحكام وابتعد، لكنه كان لصيقا بالجماهير فأحبته الجماهير واقتربت منه. وقد شارك فى الجنازة عدد كبير من كبار الكتاب والفنانين والوزراء السابقين والحاليين، ومن بينهم مفيد شهاب وزاهى حواس وفاروق حسنى ومحمود عبد العزيز ويسرا ودلال عبد العزيز ونهال عنبر وأشرف عبد الغفور وعلى السمان ومكرم محمد أحمد وإبراهيم نافع ومحمد عبد القدوس وإبراهيم عبد المجيد.

أنيس منصور مع الصاعدين والهابطين من السماء!

صار واحدا من الذين صعدوا إلى السماء بأرواحهم، بعد أن عاش سنوات طويلة من حياته مشغولا بعالم السماء وما يجرى فيه.

فلم يهتم أحد بالسماء مثلما اهتم الكاتب الكبير الراحل أنيس منصور، فالأسطورة كانت حاضرة دائما فى كتاباته، وقدرته على إعادة اكتشاف مناطق جديدة للكتابة عن أشياء تبدو لا مجال للحديث فيها كانت موضع دهشة وإعجاب طوال الوقت. ويبدو ذلك واضحا فى واحد من أشهر أعماله «الذين عادوا إلى السماء»، الذى ناقش فيه ما جاء فى الحضارات القديمة عن العوالم الأخرى والكائنات الفضائية ومجيئها إلى الأرض وتطرق فيه إلى ما جاء فى «كتاب الموتى» الفرعونى وسفر «حزقيال» وسفر «أخنوخ» وملحمة «جلجامش» وغيرها من الكتب القديمة، ولم يكتف بذلك بل إنه أصدر كتابا آخر عن «الذين هبطوا من السماء» ليزيد من مساحة الجدل ويشغل حاسة الخيال عند الجميع العامة والخاصة، وهذه هى قيمة أنيس منصور الحقيقية فهو كان قادرا على إنزال الفلسفة من عنان السماء إلى الأرض ليتفاعل معها البسطاء الذين صار فيلسوفا لهم.

لكن أكثر كتبه إثارة للجدل كان «أرواح وأشباح» الذى يذهب فيه إلى عالم الأشباح التى شاعت حول العالم، بل ويقوم بذكرها مستندا إلى التواريخ والأماكن والأسماء الحقيقية، إضافة إلى الظواهر الغريبة التى لم يتم تفسيرها، مثل مثلث برمودا واختفاء الأشخاص والطائرات والسفن والحوادث الغامضة وغيرها من الظواهر التى حيرت البشر ولم يتم إيجاد تفسير لها.

المدهش أن أنيس منصور كان مهتما أيضا بتواريخ ميلاد العظماء وقد كتب عنها فى كتابه «هؤلاء العظماء ولدوا معا»، وكان يطرح فيه دائما سؤالا: هل

هناك علاقة بين مواليد هؤلاء العظماء؟ فشاء القدر أن يرحل فى نفس اليوم الذى رحل فيه الفنان العظيم حجازى بل لم يفرق بينهما سوى دقائق معدودة، والغريب أنه رحل فى نفس الشهر الذى رحل فيه أقرب الرؤساء إلى قلبه الرئيس السادات بعد ثلاثين عاما ليظل الاحتفاء بذكراهم فى نفس التوقيت.

عالم الأساطير كان حاضرا فى كتابات الكاتب الكبير أنيس منصور، فقد ظل طوال حياته باحثا عن المعرفة ولذلك كانت كتبه طوال الوقت الأكثر مبيعا والأكثر إثارة للجدل والطبع! وقد ركز فى عدد كبير من أعماله على الجانب الفلسفى ومنها «الوجودية» وأدب الرحلات وأشهرها كتابه «حول العالم فى ٢٠٠ يوم».. ولو قدر له لكتب قصة رحلته إلى السماء حيث الدار الآخرة. عادت روح أنيس إلى السماء بعد ٨٧ عاما، بينما بقيت ذكراه خالدة على الأرض بأعماله التى أبدعها على مدار ما يزيد على ستين سنة، قضاها نجما فى بلاط صاحبة الجلالة(*) .

(*) محمد توفيق

دمياط – المدينة التى عاقبها أنيس منصور بغير ذنب !

فنحن إذن نجلو جزءًا من تاريخ بلادنا حين نبعث تاريخ دمياط ، ولو أن كل إقليم شمر أبناؤه إلى جلاء تاريخه كما نفعل فى تاريخ دمياط لتكون لنا قدر واف من المعرفة بتاريخ البلاد ، ولتكون لنا فى النهاية قدر واف من الوعى الذى يرفعنا إلى مستوى الأحداث.

وتاريخ الوطن هو تاريخ المواطنين ، فتاريخ دمياط هو تاريخ الدمياطيين، حتى تقوم العمارة ، والتجارة والصناعة ، والمبانى والآثار ، فهذه كلها ليست إلا تاريخ ما صنعته أيديهم ، وأبدعته عقولهم.

وكلما امتد تاريخ المجتمع ، وضرب فى أعراق الزمان ، كان لهذا المجتمع تقاليده الموروثة التى تؤثر فى شكل حاضره من قريب أو بعيد ، وبصورة ما ، سواء عرفنا ذلك أو لم نعرف ، فإذا توثب المجتمع ، وثارت كرامته ، وانبعثت طاقاته ، وانطلقت إمكانياته فهو فى حاجة إلى مثل هذه الوجبة التى نقدمها له بين دفتى هذا الكتاب ، ليتمثل الأمثلة ، ويقتدى بالنماذج ، ويرفع الشعارات التى تلهب إحساسه وتدفعه قدما إلى الأمام.

والواقع الذى نعيشه هو فى الحقيقة جسر بين ماض قد كان ، ومستقبل ، سوف يكون، ولسوف تنطوى أيامنا ، وتنتقل حياتنا إلى ذلك السجل الباقى ليضاف إلى رصيد دمياط فى تاريخها الطويل العريض.

وإذا كان بناء الوطن يقتضى – أولًا– بناء المواطنين، فإن بين دفتى هذا الكتاب مراجعة دقيقة لحسابنا مع الزمان ، وحسابنا مع الزمن طويل.

فدمياط مسقط رأس المؤلف ، ومسرح طفولته وصباه ، ورفات آبائه وتراب أجداده إلى أجيال عدة ، تضل فى ليل الزمن ، والمعروف أن كلا منا يتعلق بموطنه الأول ، ويشعر نحوه بالحنين ، ويحفظ له الذكريات ، ويدين له بالفضل ويود أن يوفى له بعض الجميل.

وتاريخ هذه المدينة الشائق ، الذى تموج فيه الحقائق بالأساطير ، ويترامى إلى عصور سحيقة يحتجب أقدمها بالغيوم ، قد أثار طلعة الكاتب، فشاقته معرفته ، والبحث عن خفاياه ، واستكناه غوامضه ، وأضافة الجديد إليه ، فراح ينقب بوجوب وضع سفر خاص مستقل بالمدينة يجمع أشتات تاريخها المبعثر فى مئات المراجع والمخابى ، ومثل هذا السفر قد يشوق أيضا غيره من محبى البحث والاطلاع سواء أكانوا من الدمياطيين أو غيرهم.

وقد يضاف إلى ذلك أن تاريخنا يكتب عن هذه المدينة ، سوف يسد ثغرة فى تاريخ مصر والشرق العربى خاصة ، وهذا بدوره شطر من تاريخ الإنسانية عامة ، فإن تلك «الدرامة» التى مثلت على مسرح هذه المدينة بفصولها العجيبة ومناظرها الطريفة ، إنما هى جزء من قصة الحياة البشرية فى أفراحها وأتراحها ، ومدها وجزرها.

ووجد المؤلف أيضا أنه لم يكتب أحد إلى الآن عن دمياط كتابا جامعا كما كتب عن عشرات المدن غيرها ، وأن ما كتب عنها منذ القديم إن هو إلا شذرات وملخصات، ونبذ ومقالات ، تستغرق فى أكثر المراجع بضعة أسطر ، وفى أقلها بضع صفحات ، وهذه السطور المبعثرة فى طيات الكتب العربية والأفرنجية ، تكرر غالبا بالنقل والاقتباس، وكثيرًا ما ينقل المؤرخ أو البلدانى عمن سبقه بلا بحث ولا تمحيص ، فترى الخرافة أو الأسطورة ذاتها ، تنتقل إليك من جيل إلى جيل ، ومن كتاب قديم إلى كتاب حديث ، كأنما هى الحقيقة التاريخية.

وأخيرًا اتضح للمؤلف أن هذه المدينة نسير مع سنة التطور ، بحيث أنها ستصبح فى القريب مدينة جديدة يطفر بها التصنيع الحديث نحو حضارة المستقبل ، وعلى ذلك وضح خط التقسيم الذى يفصل بين المدينة التاريخية ، ومدينة العصر الجديد.

لذلك كان من الواجب أن يتقدم اليوم أحد الكتاب فيضع مؤلفًا شاملًا عن هذه المدينة تمحص فيه الحوادث ، وتميز الحقائق من الأساطير، ويغربل

التكرار وتحقق المسائل المشكوك فيها تحقيقا علميًا ، منزها عن الغرض، ويشكل النقص العلمى الذى كان سائدًا من قبل ، ويضاف الجديد والمبتكر، ويستعان بالمصادر الأفرنجية التى لم يرجع إليها الكتاب العرب القدماء، لقلة تداول الكتب اليونانية واللاتينية وندرتها من جهة ، ولجهل العالم بالهيروغليفية حتى القرن التاسع عشر من جهة أخرى ، ونعرض بعد هذا كله الصورة الجديدة للمدينة الناهضة المتطورة ، الآخذة بأسباب الحضارة الراهنة.

ومع ذلك فلا مفر من القول إن تاريخ دمياط الفرعونى والإغريقى والرومانى والبيزنطي، ما برح محجوبًا بأستار كثيفة تعوق البحث فيما وراءها. وستظل على حالها حتى يقوم بعض العلماء بحفريات واسعة النطاق فى دمياط وضواحيها ، بحثا عن آثارها المطمورة فى الأرض، وإلى أن يعثر آخرون على وثائق هيروغليفية جديدة ، أو مخطوطات ومطبوعات مطوية فى دور الكتب العامة والخاصة فى الشرق والغرب.

وتساءل المؤلف غير مرة عما إذا كان قد خطر لأحد الكتاب منذ ألف سنة إلى اليوم أن يختص دمياط بكتاب، فبحث فى فهارس الكتب التى صنفتها القدماء والمحدثون ، كما نقب فى سجلات دور الكتب فى كثير من البلاد، فلم يعثر على اسم كتاب مستقل خاص بدمياط. اللهم إلا اسم ذلك الكتاب المفقود الذى أشار إليه المقريزى فى القرن الخامس عشر ، ولم يشر إلى مؤلفه أو اسمه كما سيلي.

وأخيرًا رأى المؤلف عددًا لا يحصى من المؤلفات المطبوعة المتفاوتة فى القيمة والشكل عن مدن أخرى عربية وأجنبية ، ومنها شتى الكتب عن القاهرة والإسكندرية والفيوم ودمشق وبغداد وبعلبك، وغيرها مما يصعب حصره، وبينها مدن لم يعد لها فى الدنيا وجود كتنيس وبوبسطة ، ومدن نجهل اليوم موقعها ، ولكننا لم نعثر على هذه القائمة الطويلة عن تاريخ المدن على كتاب واحد شامل عن دمياط ، وهى التى لا تقل أهمية عن إخوتها.

سلف القول إنه ورد ذكر دمياط فى مئات من كتب الشرق والغرب، لا سيما

عن علاقتها بالحروب الصليبية أو بحملة نابليون ، فهناك مثلا بعض صفحات فى خطط المقريزى ، وفى خطط على مبارك ، وهناك بضعة أسطر فى كل كتاب عن مصر مبعثرة فى ثنايا كتب التاريخ والتراجم ، وفى كتب البلدان والرحلات وفى المعاجم والموسوعات أو فى بعض دواوين الشعر وكتب الأدب، وكثيرا ما يرد ذكرها فى الصحف والمجلات ، ونشرات السياحة ،، شيء لا يمكن حصره ، وأكثر ه معاد مكرر ، يتفاوت فى الطول والقصر ، والأهمية والتفاهة ، والابتكار والنقل ، كما يضطرب بين الحقائق والأخيلة ، والوقائع والخرافات، تتساوى فى ذلك المؤلفات القديمة والحديثة!

وهذا لا يستغرب عن مدينة لها من العمر نحو ألفين أو ثلاثة آلاف سنة ، مدينة وجدت قبل الإسكندرية والقاهرة وبغداد بقرون وأجيال ، ومع ذلك لم تزل حية عاملة ، تزداد على مر السنين اتساعا وعمرانا وفتوة.

وتلك الكتابات المتفرقة فى مئات الكتب هى المواد الخام التى ينتفع بها كل من أراد البناء ، وليس الأمر كما يظن سهلا فى كتاب يؤلف عن دمياط ما دامت هناك عقبات عليه أن يذللها ، وطلاسم عليه أن يحلها ، وحوادث عليه أن يحققها ، وخرافات يجب أن يمحصها ، ثم أرقام حديثة وإحصاءات يوازن بينها ويدرسها.

ولنتذكر شيئا مما صادفنا فى أثناء وضع هذا الكتاب كى يسترشد به من يريد أن يكتب عنها فى مستقبل الأيام لاسيما فى تاريخها القديم:

فأولا : كانت دمياط موجودة فى العصر الرومانى باسم «ناميانس» ، وورثها عنهم العرب فى القرن السابع للميلاد مدينة كبيرة ذات أسوار وأبراج ، هذه حقيقة تاريخية معروفة ، ومع ذلك فإن ما بقى من تاريخها فى العصرين الرومانى والبيزنطى موجز أشد الإيجاز ، بحيث لا ينفع غلة الباحث ، بل لقد كانت موجودة فى عهد الفراعنة باسم «تامحيت» أو «تم آتي» ، فأين تاريخها فى تلك الحقبة ؟ وأين آثارها الفرعونية؟!

ثم اتضح تاريخها بغتة منذ أن فتح عمرو بن العاص مصر ، كأنما هى لم

تظهر فى الوجود إلا فى ذلك اليوم!

وأما ذلك البعض من كتاب العرب القدماء، الذى شاء أن يخترق الحجب، ويؤرخ لدمياط منذ أقدم العصور، فقد لجأ إلى الخيال يستلهمه أعجب الأساطير كما ترى فيما نقل المقريزى ومن سبقه عن تأسيس دمياط!

لهذا كان أصعب ما يواجه المؤرخ لدمياط القديمة، هو الكشف عن تاريخها الفرعونى ثم الإغريقى والرومانى فالبيزنطى، وأن عملاً كهذا ليعد فى الواقع كشفا عمليا جديدًا لا يقل أهمية عن اكتشاف مدينة مطمورة فى جوف الثرى أو نظرة عملية لم يصل إليها الفكر من قبل!

ومما يزيد هذه النقطة صعوبة، قول الكثير من علماء الآثار أن هذه المدينة لا يعرفها التاريخ المصرى القديم، أو قولهم أنها لم تظهر فى الوجود إلا فى العصر البيزنطى، حينما اتخذتها مراكب البيزنطيين محطة تجارية صغيرة عند مصب النهر، أضف إلى ذلك قول هيرودوت : إن فرع دمياط مجرى صناعى شقة الفراعنة، فلم يكن هناك قبل حفره نهر ولا مصب!

لذلك لم أدع كتابا عن جغرافية مصر القديمة أو تاريخها إلا ونقبت فيه عن بصيص من ضوء ينير ذلك السبيل المظلم، وما كان أضعف ذلك البصيص! وبالرغم عن ذلك فلا زلت أعتقد أن شيئا من آثار دمياط الفرعونية ما فتئ مخفيا فى جوف أرضها، لم يبحث عنه أحد حتى اليوم بحثا جديا، هناك تحت الرمال والغرين والماء، فى تلك المساحات الشاسعة الممتدة من دمياط الحالية إلى شواطئ البحر والبحيرة، فمما لا شك فيه أن غرين النيل، ومياه الفيضان، وغارات البحر وهبوط سطح الأرض إبان الزلازل القديمة قد غمرت الكثير من ذلك القديم فى دمياط، وفيما كان يجاورها من المدن والجزر.

وكذلك لا زلت على يقين أن هناك كتابات على ورق البردى أو نقوشا على الأحجار، تنتظر البعث والنشور، وبها ذكر هذه المدينة كما ورد ذكر غيرها من المدائن.

ولا شك أيضا أن حادث تخريب دمياط عام ١٢٥٠م – ذلك التخريب الفظيع الشامل الذى أمر به أمراء المماليك ضيع الكثير من آثارها الفرعونية والرومانية بل محاها محوًا كما جنت الغارات والغزوات التى اجتاحت المدينة قبل تخريبها وبعده على البعض الآخر.

وثانيا : هناك صعوبة أخرى أمام الباحث – سبق الإشارة إليها – وهى امتزاج الحقائق بالخرافات ، وخلط الأحداث التى وقعت فعلا بالأساطير المختلفة والروايات المشوهة فى تاريخ هذه المدينة ، امتزاجا يصعب على غير المحقق المنزه عن الغرض الفصل بينها ، كما هو الشأن فى قصة الفتح العربى لدمياط ، وفى أسطورة تأسيس المدينة وتسميتها بهذا الاسم . وقد أوردنا شيئا من هذه الأساطير والروايات فى هذا الكتاب ، وعلقنا عليها إذ لم نجد بدا من ذكرها لطرافتها وكثرة تداولها ، ولكننا عمدنا إلى تصحيحها بقدر المستطاع.

وثالثا : أن هناك روايات تحتاج إلى موازنة ومقابلة بين أقوال المؤرخين العرب والمؤرخين الإفرنج ، لاسيما فيما يختص بالغزوات الأجنبية والحروب الصليبية ، فقد كتب عنها العرب كما كتب الأوربيون ، ولم تخل من اختلاف النظر ومن تحريف فى أسماء الأعلام ، وفى الإيجاز والإسهاب، كما نرى مثلا فى كل من روايتى المقريزى وجوانفيل عن حملة لويس التاسع ، فالمقارنة هنا بين المراجع العربية والأوربية تعين الكاتب المحايد على استخلاص الحقائق التاريخية خالصة من الشوائب.

ورابعًا: يلاحظ الباحث أن ما كتبه المؤرخون عن دمياط فى أيام السلم كان مقتضيا موجزًا ، بعكس الحال فى فترات الحروب والغزوات ، ولكن هل تخلو المدن فى أيام السلم من نشاط وحركة وصور اجتماعية أو ثقافية ؟ وهل كان تاريخ المدن أو تاريخ الأمم مقصورًا على الناحيتين الحربية والسياسية فحسب؟ حتى لترى الكثير من كتب التاريخ سجلا لأخبار الملوك وغزواتهم وأهل القصور ومؤامراتهم بحيث تصبح حياة الشعب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مسائل تافهة ثانوية ! ولا حاجة بنا إلى القول : إن التاريخ بمعناه الحديث هو تاريخ الشعوب الذى يصور آمالها وآلامها ، وكفاحها فى طريق

التطور الممتد من الماضى إلى الحاضر إلى المستقبل.

قلنا : إن ما كتب عن دمياط من النبذ والمقالات شيء كثير ، متشتت فى مئات الكتب ، وإن أكثره معاد متكرر ، يتناقله الخلف عن السلف، ونذكر هنا المحاولات القديمة فى وضع كتاب عن دمياط :

فيقول المقريزى فى كتابه «الخطط» فى سياق مقالته عن دمياط: «.. وقال جامع تاريخ دمياط» ، ثم يقتبس بعدها فقرة من ذلك الكاتب دون أن يذكر اسمه فمن هو يا ترى ذلك «الجامع لتاريخ دمياط» ؟ وما اسم كتابه؟ ووضعه فى أى زمن سبق عصر المقريزى – المتوفى فى القرن الخامس عشر؟

لقد بحثنا فى فهرس ملا علىّ المسمى: «كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون ، وفى فهرس ابن النديم» ، وفى غيرها مما وقع لنا من فهارس دور الكتب – قديمها وحديثها – فلم نعثر على ذكر لهذه المخطوطة ولا على غيرها مما يؤرخ لدمياط وأهلها.

ويذكر السيوطى الذى كتب فى القرن السادس عشر فى مؤلفه «حسن المحاضرة» (جـ١ ص١٣) العبارة التاريخية عن مدينة – تنيس – شقية دمياط وجارتها ، ولم تزل جزيرتها الفاحلة ببحيرة المنزلة تحمل اسمها إلى اليوم:

«وكانت تنيس من العظم بحيث أنه ألف عن أخبارها كتاب فى مجلدين فيه قضاتها وولاتها وسرائها ، هذا كله من كلام صاحب «مباهج الفكر» فى إقليم مصر وكوره.

ومعنى هذا أنه وضع كتاب كبير عن تنيس ، ضاع أيضا فيما ضاع من قديم المخطوطات ، ولو كشف اليوم عنه لعلمنا الكثير من أخبار دمياط، فالمعروف أن هناك صلة وثيقة بين تاريخ دمياط وتنيس ، إلى حد أن المؤرخين كانوا يذكرونها جنبا إلى جنب فى كثير من الحوادث والأخبار لاسيما فى الحديث عن صناعة المنسوجات الفاخرة.

وعثرنا منذ بضع سنوات بمكتبة «معهد دمياط الديني» على مخطوطة

صغيرة باسم المقامة الدمياطية ، كتبها القارئ الجوهرى فى القرن الخامس عشر، وبها وصف مجمل لدمياط فى ذلك العصر بأسلوب المقامات، وسيأتى ذكرها فى هذا الكتاب.

وروى لنا صديق أنه عثر بمكتبة سوهاج – مكتبة رفاعة الطهطاوى – على مخطوطة صغيرة بها كلام عن بعض مساجد دمياط أو ما أشبه . فأرسلنا إلى تلك المكتبة الرسائل والرسل فلم يرد علينا أحد!

ومن هذه الروايات نرى أنه كان هناك محاولات قديمة لوضع مؤلف عن هذه المدينة ولم يحالفها الحظ.

أما عصرنا هذا فقد ظهر فيه بعض الكتب والرسائل الموجزة عن دمياط ومينائها وعن بحيرة المنزلة ، كان أهمها ذلك البحث الذى نشره المرحوم المهندس أحمد راغب عام ١٩٣٦ عن مشروع ميناء دمياط والطريق بين دمياط وبور سعيد .

وكان لظهور جرائد إقليمية بهذه المدينة لتكون لسان حالها ، وميدانا لأقلامها وأخبارها ومطالبيها ما ساعد على فهم أحوالها فى هذه السنوات الأخيرة.

وقد درج هذا الكتاب الذى بين يدى القارئ مع توالى العصور القديمة منها الحديثة ، فبدأ بالعصر الفرعونى الإغريقى فالرومانى فالبيزنطى فالعربى حتى يومنا هذا ، كما أشرنا أيضا إلى القرون وأسمائها ، ولو أن ابتداء القرون وانتهائها لا تعدل الدول ولا مجرى الحوادث ، ولكنها أشبه بحالم الطريق، وهى كثيرًا ما تمتاز ببعض الخواص وتبرز فيها بعض الانطباعات كما نتحدث مثلا عن «أهل القرن العشرين».

وكذلك وضعت مشاهدات الرحالة العرب والأجانب الذين زاروا دمياط فى شتى العصور ، كل فى العصر الذى كتب فيه ، وكانت تلك المشاهدات صورًا لحياة المدينة الاجتماعية والاقتصادية ، وتركت تلك الصور العلمية كما وردت عن أصحابها دون تدخل أو تبديل على أن أعلق عليها – إذا احتاج الأمر

إلى ذلك.

وهكذا لم أتقيد فى تأليف هذا الكتاب بطريقة جامعية أو أسلوب مدرسي، فليس هو بالرسالة الجامعية الموضوعة للأساتذة والطلاب فحسب، بل هو للقارئ العربى عامة، كما أنه ليس بالقصة التاريخية المكتوبة لتشويق الجماهير بل هو سيرة مدينة حية لجميع الناس.

وبذلك يخرج القارئ إذا ما تصفح الكتاب بصورة عامة شاملة كما لو كان يطالع تاريخ حياة بطل من أبطال التاريخ له كسائر الأحياء كمالاته ونقائصه.

وبهذا أيضا أتقدم بهذا الكتاب ليطلع الدمياطيون فيه على قصة مدينتهم منذ القديم إلى اليوم، وليقرأ غيرهم من الناس، فيروا فيه تاريخ حياة مدينة من مدن الدنيا مثلت أدوار هامة وشائقة فى التاريخ العربى خاصة، وتاريخ الإنسانية عامة.

أتمولوجية دمياط

الثابت مما ورد فى المراجع القديمة التى خلفها الكتاب الإغريق قبل الإسلام ، أن دمياط كانت فى العصور الإغريقية معروفة باسم «تامياتس» كما كانت تعرف عند قدماء القبط قبل الفتح العربى باسم «ناميات» و«نامياتي».

ولكن الخلاف بين بعض العلماء هو عن أصل هذا الاسم المرتبط باللغة المصرية القديمة – لغة الفراعنة.

فعالم الآثار بروجش ينص فى قاموسه الجغرافى على أنه كانت هناك بلدة باسم ناميمى وتاممت بمعنى أرض الشمال، أو البلدة البحرية ، أو أرض مياه الشمال، كما كانت هناك بلدة باسم ناميمو أى بلد الكتان ، وأيضا مدينة باسم نوت تاممي، ونوت مميت أى مدينة الأرض الشمالية.

ولكن العالم هنرى جونيه يقول : إنه غير مقتنع بهذا الاسم ؛ لأن كلمة تامييت أو تاميمو التى وردت فى كثير من الآثار المصرية القديمة، ومعناها أرض الشمال، كانت تطلق أيضا على الوجه البحرى كله.

ويرى العالم درايسى أن الاسم الذى ورد بهذا اللفظ «دمات – ن – بتاح – تنن» أى مدينة الإله بتاح هو الاسم المصرى القديم لدمياط.

ويظن العالم نريه أن البلدة التى ورد اسمها فى عهد الأسرة الحادية عشرة وهى «دمانى أو» قد تكون مدينة مصرية واقعة على الساحل الفلسطيني، وسميت باسم تاميات الواقعة عند مصب النيل أو هى دمياط الحالية نفسها، وأن لفظة دمييت أو ديمى تعنى مدينة.

ويرى العالم أحمد كمال أن تم أو دم معناها مدينة أو حاضرة ، و«يم» تعنى الماء كما فى لفظة «فيوم» وكذلك مو يعنى ماء، ومو أو تعنى الماء المتسع ،

وآت أو آتى كل مجرى للمياه ، وبذلك تكون تم آتى وتيمى آتى بمعنى مدينة المياه أو مدينة مجرى الماء.

وهناك تخريج آخر يقول به أحمد كمال ولا يعنينا هنا وهو أن تم أو نوم تعنى رمز الشمس الغاربة ، وما أتى اسم معبود رأسه رأس قط كما يرى على تابوت سيتى الأول ، فتكون تم مآتى بمعنى قط الغروب.

أما سليم حسن فيقول فى كتابه : «أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعوني» أن من الأسماء التى كانت تطلق على البلاد المصرية تامحيت أى أرض الشمال أو الوجه البحرى ، وتاشمع أى أرض الجنوب أو الوجه القبلى ، وتاميرا (دميره) ، أى أرض الفأس والفلاحة ، وتاكيمى أى الأرض السوداء المثمرة – وكانت تطلق على مصر كلها.

ويرى بتار أن المقطع تم أو دم كان يوضع فى أول أسماء البلدان فى اللغة المصرية القديمة بمعنى مدينة مثل تم – ن – هور أى مدينة الإله هور أو حوديس (دمنهور) وغيرها.

والذى يستخلص مما سلف أن المدينة التى أطلق عليها الإغريق اسم ناميا‌س (وهى دمياط الحالية) كانت تسمى بالمصرية تامحيت أو تم آتى أى بلد الشمال ، أى بلد المياه.

أما الكتاب العرب فكانت لهم تخاريج شتى فى تفسير أسماء المدن القديمة لا تستند على أساس علمي، كما سيلى فى باب «أساطير الأولين» لأن رموز الهيروغليفية كانت لم تزل مجهولة للناس ، وظلت كذلك حتى حلت فى القرن التاسع عشر، فمن قائل : إن دمياط اسم رجل من أبناء مصرايم بن حام بن نوح، ومن ذاهب إلى أنها من اللفظة السريانية «دمط» بمعنى القدرة، ولو أنه ليس فى اللغة السريانية مثل هذه اللفظة ولا ما يقربها بمعنى القدرة ، والمقصود القدرة على الجمع بين الماء العذب والماء الملح عند دمياط!

ونكرر هنا أنه لم يكشف بعد عن المدينة الفرعونية التى كانت فى مكان دمياط الحالية ؛ لأنه لم يقم العلماء بحفائر واسعة النطاق فى تلك المنطقة إلى اليوم.

فى أساطير الأولين

من المدن ما وصلت إلينا أسماء مؤسسيها أو تاريخ ميلادها ، كالإسكندرية والقاهرة ، وبغداد ، ومنها – وهى أكثر مدن الأرض – ما يضل منشؤها فى ليل الزمن الحالك.

ونحن ما زلنا نجهل متى تأسست دمياط ، ولا نعرف من أنشأها ، ولا يدرى أحد يقينا أكانت فى أول أمرها مرفأ تجاريا صغيرًا أو مركزًا حربيا قضت الضرورة بإنشائه عند مصب النيل فى عصر من عصور الفراعنة ، ثم اتسع نطاقه وامتدت رقعته على مر الزمن ، أو أنها بنيت عندما حفر الفراعنة فرع دمياط – وهو على قول هيرودوت – فرع صناعى مثل فرع رشيد ، ثم ورثها الرومان عن قدماء المصريين مدينة كبيرة حصينة ، أو ميناء صغيرًا من مرافئ السفن التجارية.

كل هذا لن ينجلى عنه الظلام حتى يقوم العلماء بحفائر واسعة النطاق حواء دمياط ، حيث لم يزل التاريخ مطمورًا فى مناجمه تحت اليابس والماء!

وأقدم ما لدينا من الوثائق المدونة المعروفة يشير إلى أن تامياتس كانت أسقفية قبطية هامة فى القرن الخامس للميلاد – أى منذ ألف وخمسمائة سنة – ولو أن هناك وثائق هيروغليفية أقدم من ذلك بكثير تقول بأن مدينة باسم «تامحيت» أو «تم آتي» كانت موجودة فى أيام الفراعنة فى ذلك المكان ، وكان اسمها يعنى مدينة الشمال ، أو مدينة المياه.

غير أن عددًا من الكتاب القدماء لم يقفوا إزاء هذا الغموض صامتين، بل لجؤوا إلى خيالهم يستهلونه أعجب الأساطير والخرافات ، وهم فى الحق لم يختصوا دمياط وحدها بتلك الحكايات ، فكان للمدن القديمة الأخرى، المجهولة النشأة ، حظ وافر من تلك الأساطير.

وكانت هناك عقيدة سائدة بين كتاب العرب القـدماء خاصـة خلاصـتها أن المدن المصرية القديمة أو أكثرها ، إنما سميت بأسماء مؤسسيها مـن الملـوك والأنبياء الأقدمين أو أبنائهم ، فسميت مصر مثلا باسم مـصرايم بـن حـام بـن نوح، أما أتريب وصا وقفط وأشمون فهى أسماء أبناء مصرايم ، وكان بعـضهم فراعنة على مصر!

فترى ابن زولاق الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى يقول: «.. وقد ذكر جماعة من الشرعيين أنه كان لمصر بن بيصر بن حام بن نوح أربعة أربعة وهـم: قبط وأشمون وأتريب وصا. فقسم الأرض بين أولاده الأربعة أرباعًـا ، وعهـد إلى الأكبر من ولده وهو قبط ، وأُقباط مصر يضافون النسب إلى أبيهم قـبط بـن مصر.. وأضيفت المواضع إلى ساكنها ، وعرفت بأسمائهم..»!

ولا حاجة إلى القول : إن هـذه الآراء جميعـا تخـالف الحقـائق التاريخيـة.. ويقول بعض العلماء أن تلك الأساطير التى وردت فى الكتب العربيـة القديمـة وتناقلها الكتاب جيلا بعد جيل كانـت قصـصًا مـن الأدب الـشعبى فى العـصر القبطى السابق للفتح العربى لمصر.

وعلى هذا القياس خرج اسم دمياط!

وقد وحّدت تلك الأساطير بين نـشأتى دميـاط وشـقيقتها تنـيس. إذ كانتـا بلدتين متجاورتين تصل بينهما مياه بحيرة المنزلة منذ القدم ، فتـشابهتا فى كثيـر من الخواص والحوادث.

وهاك بعض الحكايات التى ألفها المؤرخون الغـايرون عـن منـشأ دميـاط واسمها.. وأولها رواه المقريزى فى القرن الخامس عشر للمـيلاد.. ونـسبها إلى المؤرخ إبراهيم بن وصيف شاه الذى عاش فى القرن الثالث عشر، وهذا نقلهـا ولا شك عن مصادر تقدمته. فإن المسعودى مثلا الذى كتب فى القـرن العاشـر يذكر بعض ما جاء بها من الأسماء فى قصص أخرى مشابهة.

دمياط والملك قليمون!

يقول المقريزى فى خططه فى سياق الكلام عن تنيس : «سميت بتنتيس بن حام بن نوح» ، ويقال بناها قليمون من ولد أتريب بن قبطيم أحد ملوك القبط فى القدم!

ثم يعود فيقول فى كلمته عن دمياط:

«وقال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه[1] : «دمياط بلد قديم بنى فى زمن قليمون بن أتريب بن قطيم بن مصرايم على اسم غلام كانت أمه ساحرة لقليمون» .

قال ابن وصيف شاه: وملكت بعد أتريب ابنته فدبرت الملك وساسته بأيد وقوة خمسا وثلاثين سنة وماتت. فقام بالملك من بعدها ابن أختها قليمون الملك ، فرد الوزراء إلى مراتبهم ، وأقام الكهان على مواضعهم ، ولم يخرج الأمر من رأيهم ، وجد فى العمارات ، وطلب الحكم. وفى أيامه بنيت تنيس الأولى التى غرقها البحر ، وكان بينه وبينها شيء كثير ، وحولها الزرع والشجر والكروم ، وقرى ومعاصر للخمر ، وعمارة لم يكن أحسن منها.

فأمر الملك أن يبنى فى وسطها مجالس، وينصب عليها قباب ، وتزين بأحسن الزينة والنقوش ، وأمر بفرشها وإصلاحها . وكان إذا بدأ النيل يجرى انتقل الملك إليها فأقام بها إلى النوروز ورجع.. وملك قليمون تسعين سنة .

---

(١) لابن وصيف شاه كتاب معروف اسمه : «جواهر البحور ووقائع الدهور ، محشو بالخرافات وأسماء مخترعة للملوك القدماء. ولكن يظهر أن المقريزى وغيره نقلوه عن كتاب آخر له. فقد قال المقريزى فى كتابه : «إغاثة الأمة» (ص٧ ط ١٩٤٠) : وذكر الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب «أخبار مصر لما قبل الإسلام» وهو كتاب جليل الفائدة رفيع القدر أن أول غلاء وقع بمصر كان فى زمن الملك السابع عشر من ملوك مصر قبل الطوفان واسمه أقروش بن مناوش الذى كان طوفان نوح فى زمنه»!!

وعمل لنفسه ناووسا فى الجانب الشرقى ، وحوّل إليه الأموال والجواهر ، وسائر الذخائر ، وجعل من داخله تماثيل تدور بلوالب من أتاه حطمته وكتب عليه : هذا قبر قليمون بن أتريب بن قبطيم بن مصرايم ، عمر دهرًا وأتاه الموت فما استطاع له دفعا ، فمن وصل إليه فلا يسليه ما عليه ، ولا يأخذ ما بين يديه!

ثم يقول المقريزي: «ويقال : إن تنتيس أخ لدمياط»!

ولكن المقريزى يعود فيذكر فى خلطه ما يلي:

«ويقال: سميت بدمياط من ولد أشمن بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام!

وعلى هذا الزعم ، فإن دمياط اسم رجل من أبناء مصرايم الذى ورد ذكره فى التوراة ، ولو لم يرد فى التوراة بين أبناء مصرايم اسم «أشمن» هذا ، ولعله مأخوذ من أشمون المدينة المصرية ، وذلك نقلا عن المؤرخ المسعودى القائل: «وكان لمصر أولاد أربعة وهم: قبط وأشمون وأتريب وصا».

ويتضح من الأسماء الواردة فى هذه الأساطير أن بعض المؤرخين القدماء كانوا منذ القرن التاسع الميلاد يتناقلون بالسماع بعض ما ورد بسفر التكوين فى التوراة من أسماء ولكنهم كانوا يضيفون أسماء أخرى وينسجون حولها الحكايات، فقد ورد فى التوراة «العهد القديم» سلسلة نسب أولاد نوح كما يلي: «وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافث ، وبنو حام هم موش ومصرايم وفوط وكنعان ، ومصرايم ولد لوديم وعنايم».

فلم يرد فى التوراة ذكر بيصر أو قبطيم أو أتريب أو قليمون أو أشمون إنما كان أكثرها أسماء مدن قديمة ، وإن كان قد ورد اسم مصرايم بن حام بن نوح.

وإذا أخذنا «أتريب» مثلا ، رأينا أنها اسم مدينة كانت تقع شرقى بنها الحالية، وكانت تسمى فى أيام الفراعنة «حات حراب» أى مكان الوسط لوقوعها وسط الدلتا. وسماها الأغريق أثريبس والقبط أثريب.

وكذلك الحال فى دمياط ، فقد تقدم أن اسمها الفرعونى تامحيت أى مدينة

الشمال ، فسماها الإغريق تامياتس والقبط تاميات والعرب دمياط.

أما تنيس فهى ثنى الفرعونية ، وثنيسوس اليونانية ، وتنيس العربية.

دمياط وسيدنا إدريس:

ويقول المقريزى أيضًا نقلا عمن تقدموه: «ويقال: إن إدريس عليه السلام كان أول ما أنزل عليه ذو القوة والجبروت: (أنا الله مدين الدائن ، الفلك بأمرى وصنعى ، أجمع بين العذب والمالح ، والنار والثلج، وذلك بقدرتى ومكنون على – الدال والميم والألف والطاء) – قيل هي: بالسريانية دمياط ، فتكون دمياط كلمة سريانية أصلها دمط أى القدرة إشارة إلى مجمع العذب والملح».

وقد سبق المقريزى كتاب آخرون إلى ذكر هذه الأسطورة ، منهم ابن دقماق الذى رواها كما يلي:

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «سيفتح لكم ثغر هو بلد القدرة، يمكن فيه الأولون من أمتي، هو بلد القدرة للمحتسب فيه نفسه. قال أنس: يا رسول الله ، وما هذه البلدة؟ قال: بلد الدال والميم والطاء».

وقبل هذين المؤرخين بنحو ستة قرون ، روى ابن إسحاق الأموى الذى عاش فى القرن التاسع الميلادي، والمنسوب إليه كتاب محشو بالخلط والخرافات، اسمه كتاب «فتوح مصر» مما يلي:

«وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أتدرى يا ابن عباس لم سميت دمياط؟ قلنا لا: قال: لأن إدريس عليه السلام لما نزلت عليه الصحف نزل فيها : «أنا الله ذو الجبروت والتدمير ، بأمرى وصنعي، أجمع بين العذب والمالح ، والثلج والنار ، كل ذلك بعلمى ومكنون سري، لأتمم بذلك الداء والميم والطاء » ، وقال ابن الحسن الكرخي: دمياط بالسريانية دمط ومعناها قدرتي!!

أما سيدنا إدريس فكان نبيًا قديما ورد ذكره فى القرآن الكريم مرتين. ولكن ليس فى الآيات ما يميط اللثان عن شخصيته، غير أن بعض كتاب العرب القدماء الذين لا يعوزهم الخيال إلى الكشف عن الغوامض، قالوا: إن إدريس هو «هرميس» الحكيم.

وكان هرميس فى الميثولوجيا – أى علم الأساطير اليونانية – ابن الإله زيوس والآلهة مايا. وكان رسول آلهة الأولمب وإله العلوم والبلاغة والتجارة، ولقب بالمثلث العظمة.

ويقول السيوطي: «قال الكندى وابن زولاق: كان بمصر هرمس وهو إدريس عليه الصلاة والسلام، وهو المثلث لأنه نبى وملك وحكيم، وقال ابن فضل الله فى المسالك: الهرمة ثلاثة، هرمس المثلث، ويقال له: إدريس عليه السلام، وهرمس لقب كما يقال: كسرى وقيصر، وكان يسكن الصعيد، فبنى هناك الأهرام»!!

فالأسطورة هنا تروى نزول آية على النبى إدريس أو هرمس جاء بها دمط ومعناها بالسريانية القدرة، وأن اسم دمياط مشتق من دمط هذه أى القدرة التى جمعت فيها الماء العذب والماء الملح!

ومع أنه لم ترد فى أى كتاب مقدس آية كهذه نزلت على النبى إدريس فإنه أيضا ليس هناك بالسريانية كلمة دمط بمعنى القدرة، وليس دمياط المدينة الوحيدة التى يجتمع بها الماء العذب والماء المالح ويفترقان، ولكن فى الأساطير مجالا فسيحًا للخيال!

وكما امتزجت الأساطير والحكايات، بتاريخ دمياط، وأكثرها وليد الخيال، فكذلك كانت الأحاديث المنسوبة إلى الأنبياء والمحدثين عنها شيء غير قليل.

وقيل: إن جل تلك الأحاديث أو كلها، غير مقطوع بصحته، وإنما نسبت إلى المحدثين، يروونها عن الأنبياء والأولياء لتقوية الروح المعنوية فى أهل المدينة والمهاجرين منها: إبان المحن التى نزلت بهم بسبب غزوات الروم،

حين كانت سفن الدولة البيزنطية تحاول استرداد دمياط عقب الفتح العربى لها، وحين كانت جيوش الصليبيين تحاصر المدينة أو تدخلها فيما بعد.. أو لترغيب السكان فى البقاء ببلدهم أو فى العودة إليها بعد نزوحهم عنها. وكذلك لتحبيب غيرهم فى الهجرة إليها وتعميرها بعد حوادث التخريب.

وتنسب بعض تلك الأحاديث إلى محدث دمياطى جليل المقام هو بكر بن سهيل الذى عاش فى القرن التاسع للميلاد[1].

ونذكر هنا ما صادفناه من تلك الأحاديث وأكثرها أو كلها -كما سلف- مشكوك فى صحته.

ذكر ابن إسحاق الأموى فى القرن التاسع الميلادى الحديث التالى ، ثم تناقله كل من ياقوت الرومى ، وابن دقماق، ونقله عنهم سائر الكتاب:

«جاء فى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا عمر ، إنه سيفتح على يديك بمصر ثغران : الإسكندرية ودمياط، فأما الإسكندرية فخرابها من البربر ، وأما دمياط فهم صفوة من شهداء، من رابطها ليلة كان معى فى حظيرة القدس مع النبيين والشهداء».

وجاء بكتاب «فتوح مصر وأعمالها» المنسوب إلى ابن إسحاق الأموي:

فى فضائل دمياط وسلامتها من العدو وجنده ، وأن الله تعالى يمدها بالملائكة من عنده . قال رسول الله ﷺ : « **ستفتح على أمتى مصر فالزموا المدينة البيضاء على شاطئ البحر التى تسمى دمياط. المقبور فيها كالشهيد، والراكب فى بحرها المتشحط بدمه**».

وعن ابن إسحاق الأموى أيضا: «حدث بكر بن سهيل الدمياطى قال: «تغزو وجوههم السماء.. ثم يعطى الله النصر لمن يشاء من المسلمين،

---

(١) ولد بكر بن سهيل الدمياطى المحدث عام ١٩٦ هـ (٨١١م) وتوفى بدمياط عام ٨٢٩ هـ (٩٠٢م) ، وقيل: مات بالرملة ، ذكر ياقوت جـ٤ ص٨٥ والسيوطى فى «حسن المحاضرة».

فيقهرهم، فيقولون: انطلقوا إلى دمياط ، فيمد الله أهل دمياط بالملائكة وأن الناس ليرون الملائكة فى الهواء عليهم السلاح، فيمدون أهل دمياط».

وقال أيضا: «روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فقلنا: يا رسول الله على من تسلم؟ قال: على الصفوة المرابطين بدمياط. قلنا: يا رسول الله ودمياط بلد له قدر؟ قال: نعم ، اللهم ارزقهم بركة عن يمين وشمال ما دامت السموات والأرض، ليس لهم عدو إلا علج أو علجة. فلقنا: يا رسول الله ، أيما أفضل: رابط بعسقلان أو بالإسكندرية أو بدمياط ؟ قال: بدمياط ، أتدرى يا ابن العباس لم سميت دمياط؟ قلنا: لا. قال: لأن إدريس عليه السلام لما نزلت عليه الصحف نزل فيها: أنا الله ذو الجبروت والتدمير بأمرى وصنعى أجمع بين العذب والمالح والثلج والنار ، كل ذلك بعملى ومكنون سرى لأتمم بذلك الدال والميم والطاء.

وقال الأموى أيضًا:

«حدث بكر بن سهيل الدمياطى رحمه الله قال: أخبرت أن رجلا يقال له أحمد ابن محمد بن محمد بن فضالة يروى الحديث بسيران، فسرت إلى بلده، فدهلت على رجل قد جاز مائة سنة. وقد سقط حاجباه عن عينيه، فسلمت عليه، فرد السلام ، وقال: من أين الرجل؟ قلت: من بلدة يقال لها: دمياط، على شاطئ البحر، فقال: ما اسمك؟ قلت: بكر بن سهيل الدمياطي، قال: فأدنانى منه ، ثم رفع حاجبيه بكلتا يديه ، ثم قال: الحمد لله الذى لم أمت حتى رأيت رجلا من أهل الجنة متقلبه ومثواه، وأنه قال: الساكن بدمياط كالمجاهد فى سبيل الله ، والقائم بها كالمتحشط بدماء ، والميت بها شهيد ، من مات بدمياط، فكأنما مات فى السماء السابعة ، وهى المدينة البيضاء، يبعث أهلها شهداء، ويحشرون شهداء».

وقال: «وقيل اسم دمياط فى التوراة البيضاء وفى الإنجيل الخضراء[1]، وقال بكر بن سهيل الدمياطى : مدينتان معصومتان من الفتن ، يموت أهلهما شهداء ويحشرون شهداء : دمياط وتنيس . لا يأتيهما الشر حتى يخمد من أراد بهما سوءًا قصمه الله تعالى».

وحدث بكر بن سهيل ، قال ابن إسحاق: «بين شطا ودمياط رملة مثل الكافور. من سعى إليها وركع بها فكأنما ركع بين الجنة والكرسى ، فاحرصوا على المسير إليها فإنما هى بقعة مباركة من بقاع الجنة».

وقال ابن إسحاق رضى الله عنه: حدثنا عمر بن الأصلح عن جده عامر بن خويلد قال: قال سيدى شطا فى الليلة المباركة التى قال الله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ وهى ليلة النصف من شعبان ، فجعل الله تبارك وتعالى تلك الليلة موسما لزيارته، قلت: وهى إلى الآن.

وأضاف ابن دقماق إلى ما سلف أحاديث أخرى تشبه بعض عباراتها ما تقدم من الأحاديث.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «سيفتح لكم ثغر و بلد القدرة، يسكن فيه الأولون من أمتى ، رابط ليلة فيه خير من عبادة ألف شهر، هو بلد القدرة للمحتسب فيه نفسه. قال أنس : يا رسول الله ، وما بلد القدرة (قال: بلد الدال والميم والطاء).

وقال كعب الأحبار: «أهل تنيس ودمياط يعيشون سعداء، ويموتون شهداء، النائم فيها كالمتشحط فى دمه فى سبيل الله ، والميت فيهما كالمقبور فى السماء الأولى» .

---

(١) لم يرد ذكر دمياط ولا ما يشير إليها فى القرآن أو التوراة أو الإنجيل أو الزبور – وقد ظن البعض أن «كفتور» التى ورد ذكرها فى التوراة مرارا هى دمياط ، ولكن هذا الزعم لم يثبت.

وعن حوشب قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ودموعه تجرى على لحيته، فقلت له: نفديك بالآباء والأمهات ، ما بال دموعك تنحدر على لحيتك؟ قال: ذكرت إخوانا لنا فى ثغر يعمر بعد خراب اسمه بالعربية دمياط وفى التوراة: «البيضاء» وفى الإنجيل «الخضراء» ، وفى الزبور «الهرمة» أو «الهرومة» لها بابان مفتوحان حيال العرش من سكنها من أمتى يدين بدينى وهو على ملتي، غفر له ما سلف من ذنوبه، والذى نفس محمد بيده ليفزعن إليها قوم فى آخر الزمان من غير أشر ولا بطر، يدخل فى شفاعة أحدكم مثل ربيعة ومضر».



تركت لكم ما كتبت!

عندما سئل أنيس منصور، فى حديث صحفى أجرى معه فى منتصف السبعينيات تقريبا هذا السؤال: ماذا- بعد عمر طويل- ستترك فى هذه الدنيا؟ كانت إجابته: «سأترك كل ما كتبته.. كم من الذى كتبته يستطيع أن يعيش طويلا.. أعتقد أن الذى يحتوى على معنى يمس الناس ويساعدهم أكثر هو الذى يعيش أكثر..».

وكان أنيس منصور صادقا فيما قال. لم يترك شيئا باقيا سوى ما كتب، وما كتب سيظل باقيا ما بقى من يقرأه ويعود إليه وينتفع به، وهو كثير غزير على مدار حياته الإبداعية والصحفية، وطوال أكثر من ٦٠ عاما، عاشها محبا للآداب والفنون، دارسا للفلسفة ومدرسا لها، مشتغلا بالصحافة وأستاذا من أساتذتها، متأملا ومفكرا فى أحوال الناس والدنيا والتاريخ، ومسهما فى كل تلك المجالات بأعمال ومؤلفات، تشكل فى مجموعها مكتبة كاملة من المعارف والعلوم والفنون والآداب والسياسة والصحافة، عكست نظرته ورؤيته للكون والإنسان والحياة، وسجلت تاريخه وحياته، وساهمت فى تشكيل وجدان وثقافة أجيال عديدة من الشباب فى العالم العربى كله.

٢٥٠ كتابا بالتمام والكمال.. عدا ما يصعب حصره من المقالات والكتابات غير المنشورة، التى تركها، هى حصيلة ما استودعه أنيس منصور

من أعماله.. ولعله واحد من أغزر المؤلفين المصريين إن لم يكن أغزرهم جميعاً فى النصف الثانى من القرن العشرين، وهو فى ذلك يعد استمرارا واستكمالا لجيل العمالقة من المفكرين والأدباء والكتاب الذين كانوا غزيرى الإنتاج بشكل ملحوظ، وكان عطاؤهم ونتاجهم العلمى والأدبى يشكل فى مجمله مكتبات زاخرة سخية من المعارف والعلوم والفنون والآداب.. هو فى ذلك - من حيث الكم- نافس بل فاق فى أحيان كثيرة طه حسين والعقاد وهيكل وأحمد أمين وسلامة موسى وتوفيق الحكيم.. ومن الأجيال التالية: يحيى حقى وسعد مكاوى وصلاح عبد الصبور وآخرين.

وما بين الكتاب رقم (١) والكتاب رقم (٢٥٠)، رحلة طويلة مديدة عامرة بكل ما يمكن أن يدهشك ويعجبك ويثير سخطك أيضا! لكنك أبدا لا تترك كتابا له أمسكت به وشرعت فى قراءته قبل أن تتمه، أو أن تطالع بعينيك السطر الأول من مقاله اليومي، المنشور هنا أو هناك، بهذه الجريدة أو تلك، إلا وتجد نفسك مسحوبا بكامل إرادتك ورغبتك فى متابعة ما يقول حتى لو كان «ريان يا فجل»!

هذا هو أنيس منصور.. بارع براعة لا توصف فى أن يجذب إليه آلاف القراء، فى نفس واحد، لمتابعته وقراءته حتى لو كانوا من أشد مخالفيه فى الرأى أو من الحانقين عليه أو حتى من الكارهين!

أول كتاب :

كان أول كتاب فوجئ به أنيس منصور مطبوعا له وعليه اسمه، كتاب «وحدى مع الآخرين»، وقرأ على غلافه الخارجى العبارة التالية «مقالات بقلم: أنيس منصور»، وهو عبارة عن مقالاته التى كان ينشرها آنذاك بمجلة (الجيل)، وكانت كل علاقته بهذا الكتاب أنه وقع تحت يده مصادفة، أثناء زيارته لدمشق حيث عثر عليه فى حى سوق الحميدية الشهير بسوريا، ولم يكن له صلة لا بجمعه ولا بنشره، ولم يكن يعلم من الأساس بأن هناك كتابا مطبوعا له يطبع ويوزع بهذا البلد العربى الشقيق، وهو ما جعله يشعر كأنه بحار استلم

خطابا أن زوجته ولدت ففرح!! حسب وصفه، فأول كتاب لـه صـدر فى غيابـه وبغير علمه!

أما أول كتاب ولد على يديه، وطبع ونشر بمعرفته، فهو كتـاب «الوجوديـة» الذى نشرت طبعته الأولى عام ١٩٥١، وكان عمره آنذاك ٢٧ سنة، وهو كتـاب صغير يمكن أن يدرج فى عداد الكتب التعليمية المبـسطة، بلغـة عربيـة سـهلة، وكان دائما ما يعتز بأنه من أسبق الكتب المكتوبة بالعربية للتعريف بالوجودية، بلغة بسيطة، وقد طبع من الكتاب أربع طبعات فى شهر واحد، ونفـدت نـسخه المائة ألف، وهو يرد سبب ذلك إلى أن الموضوع كان محـل اهتمـام النـاس فى ذلك الوقت، وجاء فى عبارة سهلة المأخذ ميسورة الفهـم. ويكـاد يكـون هـذا الكتاب أيضا الوحيد المخصص بكامله للفلـسفة، وهـى مـن الأشـياء اللافتـة والمثيرة للدهشة فى نتاج أنيس منصور الفياض.

وما بـين الكتـابين الأول والأخيـر توالـت وتتابعـت كتـب أنـيس منـصور كالشلال فى كل فروع المعرفة وفى كل المجالات: صـحافة.. سياسـة.. أدب.. تاريخ وتراجم.. دراسات نقدية.. قصص ومسرحيات.. مترجمات.. رحلات.. دراسات نفسية.. إلخ.

سجل (سيرته الذاتية) فى أكثر من كتاب، منها «البقية فى حياتي»، «طلع البدر علينا»، «إلا قليلا»، «حتـى أنـت يـا أنـا». لكـن يبقـى مـن بينهـا كتابـه الأهـم والأضخم «عاشوا فى حياتي» الذى خصصه لأهم مراحل حياته وبالأخص فترة الطفولة وتفتح الوعى وعلاقته بأمه التى شكلت وجدانه وحياته ومستقبله كلـه فيما بعد، وأيضا ما تأثر بوالده فيه، وفترة الكُتاب وحفظـه القـرآن، وسـجل فى هذا الكتاب صفحات بديعة ورائعـة يـصف فيهـا بأسـلوبه الرشـيق كثيـرا مـن المعتقدات والعادات الشعبية التى كانت وما زالت تسود فى قرى مصر وريفها، وهى فى رأيى تمثل مادة فلكلورية طيبة لا غنـى عنهـا لأى دارس أو باحـث فى المأثورات الشعبية.

حول العالم:

وفى (أدب الرحلات)، أسهم أنيس منصور بنصيب وافر من الرحلات التى جاب فيها أنحاء العالم شرقه وغربه، شماله وجنوبه، دونها فى كتب كثيرة.. «اليمن ذلك المجهول»، «بلاد الله.. خلق الله»، «أطيب تحياتى من موسكو»، «أعجب الرحلات فى التاريخ»، «غريب فى بلاد غريبة».

لكن يظل من بينها جميعا كتابه الأشهر والأكثر إمتاعا وجمالا «٢٠٠ يوم حول العالم» نموذجا رائعا لأدب الرحلة فى الأدب العربى الحديث، وهو (وكذلك كتاب «فى صالون العقاد كانت لنا أيام») من أكثر كتبه رواجا وانتشارا وذيوعا، ومارس تأثيراته البالغة على أجيال كاملة من الشباب والكتاب والصحفيين، وتخطى عدد طبعاته الخمسين، ومنذ سنوات قليلة احتفل أنيس منصور بصدور النسخة المليونية من هذا الكتاب الذى حطم كل الأرقام، ومثل ظاهرة لا تتكرر كثيرا فى عالم النشر والكتب والمطبوعات، ووضع اسم أنيس منصور فى مصاف أهم وأعظم كتاب أدب الرحلة فى مصر خلال القرن العشرين.

فى الصالون:

أما كتابه الأشهر أيضاً- والكثير جدا من كتبه يتنازع صفة الأشهر!- «فى صالون العقاد كانت لنا أيام»، فهو وكما وصفه المؤرخ الراحل الكبير حسين مؤنس، «كتاب ضخم فاتن»، ولا أظن أن كتابا فى الأدب وتاريخ تلك الحقبة الساطعة من الفكر والثقافة، (تاريخ الفكر والثقافة المعاصرة)، جذب الناس ونال إعجابهم واستحوذ على تقديرهم لفترة طويلة من الزمن مثلما جذبهم هذا الكتاب، وفصول الكتاب عبارة عن الحلقات التى كان ينشرها أنيس منصور أسبوعيا على صفحات مجلة (أكتوبر)، وكان القراء ينتظرون صدور المجلة على أحر من الجمر، ثم يتلقفونها بمجرد صدورها لقراءة ما يكتبه أنيس عن العقاد، وذكرياته معه، كذلك كان أنيس منصور، تلميذا نجيبا من تلامذة العقاد الكبار، لم يفتأ يذكر أنه كان على رأس أهم الكتاب الذين أحبهم وتأثر بهم واختلف معهم، لكنه لم يسمح لنفسه أن يكون من دراويشه المسبحين بحمده

والدائرين فى فلكه، ورغم ذلك فلم يستطع أنيس إلا أن يفرد للعقاد هذه الدراسة الضخمة التى قارب عدد صفحاتها السبعمائة صفحة من القطع الكبير.

وحول شخصية عباس محمود العقاد العملاق، وصالونه الأدبى الشهير، الذى كان يعقد يوم الجمعة من كل أسبوع، حيث يتحلق فيه حول أستاذهم مريدوه وتلاميذه على اختلاف تياراتهم وتفاوت مشاربهم وتباين تخصصاتهم.. أدار أنيس منصور تاريخ مصر الفكرى والاجتماعى والسياسى خلال سبعين سنة، هى التى نسميها بعصر العمالقة، دراما عصر كامل حافل بالأفكار والتيارات والمآسى.. فإلى شجرة العقاد الباسقة الممتدة الفروع، كأنها جميزة القرية المصرية التقليدية، كانت أجيال أهل الفكر شباباً وشيباً تأوى وتتجمع وتفترق، والأفكار تتلاقى والتيارات تصطرع، وعندما مات العقاد انفض السامر واللاعب، ولكن الرواية لم تتم فصولا..

وترك أنيس منصور طائفة من الكتب التى تناولت ما وراء الطبيعة وألغاز الكون والحياة، وما يمكن أن يدخل فى دائرة الغيبيات والقوى الخارقة، وهى التى ضمت «أرواح وأشباح»، «لعنة الفراعنة»، «الذين هبطوا من السماء»، «الذين عادوا إلى السماء».

ختام الرحلة:

أما آخر كتبه صدورا -وقبل وفاته بأشهر معدودات- فكانت خمسة كتب دفعة واحدة هي: «معنى الكلام»، و«فى انتظار المعجزة»، و«اللعب غريزة منظمة»، و«أنا اخترت القراءة»، و«من أجل عينيها»، وهى كلها صادرة عن دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ورغم العناوين المختلفة للكتب الجديدة، إلا أن مضمونها جميعا يطوف بنا فى جنبات السياسة، والفلسفة، والتاريخ، والرياضة، والحب، والحياة.

ويتبقى أن أنيس منصور صرح فى أكثر من مناسبة من قبل، أنه انتهى من تأليف عدد من الكتب المهمة، وأنها على وشك الصدور، يأتى على رأسها

كتابه الذى ظل محتفظا به طوال ثلاثين عاما عن أوراقه مع السادات، أو إذا شئنا الدقة شهادته وذكرياته الخاصة جدا على عصر السادات، خصوصا فى الفترة من ١٩٧٥ إلى ١٩٨١ التى كان فيها أنيس منصور «الجورنالجي» الأول فى مصر، والصديق المقرب للسادات وكاتم أسراره، ورجل المهام الخاصة والسرية، إذ كان السادات يسند إليه مهاما ذات طبيعة خاصة ولا يعلم أحد عنها شيئاً.

وإذا كان أنيس منصور قد أصدر قبل قرابة العام ونصف كتابه «أوراقى مع السادات» عن دار المعارف، الذى أحدث صدوره أصداء عالية ونفدت نسخ طبعته الأولى والطبعات التالية، فإنه فى الحقيقة تمهيد وتهيئة لكتابه المشار إليه، ولا نعلم ما مصيره الآن بعد وفاته.

وكان أنيس قبل أيام من مرضه الأخير ووفاته، قد عكف على كتابة مذكراته الصحفية تحت اسم «على ومصطفى أمين» باعتبارهما يشكلان مدرسة صحفية كبيرة ومستمرة ومتميزة داخليا وخارجيا، حيث وصفهما بأنهما قاعدة لإطلاق الصواريخ الصحفية. وتطرق أنيس منصور فى مذكراته «على ومصطفى» لأحداث جديدة ومواقف لا تنسى مع هؤلاء النجوم، لم يسجلها فى سلسلة كتبه ومذكراته السياسية والثقافية والوجدانية والفكرية التى تحملها مؤلفاته. كذلك كان أنيس منصور قد أعلن فى حوار تليفزيونى له أذيع فى العام الماضي، أنه يجهز لكتاب مخصص بالكامل لأمه التى كانت شخصية محورية فى حياته، وذات الأثر الأكبر والأبرز فى تشكيل مستقبله، منذ طفولته وحتى مماته، وأوصى بدفنه بجوارها، واختار له عنوانا دالا بديعا «أمى.. ابنها» ولا أعلم إن كان انتهى من كتابته أم لا. وهل صدر أم لم يصدر بعد حتى كتابة هذه السطور[١].

---

(١) إيهاب الصلاح.

المصري اليوم

أنيس منصور «يعود إلى السماء»

وصية الفيلسوف الأخيرة:

«يجب أن يكون هناك وقت للاحتجاج على الظلم»

«مهما أنجزت فى الدنيا.. فهناك دائما من هم أفضل منك».. و«يموت بلا شرف من عاش بلا مبدأ».. و«لا مستقبل لمن يضيع الحاضر حزنا على الماضى».. كانت هذه آخر «مواقف» الكاتب الصحفى، والأديب، والمترجم، والفيلسوف، أنيس منصور. فبالتزامن مع قراءة الملايين لعمود «منصور» الأسبوعى «مواقف» فى جريدة الأهرام، كان مؤلف «الذين عادوا إلى السماء» و«وداعاً أيها الملل» يلفظ أنفاسه الأخيرة داخل مستشفى الصفا عن عمر يناهز ٨٧ عاماً بعد صراع مع المرض.

يقول عبدالحميد شعير، الصحفى بجريدة الأهرام، وزوج الكاتبة الصحفية منى رجب، ربيبة الراحل أنيس منصور، لـ«المصرى اليوم»، إن صاحب «أعظم مائة فى التاريخ» أصيب مؤخراً بالتهاب رئوى حاد وآلام فى الظهر، تم على إثرها نقله إلى غرفة العناية المركزة، نظراً لتدهور حالته الصحية، ومع عوامل السن تدهورت الحالة حتى لاقته المنية الجمعة وسط أبنائه «منى وعلا وجعفر».

حفظ «منصور» القرآن الكريم فى سن صغيرة فى كُتّاب القرية، وكان له فى ذلك الكُتّاب حكايات عديدة حكى عن بعضها فى كتابه «عاشوا فى حياتى»، وفى دراسته الثانوية كان الأول على كل طلبة مصر حينها، وهذا تتمة تفوقه فى

السنين السابقة، التى اشتهر فيها بالنباهة والتفوق حتى إنه إذا جاءت حصص اللياقة البدنية كان المدرسون يقولون له - كما ذكر فى كتابه «عاشوا فى حياتى»: «بلاش كلام فارغ، انتبه لدروسك ومذاكرتك، الأولاد دول بايظين»، لأنهم كانوا يرون فيه مستقبلاً باهراً وشخصية فريدة.

كانت بدايات مؤلف «زمن الهموم الكبيرة» فى عالم الصحافة فى مؤسسة أخبار اليوم، وكان يقول عن هذه البداية: «كانت بدايتى فى العمل الصحفى فى أخبار اليوم، وهذا بالضبط ما لا أحب وما لا أريد، فأنا أريد أن أكتب أدباً وفلسفة، فأنا لا أحب العمل الصحفى البحت، فأنا أديب كنت وسأظل أعمل فى الصحافة»، وبعد فترة من العمل فى «أخبار اليوم» تركها «منصور»، وتوجه إلى مؤسسة الأهرام فى مايو عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٥٢، وكان يكتب بالإضافة إلى عموده فى «الأهرام» مقالات فى جريدتى «الشرق الأوسط» و«العالم اليوم».

التحق «منصور» بكلية الآداب جامعة القاهرة برغبته الشخصية، ودخل قسم الفلسفة الذى تفوق فيه، وحصل على ليسانس الآداب عام ١٩٤٧، وعمل أستاذا فى القسم ذاته، لكن فى جامعة عين شمس لفترة، ثم تفرغ للكتابة.

كان مؤلف «أعجب الرحلات فى التاريخ» و«من أوراق السادات» صديقاً مقرباً للرئيس الراحل محمد أنور السادات، وكان يقول عن صداقته بالرئيس الراحل: «السادات كان يطلعنى على أمور لا يعلمها الوزراء أنفسهم».

عُرف عن أنيس منصور أن له عادات خاصة فى الكتابة، فهو كان يكتب فى الرابعة صباحاً ولا يكتب نهارا، ومن عاداته أيضا أنه كان يكتب حافى القدمين ومرتديا البيجامة، كما عُرف عنه أنه لا ينام إلا ساعات قليلة جدا وكان يعانى من الأرق يخشى الإصابة بالبرد دائما، وقيل فى وصفه: «إن أنيس منصور يفكر وهو يكتب.. ويكتب وهو يفكر».

أجاد أنيس منصور عدة لغات بالإضافة إلى العربية، هى «الإنجليزية، والألمانية، والإيطالية»، واستغل هذه الإجادة فى ترجمة أكثر من ٩ مسرحيات،

و٥ روايات، و١٢ كتاب لفلاسفة أوروبيين إلى العربية، كما ألف أكثر من ١٣ مسرحية باللغة العربية.

ترك «منصور» إرثاً كبيراً ومتعدداً من المؤلفات، منها «حول العالم فى ٢٠٠ يوم، وبلاد الله لخلق الله، وأطيب تحياتى من موسكو، وأنت فى اليابان وبلاد أخرى، وفى صالون العقاد كانت لنا أيام، وأعجب الرحلات فى التاريخ». ويعتبر كتابه «حول العالم فى ٢٠٠ يوم» الأكثر انتشاراً بين قرائه فى العالم العربى.

سافر أنيس منصور ودار الدنيا فى كل اتجاه، فكتب الكثير فى أدب الرحلات، وربما كان الأول فى أدب الرحلات، وحصل على العديد من الجوائز منها الدكتوراه الفخرية من جامعة المنصورة، والفارس الذهبى من التليفزيون المصرى ٤ سنوات متتالية، وجائزة كاتب الأدب العلمى الأول من أكاديمية البحث العلمى، ولقب الشخصية الفكرية العربية الأولى من مؤسسة السوق العربية فى لندن، ولقب «كاتب المقال اليومى الأول» فى أربعين عاما ماضية، وله الآن تمثال فى مسقط رأسه مدينة المنصورة.

ونعى الدكتور مصطفى الفقى، أنيس منصور، قائلا: «إن منصور كان جزءاً عزيزاً من تاريخنا، وقطعة غالية ومكوناً أساسياً فى فكرنا»، واعتبر «الفقى» أن رحيل أنيس منصور بمثابة «طى لفصل كامل من حياة مصر الحديثة» موضحاً: «لقد ارتبطنا به عبر العقود الأخيرة مفكرا وكاتبا وفيلسوفا».

وتابع «الفقى»: «لن أنسى عندما كنت مستشاراً للسفارة المصرية فى الهند، وكنت أنتظر صدور مجلة أكتوبر لأتابع كتابه (فى صالون العقاد)، الذى كانت تنشره المجلة مسلسلا».

ونعت نقابة الصحفيين الكاتب الصحفى أنيس منصور، واصفة إياه بأنه أحد أهم الكتاب والصحفيين فى تاريخها الحديث، وأعلنت «الصحفيين» عزمها تنظيم حفل تأبين له عقب الانتهاء من انتخابات النقابة المقرر لها الأربعاء المقبل، وسط دعوات بإطلاق اسمه على بهو النقابة لتخليد ذكراه.

وقال صلاح عبدالمقصود، نقيب الصحفيين بالإنابة، إن «منصور» كان ومازال قيمة كبيرة للصحفيين، فهو واحد من أهم الكتاب فى مصر والوطن العربى وله العديد من الكتابات المهمة فى تاريخ الصحافة المصرية.

من جانبه، أكد مكرم محمد أحمد، نقيب الصحفيين، أن أنيس منصور كان واحداً من الكتاب القلائل الذين تمتعوا برشاقة فى الأسلوب والكتابة، لافتاً إلى أن ما قدمه منصور خلال مقالاته العشر الأخيرة يعد رحلة بداخل النفس البشرية فى محاولة اكتشافها، واصفا الراحل بـ«الفيلسوف».

ودعا «مكرم» جموع الصحفيين ومجلس النقابة المقبل لتخليد اسمه وإطلاقه على بهو نقابة الصحفيين ووضع اسمه على نصب تذكارى داخل النقابة تخليدا لدوره الصحفى.

وقال محمد عبدالقدوس، عضو مجلس نقابة الصحفيين، إنه كان صديقاً شخصياً للكاتب الراحل، وإنه رافقه طوال الأيام الأخيرة، مشيرا إلى أن الصحافة المصرية والعربية فقدت واحداً من أهم الكُتّاب تعد كتاباته لكل الأعمار.

«قد يجىء وقت يعجز فيه عن رفع الظلم.. ولكن يجب أن يكون هناك وقت للاحتجاج على ذلك».. تلك هى الوصية الأخيرة التى تركها «منصور»، أحد الفلاسفة العظام فى تاريخ مصر، فى «عموده الأخير بالأهرام».



الأحد ٢٥ من ذى القعدة ١٤٣٢هـ - ٢٣ أكتوبر ٢٠١١م

مصر كلها فى جنازة

أنيس منصور.. فيلسوف الصحافة

شيعت ظهر أمس جنازة الكاتب الصحفى أنيس منصور من مسجد عمر مكرم ، حيث صلى صلاة الجنازة على روحه الدكتور أحمد عمر هاشم، وامتلأ المسجد على آخره بالعديد من الشخصيات العامة وعدد من الفنانين ، والكتاب الصحفيين ، وفى مقدمتهم فاروق حسنى وزير الثقافة الأسبق وعماد أبو غازى وزير الثقافة الحالى ، والدكتور مصطفى الفقى رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشورى سابقًا ، والدكتور مفيد شهاب وزير الدولة للشؤون القانونية السابق والدكتور زاهى حواس وزير الآثار السابق ، كما حضر صلاة الجنازة عدد من الكتاب والصحفيين وفى مقدمتهم مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين السابق ومحمد عبد القدوس وصلاح منتصر، وحضر عدد من الفنانين وفى مقدمتهم يسرا ولبلبة ونهال عنبر ، ودلال عبد العزيز، ومحمود عبد العزيز ، وأشرف عبد الغفور ، وجلال الشرقاوي، وممدوح الليثى ، وتلقت العزاء زوجته رجاء منصور وابنته منى.

وعقب انتهاء صلاة الجنازة تعالت صرخات من ابنة الفقيد فى وجه الإعلاميين والمصورين الذين تدافعوا لالتقاط صور لعائلة الراحل أنيس

منصور: «ارحمونا بقى» ، مهددة المصورين بتكسير الكاميرا إن لم يتوقفوا عن التصوير.

نعى فاروق حسنى الفقيد قائلًا: كان صديقًا عزيزًا ، وصاحب مشوار عظيم، قضينا سويًا ، فيما علق مصطفى الفقى قائلًا: اليوم نطوى صفحة كبيرة فى الأدب واللغة بوفاة الكاتب الرائع «منصور» ، وأعربت يسرا عن بالغ حزنها لفقدها كاتبا بمثابة منصور فى تاريخه وفكره وخفة دمه ، وخلقه وقيمته الكبيرة.

كلمة أخيرة

أنيس جداً

منصور جدا جدا

رحل الأستاذ أنيس منصور الصحفى الكاتب الفيلسوف.. والإنسان رجل غريب لا يستطيع النوم كثيرًا لأنه درب نفسه على عدم النوم طويلا واستغل الساعات التى وفرها فى أن يتعلم وأن يتثقف ثم أن ينقل العلم والثقافة لنا نحن الذين نمنا ساعات طويلة. كانت لغته فى الكتابة رشيقة بسيطة سلسلة..

كان إذا تحدث يكون قصير الحديث لأنه يريد أن يسمع، حتى وإن كان الحوار تافهًا أو سطحيا، رجل غريب لأنه كان يسعى للعلم بكل جوارحه، يسعى للمعرفة. تعلمت منه الكثير وأنا أقرأ له، وتعلمت أكثر عندما اقتربت منه وسمعت عن حياته وأسلوبه.

اخترت أن يكون عنوان مقالى فى وداع أنيس منصور هو «أنيس جدا منصور جدا جدًا» وهو عنوان المقال الذى كتبه أنيس منصور لرثاء صديقه مصطفى شردى فى أخبار اليوم منذ ٢٤ عامًا، كان واحدا من أروع ما كتب بعد رحيل أبى وأستاذى «شردي» واليوم رغم مرور كل هذه السنين استخدمت نفس العنوان الذى شرح فيه أستاذنا أنيس منصور كيف كان شردى فى حياته الصحفية يستخدم كلمة «جدًا» لذلك يا أستاذ أنيس لقد كنت مثقفا جدًا وإنسانا جدا جدا. لم تكن رحلة أنيس منصور مع الحياة سهلة ولكنها بالنسبة له كانت رحلة تحصيل دائم.. كأنه يتسلى ذلك الرجل وهو يترجم ويقرأ بعدة لغات لم يدخل أنيس منصور مدارس لغات ليتعلم، بل لم يعتمد فى تعلمه للغات على الجامعة. لقد اخترع أنيس منصور طريقة خاصة ليعلم نفسه اللغات، كان يقرأ الكتب

ويترجمها كلمة كلمة ليتعلم اللغة. وكان يتبادل مع بعض الأصدقاء دروس اللغات حتى لا يكلفه التعليم شيئا.

فى الستينيات كانت مجموعة ضخمة من أبناء أخبار اليوم تتبع برنامجًا وصفه أنيس منصور للانشغال فى فترة بعد الظهر فى الشوارع المحيطة بالمبنى حتى يعودوا للعمل مساء دون الحاجة إلى النوم، وكانوا عادة يذهبون إلى السينما لأنها مكيفة وكراسيها مريحة نسبيا.. واكتشف بعضهم بعد ذلك أن الأستاذ أنيس يخرج من الفيلم فى الكثير من الأحيان.. وأن ذلك سببه خوفه من أن ينام فى الكرسي. وكان يخرج ليجلس فى أى قهوة فى وسط البلد ثم يعود إلى أصدقائه قبل نهاية الفيلم بدقائق.

رحم الله أنيس منصور الذى انشغل سنوات وسنوات ليكتب عن أشياء لا نعرفها فتتسع مداركنا.. رحم الله أنيس منصور الفيلسوف الذى قدم لنا نظرية مخلوقات الفضاء الذين بنوا عجائب الأرض.. وقدم لنا عظماء التاريخ وأيام صالون العقاد رجل كان يعشق الرحلات وحول عينيه إلى آلة تسجيل تعيد عرض ما شاهده عبر قلمه فى زمان لم تكن فيه أجهزة تصوير متطورة ولا إنترنت.. كان وصف أنيس منصور للرحلات حول العالم يحملك فى عالم من الخيال وتتحول كلماته إلى صور ملموسة أو مذاق واضح على شفتى القارئ لقد عاش هذا الإنسان بيننا وحفر اسمه فى تاريخ الأدب والثقافة والإعلام فى الوطن العربى أستاذًا وفيلسوفا من أبناء الدقهلية علمنا الكثير..رحمه الله(*).

(*) محمد مصطفى شردي.

أصبحت الكتابة أرملة

الكتابة عند أنيس منصور علم وفن وفلسفة وبساطة ، توصل أصعب المفاهيم لمن يستطيع أن يفك الخط ، الكتابة أصبحت أرملة ، لأنه كان يعكف ساعات وساعات لا يفارق القلم، ولا تفارقه الأفكار الخارقة والغارقة ، يتدفق بها لقرائه!

أنيس منصور هو الكاتب المصرى الجالس القرفصاء ، وهو رمسيس الثانى صاحب الصولجان والفتوحات ، وهو توت عنخ آمون بالصبا والغموض.. كل هؤلاء على سن القلم وفى جوف العقل .. أنيس منصور هو الموصل الجيد لأعمق النظريات الفلسفية للفلاح الجالس تحت الشجرة وللأستاذ الجالس فوق كرسيه فى أعظم الجامعات ، نفس الفكرة ونفس العمل ، ولكن بجهد عقلى وسلاسة الكلمات ، يوصل ما يريد من معرفة لمن يريد من البشر.

أنيس منصور الطالب فى المنصورة الثانوية ، الخجول الذى يكتب المقالة ويضعها ، ويجرى فى جيب زميله المسؤول عن المجلة الطالب الباز «أ.د.جمال الباز» فيما بعد ، ويفاجأ جمال الباز بعملاق يكتب على استحياء ، فيجرى خلفه ، ويطالبه بالكتابة لمجلة المنصورة الثانوية مقال دائم ، ويصبح نجمًا وهو طالب، وتسكنه الكتابة ، ويهرب منها إلى كلية الآداب قسم فلسفة ، ليكون أحد أبرز من فيها ، ويصل إلى كرسى التدريس ، ولكن على أمين يكتشفه بعينى جواهرجى ، وتصبح الكتابة قدره ، ولكن الفلسفة مذهبه، ويصبح نجمًا فى «أخبار اليوم» مفتوحة صفحاتها لكل ما يكتب ، ويرحل وقلمه فى قلبه وعقله فى رحلة المائتى يوم حول العالم.

ويعود رئيسًا لتحرير مجلة «الجيل» ، وأسعد بأستاذيته ثم يحلق فى أرجاء كل إدارات «آخر ساعة» وهى «أخبار اليوم» و «الأخبار» ، ومعلمًا رائعًا بسيطًا متدفقًا لتلاميذه ، ويخرج من «أخبار اليوم» محلقًا فى سماء الصحافة ، مؤسسًا «لأكتوبر» ، ثم مستقرًا فى مواقفه ومواقفنا فى «الأهرام».

عاش منفردًا بفلسفته وكتاباته ، لذلك لا يمكن أن يموت ، فقد ترك رصيدًا يزداد تألقًا وقدرة على العطاء من بعده ، ونور القبر يسبقه ، علم ينتفع به وها هو رحيلك يا أستاذ يترك الكتابة أرملة ، فلن يستطيع قلم أن يسطر ما سطرت ولا فكر أن يواصل ما بدأت ، عشت نجمًا ورحلت نجمًا ساطعًا فى سماء الصحافة والفكر وملكًا متوجًا على وجدان القراء(*).

(*) نعم الباز.

المصري اليوم

الأحد ٢٣ أكتوبر ٢٠١١ عدد ٢٦٨٨

تبادل الاتهامات مع الشيخ كشك

والناصريون هاجموه لموقفه من إسرائيل



خاض الراحل أنيس منصور على مدى تاريخه العديد من الصراعات مع الإسلاميين والناصريين، فالكاتب الذى دائما ما أعلن أنه مؤمن بالفلسفة الوجودية وبمبادئ العلمانية أثار حفيظة الإسلاميين للرد على أفكاره، كما دارت الكثير من المعارك بينه وبين الناصريين بسبب مواقفه من الرئيس الراحل جمال عبدالناصر.

دار الكثير من المعارك بين أنيس منصور والإسلاميين كان أشهرها مع الشيخ عبدالحميد كشك، بدأت المعركة مع توجيه الكاتب النقد لشركة مصر للطيران بعد منعها تقديم الخمور على متن طائرتها، ورد الشيخ كشك فى إحدى خطبه مهاجما أنيس منصور الذى يرد بدوره متحدثا عن قيام الشيخ بتأسيس شركة للتسجيلات الصوتية من أجل توزيع خطبه مطلقا على الشركة اسم «كشك فون» ليعود الشيخ ويرد على الكاتب مرة أخرى مطلقا عليه اسم «أستاذ إبليس مسطول» قائلا إن البرية حارت فى أنيس منصور الذى يكتب فى رمضان عن عمر بن الخطاب ويكتب بعد رمضان عن صوفيا لورين ومارلين مونرو، مضيفا «أنت اللى حارت فيك البرية، مش عارفينك حاج واللا معتمر واللا بتدافع عن الخمر واللا حوستك سودة».

ولم يتوقف هجوم الإسلاميين على أنيس منصور عند عبدالحميد كشك بل امتد إلى الكثيرين الذين استندوا فى هجومهم عليه إلى بعض الأخطاء فى الأحاديث النبوية التى أوردها أحيانا فى بعض كتاباته وإسناد هذه الأحاديث إلى جانب الهجوم على كتاباته بشكل عام، فعلى سبيل المثال أفرد سيد حسين العفانى فى كتابه «أعلام وأقزام فى ميزان الإسلام» سبعة عناوين منفصلة عن الكاتب هى «أنيس منصور ومتابعة للفكر التلمودى ودفاعه عن بيع الخمور والرقص وقوله عن الحجاب الإسلامى إنه خيمة»، «مواقف مخزية لأنيس منصور»، «أنيس منصور ويوسف السباعى والدعوة إلى إعادة البغاء»، «أنيس منصور على رأس الذين نقلوا ركام الفكر الغربى الحديث»، «أنيس منصور ودوره الكبير فى إحياء الأساطير الفرعونية»، «أنيس منصور والوجودية»، و«أنيس منصور يبث السم فى العسل». كما ذكره الشيخ أبوإسحاق الحوينى مع

إحسان عبدالقدوس وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ قائلا : إن أعمالهم الأدبية «تدعو إلى الدعارة، وتدعو إلى الانحلال» مضيفا أن كل هؤلاء «شكلوا عقلية هذا الجيل».

بدأ صراع أنيس منصور مع الناصريين بعد رحيل عبدالناصر بفترة عندما بدأ فى انتقاد فترة الحكم الناصري، وأكثر ما أخذ الناصريون عليه هو تباين كتاباته أثناء حياة «الزعيم» وبعد وفاته مباشرة إلى جانب علاقته بالرئيس أنور السادات ونظام حكمه وموقفه من التطبيع مع إسرائيل، وأورد الناصريون فى هجومهم عليه بعضا من كتاباته بعد وفاة عبدالناصر مباشرة، قال فى إحداها «جمال عبدالناصر ليس ماضينا المجيد فقط إنه حاضرنا وهو مستقبلنا أيضا، وكفاحه مرحلة من تاريخ أمتنا والتى مرحلة فيها الدموع والدماء والنار والدخان والمصانع والمؤسسات والطرق والأرض والثروة والكتب والدواء والذى نحتاج إليه لشعبنا المتزايد لا يزال كثيرا والقوة التى نحتاج إليها لمواجهة العدو ما تزال فى حاجة إلى قوة ووعى ولذلك فأنور السادات عندما أعلن للشعب أنه يمشى فى طريق جمال عبدالناصر كان موفقا لأن هذا هو الطريق وعندما أعلن أنه لم يأت ببرنامج جديد كان صادقا فهذا البرنامج معروف لنا جميعا وقد أكد له الأصدقاء السوفيت أنهم ثابتون على الصداقة والمعاونة لم يبق إلا أن نعاونه» ليأتى بعد ذلك كتابه «عبدالناصر المفترى عليه والمفترى علينا» الذى رأى فيه الناصريون انقلابا على عبدالناصر وهجوما على تجربته.

لم تتوقف صراعات أنيس منصور عند هذا الحد بل امتدت لأشخاص مثل أحمد أمين وجلال أمين وغيرهما، كتب فى مقال له بجريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٩ «إن أحمد أمين وضع اسمه مع زكى نجيب محمود على كتابى قصة الفلسفة اليونانية وقصة الفلسفة الحديثة دون أن يكتب فيهما حرفا واحدا.. وفى مرحلة متأخرة قال لى زكى نجيب محمود إنه وضع اسم أحمد أمين على الكتاب مع أنه لم يكتب سطرا واحدا، والسبب أن أحمد أمين هو

الناشر وإذا لم يظهر اسمه فلن يظهر الكتاب» ليتدخل الدكتور جلال أمين، ابن أحمد أمين، قائلا: «هذا الكلام عار تماما من الصحة».

وكان لأنيس منصور رأيه المكتوب فى إدارة الصراعات وكيفية مواجهة الخصوم، يقول «أحد النقاد أرسل نقدا عنيفا للأديب بول كلوول ثم سأله عن رأيه بعد ذلك. فكتب يقول له: إن مقالك أمامى الآن وسوف يكون ورائى بعد لحظات». و«لما غضب الموسيقار محمد عبدالوهاب من النقد الذى انهمر عليه، جاءت نصيحة أمير الشعراء أحمد شوقى هكذا: هات الصحف التى هاجمتك وضعها تحت قدميك سوف ترتفع عدة سنتيمترات»، و«لما هاجموا (مؤسسة أخبار اليوم) التى أنشأها التوأم مصطفى أمين وعلى أمين قالا: إن الطوب الذى ألقى على (أخبار اليوم) كانا يجمعانه ليرتفع بناء هذه المؤسسة الصحفية».



مع السادات وعثمان أحمد عثمان

«أنيس» الشاب

كان طفلا مشغولا بالخيال، يهتم بالتأمل أكثر من اللعب مع أقرانه. كان إعجابه بالغجر الذين يزورون قريته كل فترة، هو مفتاح اكتشاف شغفه بالمعرفة، فقرر أن يتعلم، ويعلم ويعرف، وأن يكون أديبا فيلسوفا رحالا، وكانت أولى خطوات تحقيق حلمه هى التفوق فى الدراسة، فبدأ بحفظ القرآن كاملا وهو فى سن صغيرة، ووهب عقله للمذاكرة، فتفوق وكان الأول على كل طلبة مصر فى المرحلة الثانوية، ليخطو خطوته الثانية بالالتحاق بقسم الفلسفة- جامعة القاهرة، ليدرس نهارا، ويجوب عقول المؤلفين والفلاسفة فى ممالك الكتب ليلاً، فأصبح متفوقا فى كل ما تعلمه، وكانت القراءة هى «سفينة الفضاء» التى حملته إلى شعوب وأفكار وعادات فى وقت كان السفر فيه صعبا، وظل طوال حياته يقرأ وهو يحمل فى عقله نصيحة والده الذهبية: «لا تقرأ إلا ما يجعلك مستمتعا.»

كان مخزون المعرفة النظرية فى عقله ووجدانه، مثل «إسكتش» للعالم مرسوم بقلم رصاص، فقرر أن يحوله إلى لوحة زيتية فخمة برحلاته حول العالم التى نقل للمصريين من خلالها عادات وتقاليد وثقافات شعوب بعيدة عنهم، وتميزت حكاياته بالكتابة العميقة البسيطة، فاحتل مكانة بين الشباب لم يصل إليها حتى أساتذته، عبدالرحمن بدوى، والعقاد، وطه حسين وغيرهم، فلا يوجد شاب مصرى لم يقرأ «الذين هبطوا من السماء» أو «الذين عادوا إلى السماء» أو «لعنة الفراعنة»، فكانت كتبه فى حقائب الطلبة فى المدارس والجامعات بجوار كتب الدراسة، وأحيانا أهم منها، وكانت أفكاره، سواء التى طرحها من خبرته أو التى نقلها فى ترجماته، مثار مناقشات بين الطلبة والشباب المصرى، لذلك هو أكثر أديب رافق الشباب وأثر فى تكوينهم ووعيهم، ولو فى مرحلة دراستهم فقط. فقد عاشوا مع رحلاته العجيبة، ومؤلفاته الخيالية،

وكانت مكتبات الجامعات والمدارس تخصص ركنا لكتبه، خاصة التى كانت تناقش مشكلات الشباب ومنها «مذكرات شاب غاضب» و«اتنين اتنين» وغيرهما.

كان موسوعيا، فأمسك بأطراف الحياة، شباب يقرؤونه، وحكام ينتظرون رأيه، وقراء يتابعون أعمدته فى الصحف، فصاحب الرؤساء دون الانغماس فى السياسة، التى وصفها بأنها «فن السفالة الأنيقة»، ودرس لطلبة فى الجامعة ناقلا لهم فلسفته وخبراته ورحلاته، ووضع فى أعمدته خلاصة رأيه فى قضايا آنية تهم البسطاء قبل المثقفين، كما يعتبر الوحيد الذى يحتفظ المصريون بمقولاته عن المرأة والزواج والحب والحياة، ويتبادلونها فى كل مواقفهم.

رحل أنيس منصور تاركا ٢٠٠ كتاب، ومئات المقولات، وعشرات الشهادات، وأثرا يمتد إلى أجيال آخرها صنع ثورة لا مثيل لها، فقال لهم نصيحة قبل أن يموت: «أخاف عليكم من الفتنة وأنتم شباب لم تلوثه السلطة بعد، وأخاف عليكم من الغرور، ومن أن تفسدكم الناس مثلما أفسدوا غيركم من قبل»، فكان يستحق تمثالا فى الدقهلية(*).



(*) إسلام حامد

أفكاره .. عندما تصبح الفلسفة قدرًا محتومًا

قرار «البنا» بفصله من «الإخوان» بسبب «القراءة ليلا» .. وكان عبد الرحمن بدوى مثله الأعلى.. ولم يجرؤ على مخالفة «العقاد»

هل كنت مستعداً لدراسة الفلسفة؟.. أعتقد ذلك، فقد كان من نصيبى أن أكون الأول على طلبة التوجيهية فى الفلسفة فى مصر كلها».

هذا ما يقوله «أنيس منصور»، لكن الحقيقة أن الأمر ليس مجرد استعداد دراسى، إن هناك شيئاً قدرياً فى المسألة، كانت الفلسفة قدره الذى لا فكاك منه، فحتى بعد أن غادرها مدرسا فى الجامعة يلقى محاضرات عن الفلسفة الوجودية وما بعد الطبيعة والفلسفة اليونانية وتاريخ الحضارة وفلسفة الجمال وعلم الأديان المقارن، واختار التفرغ للصحافة والكتابة الحرة، ذهبت معه كأن قرانا غامضا يجمع بينهما.

كل الشواهد التى يرويها هو نفسه، وما نراه واضحا فى كتاباته، صحفية أو أدبية أو حتى علمية، تنبئ بأنه لو لم يصبح صحفيا بارزاً، وروائيا ومترجما، لكان أحد أبرز المفكرين المنهجيين فى الثقافة العربية.

تنقل الفتى الآتى من البيوت الراقدة على ضفاف نيل المنصورة بين الفلسفات جميعها، وجودية واشتراكية وشيوعية ومادية وبراجماتية ودينية، مثلما استوعب كل تاريخ الأديان، فرأى فيها شيئاً مشتركاً، وضربته الحيرة التى تعصف بكل الفلاسفة والمفكرين العظماء، وتصارعت أفكار كثيرة فى روحه البريئة الواجفة.

كان أنيس عضواً فى جماعة الإخوان المسلمين، قبل أن يصدر المرشد العام، حسن البنا شخصياً قراراً بفصله منها بدعوى أنه يستهلك التيار الكهربى بسبب

مكوثه طويلا أثناء الليل فى مكتبة الجماعة بإمبابة، لكن قصة «منصور» مع الإخوان تلقى ضوءاً باهراً على قسم كبير من حيرته الطويلة فى عالم الأفكار، «كنا نلتقى فى الجمعية طلبة فى الآداب والهندسة والطب والتجارة، ولم يكن بيننا سوى شيء واحد عميق، هو: أنه لا يوجد شيء واضح ولا طريق محدداً، ولا هدف بارزاً، كأننا التقينا فى مخبأ أثناء غارة جوية، أو كأننا مجموعة من مهربى المخدرات التقينا فى نقطة بوليس، هل اتهمنا أحد بشيء؟، لم يحدث، هل نبذنا الناس فاحتمينا فى جماعة الإخوان المسلمين؟، من المؤكد أننا مسلمون نصلى ونصوم، ولكن فقط نريد أن نعرف، نريد أن نفهم، وكنا لا نجد من يقول، ولا من يدلنا على ما الذى يحيرنا».

وحدها الحيرة دفعت «أنيس» إلى الارتماء فى أحضان «الإخوان»، لكنه لم يعتنق أفكارهم، كان كمن يبحث عن ملاذ آمن حيث تسبح الرؤى، ويهدأ العقل الذى لا يكف عن الوميض، إنها حيرة المفكر الذى قد تخونه الرؤى فى بعض الأحيان، لكنه دائما ما يظل منتبها حتى لا تزل قدماه، ويسقط فى هاوية لا يعود منها أبدا، يقول: «كنت أتردد على مدرسة الطائفة الإسرائيلية فى أول شارع مصنع الطرابيش، أما الذى أدخلنى هذه المدرسة فأحد أعضاء جمعية (المفكرين الأحرار)، إنها جمعية ألفناها ونحن طلبة فى مدرسة المنصورة الثانوية، كنا ثلاثة، يهودى ومسلم ومسيحى، ولا أعرف الأسباب الواضحة التى أدت إلى تكوين جمعية غامضة الاسم، وفى الوقت نفسه فيها الكثير من الادعاء، إنها جمعية فكر، وأن هذا الفكر حر».

كان عقله الصغير لا يكف عن الحركة فى مدارات مختلفة، فى الأسطورة والتاريخ والعقائد، فى الفلسفات والأفكار والنحل، فى الفن والأدب والموسيقى والتشكيل والسينما، فى كل ما يتصل بروح الإنسان على مدار الزمن، وكانت الأسئلة تلح على روحه بلا كلل.

تتلمذ أنيس منصور على يد الدكتور عبد الرحمن بدوى، الذى يصفه بـ«أستاذنا ومثلنا الأعلى»، وكان شغوفا بالوجودية التى تلقى مبادئها على يديه، قال للعقاد الذى لم يكن يجرؤ على مخالفته، هو الذى لم يؤمن بالوجودية، ويرى

أنهـا فلـسفة عـاجزة، وأن عبـد الـرحمن بـدوى (بتـاعكم) جاهـل: «الفلـسفة الوجودية هى تعبير عـن مأسـاة العـصر، فـنحن فى أعقـاب انهيـارات فكريـة، فالإنسان قد انهار أمام نفسه وعلى نفسه، والفلسفة الوجودية تـشبه قـوس قـزح الذى يرتسم على سحاب أسود، أو مثل العفن على جثة ميتة، إنها نتيجـة طبيعيـة لما أصاب الإنسان على يد الإنسان».

لكن إيمانه بالوجودية لم يمنعه من الاقتراب من الشيوعية كمحاولة أخـرى للفهم، رغم أنه لم يكن متيما بها، «لـويس عـوض مـسؤول عـن تعـديل مـسار أفكارنا ونحن صغار، فقد كنا طيوراً جارحة جامحـة، ولكنـه اسـتطاع بالعقـل والمنطق أن يجعلنا طيورا داجنة».

الدخول إلى عقل وروح أنيس منصور، كالإبحار فى غياهب ومتاهات العقل المصرى الحديث، لقد اختزل كل أفكار وفلسفات عـصره فى روحـه الرحبـة، وكان شاهدا على صعود وانهيار الكثير من الأفكار، كان أنيس منصور موسوعة فكرية لا تحدها حدود، وهو ما انعكس بالضرورة على أدبه وكتاباته الـصحفية، وكانت الأفكار العظيمة المستعصية على الفهم تقترب على يديه بود غريب مـن رجل الشارع، فيندهش لدى قراءة فلسفة سارتر وكـامى وسـبينوزا وشـوبنهور والغزالى ونيتشه وغيرهم، كأن علاقة غريبة نـشأت بينـه وبـين هـؤلاء الكبـار، وكان أنيس، ربما دون أن يدرك ذلـك، يخـضع لقـدره، الـذى لم يفارقـه فى أى لحظة، الفلسفة(*).

(*) محمد رياض.

صلاح منتصر :
أسطورة كتابية .. وما زال لغزًا محيرًا

طبع روح الأدب على كل ما كتب.. وكانت علاقته مع الأستاذ هيكل «تطبيعًا باردًا»

وصف الكاتب الصحفى الكبير صلاح منتصر الراحل أنيس منصور بأنه أسطورة كتابية، وقال: إذا قرأت له لا تريد أن تتوقف وإذا سمعته لا تريده أن يتوقف، هذا هو أنيس منصور، الذى لم يكن كاتباً واحداً، وإنما كاتب متعدد، فلم يقتصر عطاؤه على مجال واحد من الكتابة، بل إنه طرق مجالات أخرى لم يتطرق لها كاتب آخر كالفلك والكيمياء وغيرهما، وتصورى أن أنيس منصور تأثر بأستاذه عباس محمود العقاد فى غير وجه من الوجوه، وبالأخص فى قراءاته، فلقد كان العقاد من الكتاب الذين يبحثون عن الجديد بين الكتب، وليس ما يريد فقط، وعلى ذلك سار أنيس منصور فكان مصاباً بما يمكن وصفه «النهم المعرفى» فى كل المجالات وهو ما حقق له هذا التراكم المعرفى الهائل، كما أن إتقانه ومعرفته أربع لغات هى الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والألمانية ساعده على ذلك ووسع أفق قراءاته فى سياق هذا النهم المعرفى».

ويضيف صلاح منتصر للجانب الفلسفى لدى أنيس منصور فيقول: تميز أنيس منصور بتبسيطه الفلسفة حتى صارت فى متناول القارئ العادى، ففى مجال الفلسفة لا يعرف كثير من هذه الطبقة من القراء فلاسفة مصريين كباراً مثل أستاذه الدكتور عبدالرحمن بدوى أو الدكتور زكى نجيب محمود، لكن القارئ العادى يمكنه قراءة كتابات أنيس الفلسفية، ويتواصل معها بسهولة بل يحبها، فضلاً عن أن أنيس قدم الفلاسفة الكبار لجمهور القراء من الأجانب

والمصريين، لقد كان أنيس منصور كالنحلة يحلق دون توقف على زهور المعرفة، كما عاش وسط جيل العمالقة مثل العقاد وطه حسين والحكيم وأمثالهم.

أما عن علاقة أنيس منصور بالزعماء بدءاً من عبدالناصر فقال: «إن أنيس كان فى نفسه شىء كثير من عبدالناصر، لأنه كان وراء رفده بسبب كتابات رامزة إلى الديكتاتور، حتى إنه كتب كتابا عنه بعنوان (عبدالناصر المفترى عليه والمفترى علينا) لكن أنيس اقترب من السادات حيث كان السادات لديه انفتاح فكرى وثقافى وإنسانى، فيما كان عبدالناصر يجد فى قراءاته تعويضاً عن العلاقات، ولم يكن وثيق الصلة إلا بالأستاذ هيكل، أما مبارك فكانت مشكلته فى الثقافة، فلم يتحقق ذلك التواصل الحميم بينه وبين أنيس، لكن السادات ربطته به علاقة حميمة، لأنه وجد نفسه مع كاتب رشيق يغذيه بالحكايات، وكان السادات لا يفتح قلبه إلا مع من يستريح معه ويطمئن إليه.

وعن علاقة أنيس منصور بالأستاذ هيكل يقول صلاح منتصر: «كانت علاقة أنيس بالأستاذ هيكل علاقة احترام مهنى رفيعاً وأظن أن الأستاذ هيكل شهد على زواج أنيس منصور.. أما عنه كمهاجم ومقاتل فكان صاحب نصل حاد وقوى الحجة واللغة وعميق الفكرة.. كما كان من أكبر مشجعى الكتاب الشباب حتى إنه كان يفاجئ كثيرين منهم بالكتابة عنهم فى عموده..

وإذا كان هيكل وأنيس كل منهما مشروعاً مستقلاً بذاته فإن كثيرين اعتبروا الأستاذ هيكل رمزاً صحفياً كبيراً، وبعضهم أراد التشبه به، والسير على نهجه، كما أن توجهه السياسى مختلف عن توجه أنيس منصور، ومشروعه الفكرى مختلف تماما، ويمكننى وصف العلاقة المحترمة التى ربطت بينهما أنها كانت أشبه بـ(التطبيع البارد)، وكان هيكل لا ينكر أناقة أنيس منصور وعلى الجانب الآخر لم يكن أنيس يرى نفسه أقل من الآخر حتى إنه كان ينظر لنجيب محفوظ باعتباره مشروعاً روائياً كبير يتعين عليه دراسته وتقييمه..

لكنه أبدا لم يتعال على أحد من أساتذته ولم ينس فضلهم». وعن علاقته بأنيس منصور وكيف ومتى بدأت قال منتصر: «رغم كونى تلميذاً لهيكل منذ تعرفت عليه عام ١٩٥٣ فيما تعرفت على أنيس بعد ذلك بعام تحديدا فى ١٩٥٤ عبر صديق مشترك هو حمدى فؤاد، وكان أنيس منصور يغار من هيكل غيرة محمودة، وكان يريدنى أن أبقى معه، وكان أنيس يتعامل معى وكأننى من جيله وكأننى صحفى كبير، وكنت آنذاك مازلت صحفياً شاباً».

ولأن أنيس منصور هو الذى أسس مجلة أكتوبر، وترأس تحريرها، ثم جاء صلاح منتصر رئيساً لتحريرها فلقد كانت المهمة صعبة على منتصر، حيث السؤال ما الذى يمكن أن يضيفه للمجلة بعد أنيس منصور، وفى هذا يقول منتصر: «كان الأمر بالنسبة لى مأزقاً حقيقياً، فالمجلة بدأت على يديه عملاقة، وكانت لدى أنيس منصور القدرة على أن يكتب المجلة من الجلدة للجلدة كما أضفى عليها قدراً كبيراً من التميز عبر لقاءاته بالسادات ما يعنى أننى تسلمت رئاسة تحرير مجلة ناجحة، وخشيت ألا أحقق لها نجاحا مضافا، فكان أول ما قمت به – على سبيل التقدير والعرفان – أن أصدرت أول عدد تحت رئاستى، وتتصدر الغلاف صورة كبيرة لأنيس منصور فيما يشبه الواجب والوفاء وأجريت معه حواراً، ثم سرعان ما حولت المجلة إلى هايدبارك فكرى بحكم نشأتى بين جيل العمالقة، فكتب فيها ناصريون وإسلاميون وأكاديميون، وكل رموز الفكر والسياسة..

وعن التوصيف الذى كان يفضله أنيس منصور يقول منتصر: إنه كان يحب وصفه أكثر بالأديب أكثر من الفيلسوف، وكان يقول أنا مش زى هيكل سياسى إنما أنا أديب أكتب فى السياسة أحياناً «لقد أسبغ أنيس منصور روح الأدب على كل ما يكتب سواء فى اليوميات أو التاريخ أو الفلك أو السياسة، وبصراحة ما زال أنيس منصور ظاهرة لافتة ومحيرة بالنسبة لى»(*).

(*) ماهر حسن.

بطاقة

■ ولد أنيس محمد منصور يوم ١٨ أغسطس ١٩٢٤ فى إحدى القرى المجاورة للمنصورة وحفظ القرآن الكريم فى سن صغيرة فى كُتَّاب القرية. التحق بقسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة، وحصل على الليسانس عام ١٩٤٧.

■ بدأ عمله الصحفى فى جريدة «أخبار اليوم» حتى تركها عام ١٩٧٦، وتخلل تلك الفترة عمله عامين فى جريدة الأهرام من ١٩٥٠ حتى ١٩٥٢.

■ ترأس تحرير العديد من المجلات منها: الجيل، هى، آخر ساعة، العروة الوثقى، مايو، كاريكاتير، الكاتب، كما ترأس تحرير مجلة أكتوبر التى أسسها فى ٣١ أكتوبر ١٩٧٦م وهى مجلة عربية سياسية اجتماعية شاملة.

■ عمل مدرسا للفلسفة الحديثة بكلية الآداب، جامعة عين شمس من عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٦٣، وعاد للتدريس مرة أخرى عام ١٩٧٥.

من مؤلفاته:

■ دعوة للابتسام

■ الكبار يضحكون أيضا

■ الذين هبطوا من السماء

■ الذين عادوا إلى السماء

■ زى الفل

■ فى صالون العقاد كانت لنا أيام

■ من أول السطر

■ يا نور النبى
■ إنها كرة الندم
■ نحن أولاد الغجر
■ الوجودية
■ يسقط الحائط الرابع
■ كرسى على الشمال
■ قالوا
■ يا صبر أيوب
■ يوم بيوم
■ كل شىء نسبى
■ أرواح وأشباح
■ حول العالم فى ٢٠٠ يوم
■ أعجب الرحلات فى التاريخ
■ لأول مرة
■ هناك فرق
■ اللهم إنى سائح
■ الحب والفلوس والموت وأنا
■ كائنات فوق
■ شارع التنهدات
■ الرئيس قال لى وقلت أيضا
■ شبابنا الحيران

- على رقاب العباد (يحكى أغرب حالات الوفاة فى التاريخ)
- ولكنى أتامل (مقالات)
- لعنة الفراعنة
- دعوة للابتسام
- هناك أمل

الأعمال الدرامية

- من الذى لا يحب فاطمة
- حقنة بنج
- إتنين.. إتنين
- عريس فاطمة
- غاضبون وغاضبات
- هى وغيرها
- هى وعشاقها
- العبقرى
- القلب أبدا يدق
- يعود الماضى يعود

■ بجانب تأليفه باللغة العربيّة، ترجم أنيس منصور العديد من الكتب والأعمال الأدبية إلى العربيّة، فقد ترجم أكثر من ٩ مسرحيات بلغات مختلفة وحوالى ٥ روايات، وحوالى ١٢ كتاباً لفلاسفة أوروبيين، كما ألف أكثر من ١٣ مسرحية باللغة العربية.

الجوائز:

- الدكتوراة الفخرية من جامعة المنصورة.
- جائزة الفارس الذهبى من التليفزيون المصرى أربع سنوات متتالية.
- جائزة كاتب الأدب العلمى الأول من أكاديمية البحث العلمى.
- فاز بلقب الشخصية الفكرية العربية الأولى من مؤسسة السوق العربية فى لندن.
- جائزة الدولة التشجيعية فى الآداب من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، عام ١٩٦٣.
- جائزة الدولة التقديرية فى الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام ١٩٨١.
- جائزة الإبداع الفكرى لدول العالم الثالث، عام ١٩٨١.
- جائزة مبارك فى الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام ٢٠٠١.
- له الآن تمثال فى مدينة المنصورة.

قالوا عنه

يستعصى على كثيرين تصنيف عطاء أنيس منصور فى خانة واحدة ومحددة، فهو الكاتب السياسى والصحفى وأديب الرحلات والفيلسوف والمؤرخ والمترجم ، ونسجل هنا بعض الشهادات المتنوعة لكتاب وأدباء وصحفيين ورجال سياسة.

صلاح دياب: صاحب مدرسة ومنهج فى الكتابة:

كان أنيس منصور قد كتب عن المهندس صلاح دياب فى أحد أعمدته فى «الأهرام» كما ربطتهما علاقة حميمة، وعن هذا يقول المهندس صلاح دياب: «أعتبر هذا المقال الذى أشرت إليه وساماً على صدرى، لأن أنيس منصور كاتب رفيع المستوى والمقام فهو من أقطاب الصحافة المعاصرة وصاحب مدرسة ومنهج فيها، كما أن أحداً لا يمكنه إرغامه على كتابة ما يخالف قناعاته، كما يكمن تفرد أنيس منصور أن كتاباته لم تقتصر على الكتابة الصحفية أو السياسية، وإنما تتميز بالتنوع والجذب فكتب فى أدب الرحلات على نحو يشعرك أنك ترى وتسمع ما يكتبه وكتب فى السياسة بأسلوب جاذب وتحليلى عميق وترجم عن الغرب وعن أكثر من ثلاث لغات، كما كتب اليوميات وفى التاريخ ومن الكتب التى أحبها له كتاب (كانت لنا أيام فى صالون العقاد) وعن تنوع كتاباته فقد كان أغزر الكتاب إنتاجا وأكثرهم تنوعاً وجذباً ويمكننى إيجازا القول بأن أنيس منصور رجل يفكر وهو يكتب ويكتب وهو يفكر».

بطرس غالى: كان يبحث عن الجانب المضحك:

كان أنيس منصور شخصية متنوعة الثقافات، وقد اهتم بشؤون متنوعة فى كتبه وكتاباته، كما كانت له اهتمامات موسيقية وفلكية كما تنوعت كتاباته بين التاريخ والأدب والفلسفة والسياسة، كما كان لأنيس قدرة على إدراك الجانب المضحك فى الحياة وفى أى قضية يتحدث فيها أو يكتب عنها، وكان الكاتب

الوحيد الذى أداوم على قراءة مقاله اليومى بانتظام، لأن أسلوبه خفيف وسلس وعميق، وحين كان يتناول موضوعاً ما لا يسعى لتحليله علميا ولا يقترح طرقا لمعالجته أو حلولا له، وإنما يطرح القضية بأسلوب بسيط وجاذب على نحو يغرى قارئ المقال بالبحث فى المزيد من المراجع للقراءة بتعمق فيه والبحث عن حلول، وأذكر أنه سافر معى لأفريقيا وزرنا إثيوبيا وكينيا والصومال، وأذكر أننا جالسنا رئيس الصومال وسهرنا معه حتى الثالثة صباحا، وكنت أحب أن ألتقيه دائماً، وكان يضفى طابع الفكاهة على الموضوعات التى نتحدث فيها، يعنى كان يبحث عن الجانب المضحك فى الحياة حتى نصبح قادرين على احتمالها، أما السادات فكان يحبه لأنه كان حكَّاء، كما كان يأتمنه على ما يقول، ومن المواقف التى لا أنساها فى هذا السياق حين زار شاه إيران مصر للمرة الثانية، حين تم خلعه وكان خارج السلطة، وكان يسلم علينا واحدا تلو الآخر، وكنت إلى جوار أنيس منصور فهمست له قائلاً : لو كنت أنا المسؤول فعلا لكنت دعوت الخومينى لا الشاه، فما كان من أنيس إلا أن نقل تعليقى هذا للسادات فغضب منى ولم يتصل بى لأيام، وأنا بدورى خاصمت أنيس ولا أعرف كيف جرت المياه فى مجاريها بسرعة بينى وبينه مرة أخرى ونسينا الموقف.»

صبرى الشبراوى: كان مثلنا الأعلى:

نحن من أبناء محافظة الدقهلية، وكان «أنيس منصور» هو النموذج لنا، وكانت أمنيتنا أن نصير مثله، كأى شاب يحتذى بنموذج يقتدى به، وفى جيلنا كان أنيس منصور هذا النموذج كمفكر وفيلسوف ومبدع ومحب للحياة، هو اختلف عن المفكرين الذين يحبون أن يدخلوا الصندوق، أما هو فقد خرج منه، وواجه المجتمع بأفكاره ودفع ثمن الحرية هذه بمواجهاته لأعداء الفكر ومحاربتهم له حين كتب عن الوجودية، فقد كان محباً للحرية.

وحيد حامد: كان متذوقاً للموسيقى والشعر:

كان الأستاذ أنيس منصور صديقاً عزيزاً، وكان يحبنى ويحب كتاباتى، وحين كنت أكتب فى روزاليوسف لم يكن يعلم أنى على علاقة طيبة بالأستاذ محمد عبدالمنعم، رئيس مجلس الإدارة، فكان أن اتصل به يوصيه بى خيرا، وكنت لا أتقاضى أجرا على هذه الكتابات.

ومما لاشك فيه أن الأستاذ أنيس منصور كان ركيزة ثقافية وفلسفية بارزة وصاحب تأثير وكلمة مقروءة ومستوعبة ومهضومة، وكان يتمتع برؤية ثاقبة، كما كانت له إسهامات أخرى وكان ذواقة للموسيقى والشعر، ولم يكن مجرد كاتب نمطى والسلام، ولعلنى هنا أذكر له أنه جمع لى أصواتا حين تم ترشيحى لجائزة الدولة التقديرية، وبرحيل أنيس منصور تخلو مساحة واسعة فى الفكر الإنسانى والمصرى والعربى.

صلاح عيسى: «مبارك» منعه من نشر كتاب عن «السادات» :

التقيت به مرة واحدة، وكانت بخصوص كتابه عن «السادات»، وحكى لى عن هذا الكتاب حيث كان «السادات» له وقت مخصص للمشى، وكان يحب أن يرافقه «أنيس»، وكانا أثناء المشى يدردشان ويتحدثان، وكتب أنيس هذه الدردشة، وأراد أن ينشرها، ورأى أنه لابد أن يستأذن من الرئيس السابق «مبارك»، لأن هذه الدردشة كانت بها معلومات تخص الدولة وتخص «مبارك» أيضا، لكن «مبارك» بعد قراءته الكتاب أشار عليه أن يؤجل نشره، ولم يُنشر إلى الآن، وأتمنى أن يكون مخطط هذا الكتاب موجوداً إلى الآن، ويتم نشره فى الفترة المقبلة، وفى الفترة الأخيرة كتب مقالتين تحت عنوان «فى صحبة السادات كانت لنا أيام» وأعتقد أن هذا جزء من الكتاب.

على سالم: كان يشكو من الأرق والآن ينام بعمق:

عندما كنت فى بدايتى فى المسرح، وتقدمت بعمل مسرحى كان هو عضو لجنة القراءة، أذهلنى أنه إنسان بنزاهة عقلية عالية جداً، ومحب للإبداع والفن، وبوفاته تنطوى صفحة للإبداع، لأنى أعتقد أنه آخر شخص من الأقلام العظيمة فى جيله، كان قلقاً طوال الوقت وترجم هذا إلى إبداع فى مجالات

عديدة، قدم للمسرح المصرى أعمالاً من تأليفه، وقدم ترجمات مهمة وعرّفنا بـ«فريدريشديرنمات» وكان صديقه أيضا شخص غزير الإنتاج، الأفكار تطارده وتسعى إليه ولا يسعى هو إليها، أول من أدرك أهمية السلام كقيمة عليا سامية وقام بدور مهم للغاية فى عملية السلام مع إسرائيل، فقد وقف بجوار السادات فى وقت كان الناس والكتاب لم يفهموا هذه الخطوة، وأثبت مع الوقت أنه كان صحيحا فى موقفه.

مفيد فوزى: علّمنى الانضباط والتأمل:

أنيس منصور أكثر من قابلتهم فى حياتى انضباطاً فى الكتابة، بل أذكر أنى تعلمت منه هذا الانضباط، فلا يعقل أن يطلبه سكرتير التحرير ليذكره بموعد تسليم المقال، إن جزءاً أساسيا فى «أنيس منصور» هو الانضباط المهنى الذى لا مثيل له فى العمل الصحفى، والمزاج عند «أنيس» لا يتحكم على الإطلاق فى كتابته، وأحزانه الشخصية لا تعطله عن أداء عمله. «أنيس» عاش للحرف بل إن الكلمة لديه هى الحياة، هى الداء، هى الدواء، وأتصور أنه كان مخلصا لكل مكان عمل فيه، فلقد كان أحلى ما يواجهه فى حياته هو التعليق على ما يكتبه سلبا أو إيجابا.

عمرو موسى: أديب متميز:

أنعى للعرب جميعا وفاة كاتب كبير وأديب متميز عشنا معه ومع كتبه ومقالاته وتعليقاته وقفشاته لعشرات السنين، وكنت أينما تول وجهك شطر أى صحيفة عربية تجد له مقالاً أو حضوراً، فمثلا فى مقاله فى الشرق الأوسط يتحدث عن الفكر والفلسفة وفى «الأهرام» تجد مقاله المفتوح على الحياة وشؤونها وهمومها، وكثيرا ما يتبادل العمودان الأفكار وتتقاطع فيهما الأفكار. لقد كان أنيس منصور سهلاً فى إقامته للعلاقات الإنسانية، وكانت له نوادر كثيرة كما كانت له إسهامات سياسية، وبالأخص فى عصر السادات، كما لا ننسى له تأسيسه لمجلة أكتوبر فى سنواتها الأولى والتى ولدت قوية، وكان مما يميزها الملفات والبحوث التاريخية عن مصر فى تاريخها المعاصر، والتى قلما تجدها أو تجد لها مكانا فى الصحف والمجلات الأخرى، ومن الكتب التى

أحبها لأنيس منصور كتابه «٢٠٠ يوم حول العالم» خاصة أنه حكى لى ولبعض الأصدقاء الكثير من تفاصيل هذه الرحلات، وبعضها لم يتضمنها الكتاب، وأعود لأعزى الأمة العربية فى واحد من القامات الصحفية والأدبية فى مصر.

محسن محمد: أكبر مثقف فى مصر:

أنيس منصور أكبر كاتب مثقف فى مصر، وكان مهووسا باقتناء الجديد دائما فى عالم الكتب، وأذكر أننا حين كنا نسافر للخارج مثلا وبالأخص إلى أمريكا كنا نتسابق فى الوصول إلى المكتبات ومنافذ بيع الكتب المهمة، كما كان يدهشنى بمعرفته لعناوين الكتب الصادرة حديثا فى دول العالم، وأزعم أن أحداً لا يختلف حول الثقافة الواسعة لأنيس منصور. لقد كان أنيس يعتبر الكتب أولاده، أيضا كانت ثقافته متنوعة ومهولة تراوحت بين المسرح والسياسة والأدب والفلك والفضاء وكان أول كتبه حول المخلوقات الفضائية الخرافية. أنيس أيضا كان صديقا محترماً وجميلاً للكُتّاب وأهل الفن، وحين تقرأ كتابه «كانت لنا أيام فى صالون العقاد» لا تشعر أنه كان فقط تلميذاً أو صديقاً للعقاد، وإنما إنسان تشرّب كل فكر العقاد، ويعرف عنه كل شىء، يعنى لم يكن متفرجاً أو مشاركاً عادياً وإنما شريك فى صنع هذه الأجواء وموثق لها. إن رحيل أنيس منصور ليس خسارة فقط للأدب والفلسفة الوجودية وإنما للتاريخ والأدب والصحافة والفن، ولقد صدمت بنبأ وفاته.

أما عن علاقته بالسادات أو عبدالناصر، فلم تكن له علاقة حسنة بعبدالناصر، لأن عبدالناصر قام بفصله بسبب كتاباته التلميحية عن الديكتاتورية، أما السادات فلم يكن أنيس منصور له مجرد صديق، وإنما كان يحبه لأنه اعتبره مصدر ثقة وموضع سر، كما أن أنيس مؤرخ وحكّاء رائع ومستمع جيد ومحلل رفيع المستوى، حتى إن أنيس بسبب هذه العلاقة كان يمكنه القول ماذا سيحدث بعد أسبوع مثلا فى مصر وفى المشهد السياسى، وقد حكى الكثير عن أسرار السادات(*).

(*) ماهر حسن ، إسلام عبد الوهاب.

وزراء «شرف» ورجال «مبارك»
فى جنازة أنيس منصور

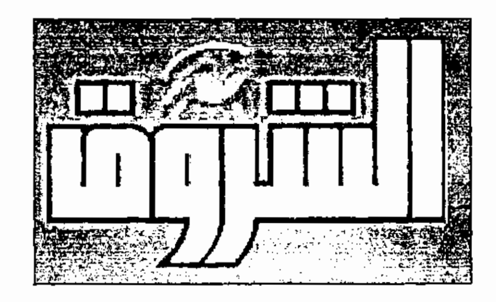
شارك عدد كبير من الوزراء الحاليين والسابقين، ورجال الإعلام والثقافة والفن، فى تشييع جثمان الكاتب الصحفى الراحل أنيس منصور، ظهر أمس، من مسجد عمر مكرم.

حضر الجنازة أسامة هيكل، وزير الإعلام، وعماد أبوغازى، وزير الثقافة، والدكتور عبدالقوى خليفة، محافظ القاهرة، والدكتور مفيد شهاب، وزير الشؤون القانونية والمجالس النيابية السابق، وفاروق حسنى، وزير الثقافة الأسبق، والدكتور عبدالعزيز حجازى، رئيس وزراء مصر الأسبق، وزاهى حواس، وزير الآثار السابق، ومصطفى الفقى، رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشورى السابق، ومكرم محمد أحمد، نقيب الصحفيين السابق، والدكتور على السمان، رئيس لجنة حوار الأديان بمجلس الوزراء، والأنبا بسنتى، أسقف حلوان والمعصرة، وعدد من الفنانين، منهم محمود عبدالعزيز، وأشرف عبدالغفور، ولبلبة، ويسرا، وجلال الشرقاوى، ونهال عنبر، ودلال عبدالعزيز، وعدد كبير من زملاء الكاتب الراحل، منهم صلاح منتصر، وإبراهيم نافع، وجمع غفير من الصحفيين وأعضاء مجلس النقابة.

وتسبب الزحام الشديد وصراع عدسات المصورين على التقاط صور لمنى رجب ــ ابنة منصور بالتبنى ــ فى إصابتها بحالة من الانهيار، خاصة بعد أن توسلت للمصورين أكثر من مرة بالتوقف عن ملاحقتها.

واعتبر فاروق حسنى أن «منصور» آخر جيل العمالقة الذين بدؤوا مع بداية القرن العشرين وينتهون اليوم بوفاته. وطالبت الفنانة يسرا الهيئات والمؤسسات الثقافية بالعمل على تربية جيل جديد، مثل هؤلاء العمالقة الذين قالت إنهم لن يعوضوا.

وأشاد أسامة هيكل بالكاتب الراحل، ووصفه بـ«العملاق الصحفى» والأديب والفيلسوف الذى لا يمكن تعويضه. ووصفه مفيد شهاب بأنه كان عملاقا من جيل العمالقة. وقال الفنان جلال الشرقاوى: إن منصور كان يخدم العلم والأدب لآخر قطرة فى دمه.



رحيل أنيس منصور.. فيلسوف الصحافة.. وأديب السياسة

مع النفس الأخير الذى لفظه الكاتب الكبير أنيس منصور، لا يستطيع المرء تصور فراغ عموده «مواقف» فى الزميلين الأهرام والشرق الأوسط، فهذه المواقف كانت لسنوات ــ تزيد على الخمسين عاما ــ رفيق درب ملايين من المصريين والعرب ، إذ انشغلت بالبحث عن الطبيعة وما وراءها والسياسة وتفاصيل علاقة الرجل والمرأة باعتبارها هذا اللغز الذى حير منصور وقراءه.

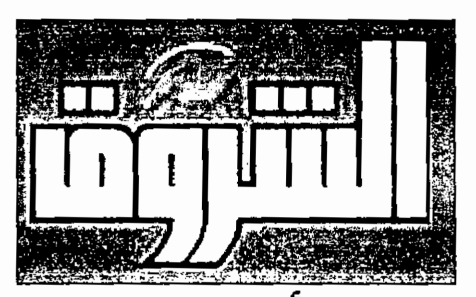
ولد أنيس منصور عام ١٩٢٤ بمدينة شربين بمحافظة الدقهلية ، نشأ وسط ريف القاهرة الرائق فى العشرينيات ، لكن أبرز ما اختار معجبوه على صفحة فيس بوك لتقديم كاتبهم المحبوب هو أنه «أعجب بحياة الغجر الذين كانوا أحيانا يزورون قريته» ، فهل كان لذلك أثر واضح على الطريقة التى قرأ بها منصور كتب أبيه التى كون من خلالها ثقافة واسعة بغرائب وطرائف البلاد والعباد؟ هذا ما قد تدركه بين آلاف السطور التى كتبها منصور فى عموده المنتظر منذ أكثر من ٣٥ عامًا.

لا يمكن تجاهل حقيقة أن أنيس منصور جدد فى اللغة الصحفية ، فهو واحد من الجيل الذهبى فى ثراء الكتابة ، وكثافتها فليس هناك من يستطيع أن

يكتب عمودين يوميًا بلغة رشيقة ومنضبطة، كما كان يفعل أنيس منصور، أيضًا قدم إشكالا جديدة ومختلفة من الصحافة ، فهو رائد المغامرة الصحفية والكتابة عن الرحلات.

كانت طريقة منصور لا تعير اهتماما للقضايا الكبرى فقال فى آخر حواراته الصحفية مع جريدة الأهرام: «أتمنى للأهرام صحافة لا تصنعها الأحداث»، ومن هذا المنطلق تميز أسلوبه الصحفى بأنه «صاحب الأنا الأكبر فى الصحافة» كما وصفه أحمد زكى، فتجد معظم مقالاته مكتوبة بحس السيرة الذاتية».

مع أنه كتب عن آرائه آلاف المرات؛ لم يعرف لأنيس منصور موقفا سياسيا واضحا كما فعل كل أبناء جيله، فهو على سبيل المثال أخذ حظا من الذيوع فى الفترة الناصرية، ونال جائزة الدولة التشجيعية، لكنه بعد موت عبدالناصر تنكر له، وكتب (عبدالناصر المفترى عليه والمفترى علينا)، كما قال أحمد زكى. فقد انتمى أنيس منصور للهيئة السعيدية وهو حزب صغير منشق عن الوفد فى بداية حياته، لكن بعد ذلك ساد فكره السياسى «حالة ضبابية»، كما أكد أحمد زكى، فهو الصديق المقرب للرئيس محمد أنور السادات وعضو مجلس الشورى لـ٢٠ عاما خلال حكم مبارك، والمنتقد الحاد له بعد خلعه.



ورحل أنيس منصور

رائد المغامرات الصحفية

قضى أنيس منصور سنوات طويلة من حياته متأملا فى أدب «ما وراء الطبيعة» حتى أصبحت كتاباته فى هذا المجال الأكثر انتشارا بين القراء والمثقفين ، من منا لا يتذكر «الذين هبطوا من السماء ، والذين عادوا إلى السماء» ، و «لعنة الفراعنة».

ذكريات سنوات طفولته الأولى التى قضاها فى كتَّاب قريته «السنبلاوين» بمحافظة الدقهلية حيث كان يحفظ القرآن الكريم – وثقها فى كتابه «عاشوا فى حياتي» ، واشتهر بالنباهة والتفوق فى مراحله الدراسية المختلفة، وفى دراسته الثانوية كان الأول على كل طلبة مصر حينها ، وبعد مسيرة حافلة بالعطاء صُنع له تمثال فى المنصورة تقديرا لمكانته.

التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة برغبته ، دخل قسم الفلسفة الذى تفوق فيه ، وحصل على ليسانس الآداب عام ١٩٤٧م ، وعمل أستاذًا فى القسم ذاته ، ثم فى جامعة عين شمس لفترة ، ثم تفرغ للكتابة والعمل الصحفى فى مؤسسة أخبار اليوم.

انخرط فى العمل الأدبى وبدأ فى كتابة الروايات وترجمة البعض الآخر ، حيث كان يجيد عدة لغات منها: الإنجليزية والألمانية والإيطالية ، مما ساعده على ترجمة أكثر من ٩ مسرحيات بلغات مختلفة و٥ روايات و١٢ كتاب لفلاسفة أوروبيين ، كما ألف أكثر من ١٢ مسرحية باللغة العربية.

جاب العالم من شرقه إلى غربه ، سافر دولا عديدة وألف كتبا كثيرة فى أدب الرحلات ، وكان الأول فى هذا النوع من الآداب ، أهمها «بلاد الله لخلق الله».. غريب فى بلاد غريبة.. و«اليمن ذلك المجهول» و «أعجب الرحلات فى التاريخ» و«أنت فى اليابان وبلاد أخرى» و«أطيب تحياتى من موسكو» و «حول العالم فى ٢٠٠ يوم»، وهو الأكثر انتشارًا.

تميز بطقوس خاصة فى الكتابة ، يقوم ليكتب فى الرابعة صباحًا ، ولا يكتب نهارًا ، كما يفضل الكتابة حافى القدمين، ومرتديا «البيجاما» ، واشتهر بقلة ساعات نومه ومعاناته من الأرق باستمرار.

كانت بداية علاقته بصاحبة الجلالة من مؤسسة «أخبار اليوم» حينما انتقل إليها مع كامل الشناوي، ثم ما لبث أن تركها وتوجه إلى «الأهرام» عام ١٩٥٠م، واستمر فيها لمدة عامين فقط، ثم سافر والشناوى إلى أوروبا ، وفى ذلك الوقت قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، فأرسل أول مقالاته إلى «أخبار اليوم» ، لكنه كان يردد: لا أحب العمل الصحفى البحت ، فأنا أديب كنت وسأظل أعمل فى الصحافة.

عمل مدرسًا للفلسفة الحديثة بكلية الآداب جامعة عين شمس من عام ١٩٥٤م حتى ١٩٦٣م ، ثم عاد للتدريس مرة أخرى عام ١٩٧٥م.

ظل يعمل فى أخبار اليوم حتى تركها فى عام ١٩٧٦م ليكون رئيسًا لمجلس إدارة دار المعارف ، ثم أصدر مجلة أكتوبر فى نفس العام، وترأس تحرير عدد من المجلات منها : «الجبل» ، و«هي» و«آخر ساعة» ، و«العروة الوثقى» و«مايو» و«كاريكاتير» و«الكاتب».

حصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة المنصورة، بالإضافة إلى عدد من الجوائز أهمها «الفارس الذهبى من التليفزيون المصري»، لمدة أربع سنوات متتالية، و«الدولة التقديرية فى الآداب»، و«الإبداع الفكرى لدول العالم الثالث»، و«كاتب الأدب العلمى الأول» من أكاديمية البحث العلمى ، و«مبارك فى الآداب» ، كما فاز بقلب «الشخصية الفكرية العربية الأولى من مؤسسة السوق العربية فى لندن.

أنيس منصور.. وداعًا

أشهر قارئ فى الصحافة المصرية

كتب سيرته الذاتية .. قبل الرحيل

توفى صباح أمس الكاتب الكبير أنيس منصور عن عمر يناهز ٨٧ عامًا بعد صراع قصير مع المرض ، إذ نقل إلى العناية المركزة .. بعدما أصيب مؤخرًا بالتهاب رئوى حاد وآلام فى الظهر جراء عكوفه على كتابة سيرته الذاتية.. تشيع الجنازة اليوم من مسجد عمر مكرم بعد صلاة الظهر.

أنيس منصور الذى منحه عميد الأدب العربى طه حسين لقب أشهر قارئ فى الصحافة المصرية، ولد فى ١٨ من أغسطس ١٩٢٤م ، التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة برغبته الشخصية بعدما نال المركز الأول على القطر المصرى فى المرحلة الثانوية ، دخل قسم الفلسفة الذى تفوق فيه ، وحصل على ليسانس آداب عام ١٩٤٧م ، وعمل أستاذًا فى القسم ذاته ، لكن فى جامعة عين شمس لفترة ، ثم تفرغ للكتابة والعمل الصحفى فى مؤسسة أخبار اليوم والإبداع الأدبى فى شتى صوره ، ويجيد عدة لغات منها : العربية والإنجليزية والألمانية والإيطالية ، وبجانب تأليفه باللغة العربية ، ترجم أنيس منصور العديد من الكتب والأعمال الأدبية إلى العربية ، فقد ترجم أكثر من ٩ مسرحيات بلغات مختلفة ، وحوالى ٥ روايات ، وتقريبًا ١٢ كتابًا لفلاسفة أوروبيين ، وألف أكثر من ١٣ مسرحية باللغة العربية منها: دعوة للابتسام ، الكبار يضحكون أيضا ، الذين هبطوا من السماء ، الذين عادوا إلى السماء، زى الفل ، فى صالون العقاد كانت لنا أيام ، من أول السطر ، يا نور النبى ، إنها كرة الندم، نحن أولاد الغجر، الوجودية ، قالوا : يا صبر أيوب ، ، يوم بيوم ، كل شيء نسبي، أرواح وأشباح ، حول العالم فى ٢٠٠ يوم ، أعجب الرحلات فى التاريخ، لأول مرة ، هناك فرق، اللهم إنى سائح ، الحب والفلوس والموت وأنا ، كائنات فوق شارع

التنهدات، الرئيس قال لى وقلت أيضًا.. شبابنا الحيران، على رقاب العباد (يحكى أغرب حالات الوفاة فى التاريخ)، ولكنى أتأمل (مقالات)، لعنة الفراعنة، دعوة للابتسام، عبد الناصر المفترى عليه والمفترى علينا، إلا فاطمة، القلب يدق أبدًا، شباب شباب، مذكرات شاب غاضب، مذكرات شابة غاضبة، الخالدون مائة أعظمهم محمد «مترجم».

له العديد من الأعمال الدرامية التى تحولت إلى مسلسلات تليفزيونية، منها: من الذى لا يحب فاطمة، حقنة بنج، اتنين .. اتنين، عريس فاطمة، غاضبون وغاضبات، هى وغيرها، هى وعشاقها، العبقرى، القلب أبدًا يدق، يعود الماضى يعود.

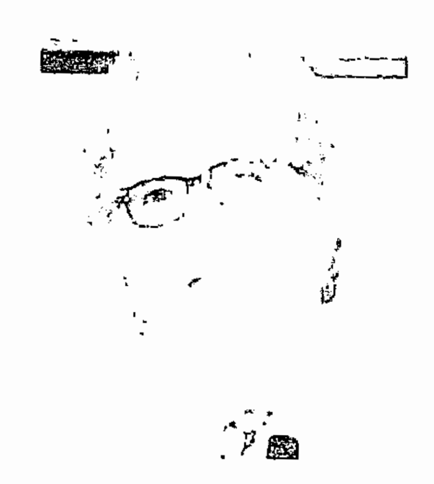
حصد العديد من الجوائز طوال مسيرته الصحفية والثقافية، منها: الدكتوراة الفخرية من جامعة المنصورة، جائزة الفارس الذهبى من التليفزيون المصرى أربع سنوات متتالية، جائزة كاتب الأدب العلمى الأول من أكاديمية البحث العلمى، فاز بلقب الشخصية الفكرية العربية الأولى من مؤسسة السوق العربية فى لندن، حصل على لقب كاتب المقال اليومى الأول فى أربعين عامًا ماضية، جائزة الدولة التشجيعية فى الآداب من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٦٣م، وجائزة الدولة التقديرية فى الآداب من المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٨١م، جائزة الإبداع الفكرى لدول العالم الثالث عام ١٩٨١م، جائزة مبارك فى الآداب من المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠١م، وله الآن تمثال فى مدينة المنصورة.

عاصر الكاتب المخضرم أنيس منصور فترة جمال عبد الناصر، وكان صديقًا مقربًا للرئيس الراحل محمد أنور السادات، وتولى رئاسة تحرير العديد من المجلات، منها: الجيل، هي، آخر ساعة، أكتوبر، العروة الوثقى، مايو، كاريكاتير، الكاتب يكتب فى جريدة الأهرام المقال اليومى الأكثر قراءة مواقف، ويكتب أيضا فى جريدة الشرق الأوسط مقالا يوميًا معنونًا.



١٧ السبت ٢٢ أكتوبر ٢٠١١

أنيس منصور فارس الكلمة
ينهى رحلة ٨٧ سنة حول العالم



مصر فقدت الأديب والفيلسوف

أنيس منصور حاصد الجوائز ومؤلف الإبداعات .. وفارس الأساطير

٢٠٠ يوم حول العالم أشهر المؤلفات .. وأعمال درامية بالجملة



فى رثائه على «الفيس بوك»

مات .. عاشق القراءة

أكثر من حزن على الكاتب الراحل أنيس منصور جيل الشباب الذين يعتبرونه كاتبهم الأول ، وقاموا برثائه على «الفيس بوك» خصوصًا على صفحته غير الرسمية والتى تضم أكثر من ١٥٠ ألف معجب شاب، قام بعضهم بتغيير صورة «بروفايلهم» الشخصى إلى صورة أنيس منصور.

قال محمد مصطفى فرحات: ما أصعب تلك اللحظات التى يفارق فيها فيلسوف ومفكر بقيمة أنيس منصور عن عالمنا ، ولكم عزاؤنا وجود كتبه وأفكاره ، وداعًا يا أستاذ أنيس منصور ، وداعًا يا من علمتنا كيف نقرأ.

وافقته مروة رمزى أحمد الغباشي.

البقاء لله فى صاحب قلم سطر لنا حروفا من نور أضاء لنا كثيرًا ، وتعلمنا منه الكثير ، وعلق محمود مجاهد: البقاء لله فى رجل عرفت منه معنى الإصرار، وعشقت معه كلمة اقرأ.. رجل كان معلمًا بقلمه.

ومن قرائه العرب كتب تركى التويجرى رحمك الله رحمة واسعة.. وكان العالم يضيق بتناقض الفلاسفة أمثالك يا أنيس.. ويفرح بتناقص الطغاة أمثال ابن معمر.

وقال عبد الرحمن الزهراني: انطفأت شمعة من شمعات العالم برحيلك يا أنيس ، ظلام حل فى سماء الأدب رحلت ورحل الإبداع معك.

ومن كلماته كانت رثاء دعاء صبري: كل شيء فى الدنيا تعب إلا الموت فهو نهاية كل تعب .. رحمك الله أنيس منصور.

نفس ما فعله محمد نجاح بكلمات أخرى:

رحلة الموت:

هناك رحلة واحدة يقطعها الإنسان وحده ولا يموت معه أحد ولا يموت له أحد ، لا يسمع فيها كلمة وداع ، ولا تجدى فيها دموع ، ولا تنفع معها دعوات هذه الرحلة هى : الموت.

فقدت مصر والعالم العربى الأديب العربى الكبير والفيلسوف أنيس منصور بعد صراع مع المرض عن عمر يناهز ٨٧ عامًا .. ولد الأديب الكبير فى ١٨ من أغسطس ١٩٢٤م بقرية بجوار مدينة المنصورة بالدقهلية .. عمل أنيس منصور رئيس تحرير العديد من المجلات، منها: الجيل ، هى ، آخر ساعة ، أكتوبر ، العروة الوثقى ، مايو ، كاريكاتير، الكاتب، أسس مجلة أكتوبر فى ٣١ من أكتوبر ١٩٧٦م ، وهى مجلة عربية سياسية اجتماعية شاملة.

حفظ أنيس منصور القرآن الكريم فى سن صغيرة فى كتاب القرية ، وكان له فى ذلك الكتاب حكايات عديدة ، حكى عن بعضها فى كتاب عاشوا فى حياتي، وفى دراسته الثانوية كان الأول على طلبة مصر حينها.. وهذا تتمة تفوقه فى السنين السابقة التى اشتهر فيها بالنباهة والتفوق حتى أنه إذا جاءت حصص اللياقة البدنية كان المدرسون يقولون له – كما ذكر هو فى كتابه عاشوا فى حياتى - : بلاش كلام فارغ ، انتبه لدروسك ومذكراتك.. الأولاد دول بايظين، لأنهم كانوا يرون فيه مستقبل باهر وشخصية فريدة.

التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة برغبته الشخصية ، دخل قسم علم الفلسفة الذى تفوق فيه ، وحصل على ليسانس آداب عام ١٩٤٧م ، وعمل أستاذًا فى القسم ذاته ، لكن فى جامعة عين شمس لفترة ، ثم تفرغ للكتابة والعمل الصحفى فى مؤسسة أخبار اليوم، والإبداع الأدبى فى شتى صوره.

كما أنه له العديد من الأعمال الدرامية التى تحولت إلى مسلسلات تليفزيونية منها : من الذى لا يحب فاطمة ، وهى وغيرها، وحقنة بنج ، وهى وعشاقها ، واتنين .. اتنين ، والعبقري، وعريس فاطمة ، والقلب أبدًا يدق ، وغاضبون وغاضبات ، ويعود الماضى يعود.

وبجانب تآليفه باللغة العربية ، ترجم أنيس منصور العديد من الكتب والأعمال الأدبية إلى العربية ، فقد ترجم أكثر من٩ مسرحيات بلغات مختلفة

وحوالى ٥ روايات مترجمة ، وتقريبًا ١٢ كتاب لفلاسفة أوروبيين، كما ألف أكثر من ١٣ مسرحية باللغة العربية.

حصل على العديد من الجوائز ، منها الدكتوراة الفخرية من جامعة المنصورة ، وجائزة الفارس الذهبى من التليفزيون المصرى أربع سنوات متتالية ، وجائزة كاتب الأدب العلمى الأول من أكاديمية البحث العلمي، وفاز بقلب الشخصية الفكرية العربية الأولى من مؤسسة السوق العربية فى لندن ، وحصل على لقب كاتب المقال اليومى الأول فى أربعين عامًا ماضية ، وجائزة الدولة التشجيعية فى الآداب من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٦٣، وجائزة الدولة التقديرية فى الآداب من المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٨١ وجائزة الإبداع الفكرى لدول العالم الثالث عام ١٩٨١م ، وجائزة مبارك فى الآداب من المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠١م ، وله الآن تمثال فى مدينة المنصورة.

عدة لغات:

يجيد أنيس منصور عدة لغات منها :العربية والإنجليزية والألمانية والإيطالية ، أطلع أنيس منصور على كتب عديدة فى هذه اللغات وترجم بعضا من الكتب والمسرحيات نذكر منها: سافر أنيس منصور ودار الدنيا فى كل اتجاه ، فكتب الكثير فى أدب الرحلات، وربما كان الأول فى أدب الرحلات ، وألف كتبا عديدة نذكر منها حول العالم فى ٢٠٠ يوم ، وبلاد الله لخلق الله ، غريب فى بلاد غريبة ، واليمن ذلك المجهول وأنت فى اليابان ، وبلاد أخرى ، وأطيب تحياتى من موسكو ، وأعجب الرحلات فى التاريخ، وكتابه حول العالم فى ٢٠٠ يوم هو الأكثر انتشارًا باللغة العربية.

وفى فترة من الفترات كانت كتابات أنيس منصور فيما وراء الطبيعة هى الكتابات المنتشرة بين القراء والمثقفين ، ومن أشهر كتبه فى هذا المجال : الذين هبطوا من السماء ، الذين عادوا إلى السماء، لعنة الفراعنة.

رئيس تحرير العديد من المجلات منها: الجيل ، هى ، آخر ساعة ، أكتوبر ، العروة الوثقى ، مايو، كاريكاتير ، الكتب.

عمل مدرسًا الفلسفة الحديثة بكلية الآداب جامعة عين شمس من عام ١٩٥٤ م حتى عام ١٩٦٣ ، وعاد للتدريس مرة أخرى عام ١٩٧٥م.

الآن يكتب فى جريدة الأهرام المقال اليومى الأكثر قراءة: مواقف ، ويكتب أيضا فى جريدة الشرق الأوسط مقال يومى معنون.

كانت بدايات أنيس منصور فى عالم الصحافة فى مؤسسة أخبار اليوم إحدى أكبر المؤسسات الصحفية المصرية حينما انتقل إليها مع كامل الشناوى ثم ما لبث أن تركها وتوجه إلى مؤسسة الأهرام فى مايو عام ١٩٥٠م حتى عام ١٩٩٢م ، ثم سافر أنيس منصور وكامل الشناوى إلى أوروبا ، وفى ذلك الوقت قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

قام أنيس منصور بإرسال أول مواضيعه إلى أخبار اليوم ، وهو نفسه كان يقول: «كانت بدايتى فى العمل الصحفى فى أخبار اليوم ، وهذا بالضبط ما لا أحب ولا أريد ، فأنا أريد أن أكتب أدبًا وفلسفة، فأنا لا أحب العمل الصحفى البحت ، فأنا أديب كنت وسأظل أعمل فى الصحافة.

ظل يعمل فى أخبار اليوم حتى تركها فى عام ١٩٧٦م ليكون رئيسًا لمجلس إدارة دار المعارف ، ثم أصدر مجلة الكواكب ، عاصر فترة جمال عبد الناصر ، وكان صديقًا مقربًا لمحمد أنور السادات.. وكلاهما من رؤساء مصر فى القرن العشرين.

عادات خاصة جدًا:

عرف أنيس منصور بأن له عادات خاصة ، فهو يقوم ليكتب فى الرابعة صباحًا ، ولا يكتب نهارًا ، ومن عاداته أيضًا أن يكون حافى القدمين ومرتدى البيجاما ، وهو يكتب أيضًا بما يعرف عنه أنه لا ينام إلا ساعات قليلة جدًا ، ويعانى من الأرق ، يخشى الإصابة بالبرد دائمًا.

مؤلفاته:

دعوة للابتسام ، والكبار يضحكون أيضًا ، والذين هبطوا من السماء، والذين عادوا إلى السماء ، وزى الفل ، وفى صالون العقاد كانت لنا أيام، ومن أول السطر ، ويا نور النبى ، وإنها كرة الندم ، ونحن أولاد الغجر، والوجودية ،

ويسقط الحائط الرابع ، وكل شيء نسبى ، وأراوح وأشباح، وحول العالم فى ٢٠٠ يوم ، وأعجب الرحلات فى التاريخ ، ولأول مرة ، وهناك فوق ، واللهم إنى سائح، والحب والفلوس والموت، وأنا ، وكائنات فوق ، وشارع التنهدات ، والرئيس قال لى ، وقلت أيضًا، وشبابنا الحيران ، وعلى رقاب العباد (يحكى أغرب حالات الوفاة فى التاريخ) ، ولكنى أتأمل (مقالات) ، وهناك أمل ، وأه لو رأيت ، وتولد النجوم وتموت ، واقرأ أى شيء ، ومصباح لكل إنسان ، وأحب وأكره ، ولعل الموت ينسانا ، وثم ضاع الطريق ، ولعلك تضحك (يحكى قصص خاصة بالأستاذ وعامة مدعاة للفكاهة) ، وقالوا (مقالات فى ثلاثة أجزاء) ، وعبد الناصر المفترى عليه ، والمفترى علينا ، وإلا فاطمة ، والقلب يدق أبدًا ، ومن نفسى وساعات بلا عقارب، وأوراق على شجر ، وشباب شباب ، ومذكرات شاب غاضب ، ومذكرات شابة غاضبة، وقل لى يا أستاذ ، وكتاب عن كتب ووجع فى قلب إسرائيل ، وداعًا أيها الملل ، وفى تلك هؤلاء العظماء ولدوا معًا ، وعزيزى فلان ، والخالدون مائة أعظمهم محمد (مترجم) ومعنى الكلام(*).

(*) يحيى علي.



السبت ٢٢ أكتوبر ٢٠١١ - ٢٤ ذى القعدة ١٤٣٢هـ - السنة الأولى - العدد ١١٢

أوصى الكاتب الكبير قبل وفاته أن يتم دفنه بجوار والدته فى مقابر العائلة الموجودة فى مدينة نصر خلف كلية البنات

رحل أنيس منصور
بعد ٥٠ سنة
«مواقف»

آخر جملة كتبها «أحمد اللّه أنه ليس لى بنت ولا ولد حتى لا يعانون بعد وفاتي.

مدير مكتبه: قام بتسليم مقالاته لـ«الأهرام» ليتم نشرها طوال فترة وجوده بالمستشفى

فيلسوف الصحافة

عدو عبد الناصر.. صديق السادات

الصامت عن مبارك

- «مواقف» أنيس منصور السياسية تستوجب الخلاف حولها ، لكن «مواقف» عموده اليومى فى «الأهرام» كان يستحق القراءة.

- كانت زوجة الكاتب الراحل أنيس منصور السيدة رجاء حجاج برفقته فى المستشفى حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

لم يعتذر يوما عن عدم الكتابة حتى بعد وفاته!

رحل أنيس منصور بعد ٥٠ عاما قضاها فى كتابة عموده اليـومى «مواقـف» فى الصفحة الأخيرة بين جريدتى «الأهرام» و«أخبار اليوم» وقبلها ما يزيد عـلى ١٠ سنوات عمل فيها محررا صحفيا ومعيدا بقسم الفلسفة بجامعة القاهرة قبل أن يتم فصله.

أمس (الجمعة) توقف قلب أنيس منصور عن النبض -عن عمر ينـاهز ٨٧ عاما- داخل مستشفى الصفا بعـد ثلاثـة أيـام قـضاها داخـل العنايـة المركـزة بالمستشفى بعد إصابته بالتهاب فى الرئة وآلام فى الصدر.

وقد أوصى الكاتب الكبير قبل وفاته بأن يتم دفنـه بجـوار والدتـه فى مقـابر العائلة الموجودة فى مدينة نصر خلف كلية البنات، وستشيع الجنازة اليوم مـن مسجد عمر مكرم عقب صلاة الظهر على أن يقام العزاء بعـد غـد (الإثنـين) فى نفس المسجد.

الغريب أن الأستاذ أنيس عندما أحس بالألم قام بكتابة عـدد مـن المقـالات لجريدتى «الأهرام» و«الشرق الأوسـط» حتـى يـستمر فى الكتابـة خـلال فتـرة وجوده بالمستشفى حتى يوم الخميس القادم، مثلما أكد لنا نبيل عثمـان مـدير مكتبه.

وكانت آخر جملة كتبها فى مقاله الأخير بـ«الأهرام»: «أحمـد الله أنـه لـيس لى بنت ولا ولد حتى لا يعانون بعد وفاتى» مثلما حدث لأبناء الأدبـاء مـن قـبلى، وأضاف رغم أننى كنت وأنا فى شبابى أحب أن أرزق ببنـت لأن أمـى جعلتنـى أحب «خلفة البنات».

كانت زوجة الكاتب الراحل أنيس منصور السيدة رجاء حجـاج، برفقتـه فى المستشفى حتى لفظ أنفاسه الأخيرة بعد أن كانت رفيقة دربه منذ قرابة نـصف القرن.

إنه عميد كتاب مصر وقراء العالم كمـا يلقبـه صـديقه الكاتـب الكبيـر أحمـد رجب، فقد قرأ ما يزيد على ٧٠ ألف كتاب و٤٠٠ دائرة معـارف، بالإضـافة إلى أنه قام بتأليف قرابة ١٨٦ كتابا، تنوعت بين أدب الرحلات والفلسفة والسياسة

والفكر من بينها «٢٠٠ يوم حول العالم» و«الذين هبطوا من السماء» و«الذين عادوا إلى السماء» وكان آخر كتبه «أوراق من حياة السادات».

خلال رحلته الطويلة فى بلاط صاحبة الجلالة ترأس تحرير عديد من المجلات منها «الجيل»، و«هى»، و«آخر ساعة»، و«العروة الوثقى»، و«مايو»، و«كاريكاتير»، و«الكاتب»، علاوة على قيامه بتأسيس مجلة «أكتوبر».

جدير بالذكر أن الكاتب الكبير حصل على عديد من الجوائز، تمثلت فى الدكتوراه الفخرية من جامعة المنصورة، وجائزة الفارس الذهبى من التليفزيون المصرى لأربع سنوات متتالية، وجائزة كاتب الأدب العلمى الأول من أكاديمية البحث العلمى، وفاز بلقب الشخصية الفكرية العربية الأولى من مؤسسة السوق العربية فى لندن.

وحصل على لقب كاتب المقال اليومى الأول فى أربعين عاما ماضية، وجائزة الدولة التشجيعية فى الآداب من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٦٣، وجائزة الدولة التقديرية فى الآداب من المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٨١، وجائزة الإبداع الفكرى لدول العالم الثالث عام ١٩٨١، وجائزة مبارك فى الآداب من المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠١، وله الآن تمثال فى مدينة المنصورة.

***

لأول مرة منذ سنوات طويلة سيظل العمود الأخير فى الصفحة الأخيرة فى «الأهرام» شاغرا على قراء الجريدة العتيقة، فقد رحل أمس الكاتب الكبير أنيس منصور، بعد آلاف الأعمدة، وآلاف المواقف، والاشتباكات، والاقتراب من السياسة والاحتراق بنارها، وعشرات الكتب والمقولات الساخرة حول المرأة والحياة.. «مواقف» أنيس منصور السياسية تستوجب الخلاف حولها، لكن «مواقف» عموده اليومى فى «الأهرام» كان يستحق القراءة، خصوصا مع سيل الحكايات المترابطة والمتشابكة الذى كان ينهال يوميا بشكل ثابت فى نفس المكان، والذى كان يترك أحيانا فى نفس القارئ سؤالا: ما الذى كان يريد أن يقوله، خصوصا أنه يبدأ بحكاية وينتهى بأخرى، دون رابط أحيانا، لكن ربما يبدو الأمر تدفقا كبيرا للأفكار من ذهن الكاتب الذى كان يكتب يوميا أكثر من

عمود فى أكثر من صحيفة مصرية وعربية.

ولد أنيس محمد منصور يوم ١٨ أغسطس ١٩٢٤، فى إحدى قرى مدينة المنصورة، حفظ القرآن الكريم فى سن صغيرة فى كُتّاب القرية وكان له فى ذلك الكُتّاب حكايات عديدة حكى عن بعضها فى كتابه «عاشوا فى حياتى»، وفى دراسته الثانوية كان الأول على كل طلبة مصر حينها، ثم التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة برغبته الشخصية، دخل قسم الفلسفة الذى تفوق فيه، وحصل على ليسانس آداب عام ١٩٤٧، وعمل أستاذا فى القسم ذاته، لكن فى جامعة عين شمس لفترة، ثم تفرغ للكتابة والعمل الصحفى فى مؤسسة «أخبار اليوم» والإبداع الأدبى فى شتى صوره.

بدايته الصحفية كانت فى مؤسسة «أخبار اليوم»، ثم ما لبث أن تركها وتوجه إلى مؤسسة «الأهرام» فى مايو عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٥٢، ثم سافر إلى أوروبا، وفى ذلك الوقت قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ظل يعمل فى «أخبار اليوم» حتى تركها فى عام ١٩٧٦ ليكون رئيسا لمجلس إدارة «دار المعارف»، عمل رئيسا لتحرير عديد من المجلات منها: «الجيل، هى، آخر ساعة، أكتوبر، العروة الوثقى، مايو، كاريكاتير، الكاتب».

كانت حياته الصحفية حافلة، وهى التى أدخلته جنة السياسة، فقد كان قريبا من الرئيس الراحل أنور السادات، وظل أنيس منصور يروى حكاياته مع السادات فى عموده فى الأهرام» طوال الوقت، لكن ربما كان قربه من السادات، هو السبب فى أنه أصبح واحدا من أشهر المطبعين فى مصر، يتحدث دائما عن أصدقائه اليهود، ويدافع عن اتفاقية السلام، ويروى ذكرياته فى «كامب ديفيد»، لكن يبدو أن لعنة السادات ظلت تطارده حتى قرر أن يطلقها تماما، ففى السنوات التى كانت مصر تمر فيها بأيام حاسمة، كان يخرج فى عموده فى «الأهرام» أو «الشرق الأوسط»، ليتحدث عن حكاياته، وذكرياته، ولعنة الفراعنة.

ظل أنيس منصور فى كتاباته صديقا للسادات يدافع عنه، بنفس القدر الذى يهاجم به الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، فى حين ظل صامتا تماما على نظام مبارك، وربما يبرر هذا أنه حصل على عديد من الجوائز أيام مبارك، لكن بعد

سقوط النظام السابق، خرج أنيس منصور فى حوار على جريدة «أخبار اليوم» وفتح «صندوقه الأسود»، ليصف مبارك بأنه «حرامى وطنى»، معتبرا أن مبارك لم يكن زعيما وورث ثروة مصر دون أى مجهود مثله مثل واحد يجلس بجوار سائق تاكسى وفجأة ضُرب هذا السائق بالنار فأخذ مكانه، لقد تسلم مصر جاهزة فلم يقل شيئا ولم يفعل شيئا فقط رفع العلم على طابا. وعن سوزان ثابت قال إنه جلس معها ١٧ جلسة باحثا عن جوانب تستحق الكتابة عنها فاكتشفت إنها «فاضية، وماعجبتنيش».

وربما لهذا السبب عرف أنيس منصور بفيلسوف الصحافة، ومقولاته عن المرأة والحياة، التى كان ينشرها كل جمعة فى عموده الأهرامى، لكن ربما كان الحدث الأكبر فى حياته الفلسفية هو الذى نجم عن علاقته بالكاتب الكبير عباس العقاد، الذى حكى عنه، فى كتابه «فى صالون العقاد كانت لنا أيام»، لكن أنيس منصور لم يكتب فى الفلسفة فقط، فقد اشتهر أيضا بكتابته فى أدب الرحلات، وله فى هذا المجال عديد من الكتب، منها» حول العالم فى ٢٠٠ يوم، بلاد الله لخلق الله، غريب فى بلاد غريبة، اليمن ذلك المجهول، أنت فى اليابان وبلاد أخرى، أطيب تحياتى من موسكو، أعجب الرحلات فى التاريخ.«

اشتهر أيضا أنيس منصور بالكتابة فى الغيبيات والخرافات والقوى الخارقة، وله عديد من الكتب فيها مثل «أرواح وأشباح، الذين هبطوا من السماء، الذين عادوا إلى السماء، لعنة الفراعنة» .

كان أنيس منصور من الكتاب ذوى العادات الغريبة، فهو لم يكن ينام إلا لماما، ويحكى دائما أنه إذا نام نصف ساعة فى اليوم فهو أعظم ما يمكن فعله، كما أنه كان يقوم ليكتب فى الرابعة صباحا، ومن عاداته أيضا أن يكون حافى القدمين ومرتديا البيجامة وهو يكتب.

أشهر أعماله: «الكبار يضحكون أيضا، نحن أولاد الغجر، الوجودية، يسقط الحائط الرابع، كرسى على الشمال، شارع التنهدات، الرئيس قال لى وقلت أيضا، لعل الموت ينسانا، عبد الناصر المفترى عليه والمفترى علينا، إلا فاطمة، ووجع فى قلب إسرائيل«، كما ترجم أكثر من ٩ مسرحيات بلغات مختلفة وحوالى ٥ روايات، و١٢ كتابا لفلاسفة أوروبيين.



السبت ٢٤ من ذى القعدة ١٤٢٢ هـ - ٢٢ أكتوبر ٢٠١١م

مات أنيس منصور..

عدو الجهل والمرأة!



غيب الموت الكاتب الكبير أنيس منصور الذى توفى عن عمر يناهز ٨٧ عاماً بأحد مستشفيات وسط القاهرة بعد صراع قصير مع المرض وتشيع الجنازة اليوم من مسجد عمر مكرم.

حصل الراحل على العديد من الجوائز، من بينها الدكتوراه الفخرية من جامعة المنصورة وجائزة كاتب المقال الأول لمدة أربعين يوماً متتالية وجائزة الفارس الذهبى من التليفزيون المصرى أربع سنوات متتالية، وجائزة كاتب الأدب العلمى الأول من أكاديمية البحث العلمي، وفاز بلقب الشخصية الفكرية العربية الأولى من مؤسسة السوق العربية فى لندن، وحصل على لقب كاتب المقال اليومى الأول فى أربعين عاما وجائزة الدولة التشجيعية فى الآداب من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، عام ١٩٦٣، جائزة الدولة التقديرية فى الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام ١٩٨١، جائزة الإبداع الفكرى لدول العالم الثالث، عام ١٩٨١، وجائزة مبارك فى الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام ٢٠٠١، وله تمثال فى مدينة المنصورة طالب عدد من خصومه من تيارات شتى بضرورة إزالته لأسباب مختلفة فالبعض اعتبره كاتبًا كرس كتاباته لسنوات ضد القومية فيما اعتبره آخرون أحد أدوات التطبيع وصوتاً لإسرائيل.

كان يجيد الراحل أنيس منصور عدة لغات منها العربية والإنجليزية والألمانية والإيطالية، واطلع على كتب عديدة فى هذه اللغات وترجم بعضا من الكتب والمسرحيات وألف كتبا عديدة نذكر منها حول العالم فى ٢٠٠ يوم، وبلاد الله لخلق الله – غريب فى بلاد غريبة واليمن ذلك المجهول، وأنت فى اليابان وبلاد أخرى .

رأس الراحل تحرير العديد من المجلات منها: الجيل، هي، آخر ساعة، أكتوبر، العروة الوثقى، مايو، كاريكاتير، الكاتب، وأسس مجلة أكتوبر فى ٣١ أكتوبر ١٩٧٦ وهى مجلة عربية سياسية اجتماعية شاملة.ونقلت مقالاته التى كان يكتبها قديما إلى صحيفه آخر لحظة.

وفى دراسته الثانوية كان الأول على كل طلبة مصر بالرغم من أن المدرسين كانوا يعدونه طالبًا مستهتراً ، وكثيراً مايصرخون فى وجهه كما ذكر هو فى كتابه عاشوا فى حياتى - : بلاش كلام فارغ، انتبه لدروسك ومذاكرتك، الأولاد دول

بـايظين، لأنهـم كـانوا يـرون فيـه مـستقبلاً بـاهرًا وشخـصية فريـدة. التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة برغبته الشخصية، دخل قسم الفلسفة الذى تفوق فيه، وحصل على ليسانس آداب عام ١٩٤٧، وعمل أستاذا فى القسم ذاته، لكن فى جامعة عين شمس لفترة، ثم تفرغ للكتابة والعمل الصحفى فى مؤسسة أخبار اليوم والإبداع الأدبى فى شتى صوره.

فيلسوف مع وقف التنفيذ:

أحس أنيس منصور بأنه منعزل تماما عـن الـدنيا فى فتـرة حياتـه الجامعيـة، وظل كذلك لفترة لا هم له إلا شراء الكتب ودراسة الفلسفة بنهم شـديد حتـى حدث له تغيير كبير وهو ذهابه إلى صالون العقاد وانفتاحه على دنيا لم يعرف لها وجودا من قبل، وسجل كل ذلك فى كتاب "فى صالون العقاد كانت لنـا أيـام"، وسجل فيـه مشاكل جيلـه وعذاباتـه وقلقـه وخوفـه وآراءه فى مواجهـة جيـل العمالقة من أمثال طه حسين، العقاد، توفيق الحكيم، سلامة موسي، وغيـرهم الكثير من أعلام الفكر والثقافة فى مصر فى ذلك الوقت.

وعرف أنيس غيرهم كثيرين كـ الرافعي، وغيـرهم مـن الأسـاتذة بالعربيـة والأجنبية.

يجيد أنـيس منـصور عـدة لغـات منهـا: العربيـة والإنجليزيـة والألمانيـة والإيطالية. اطلع أنيس منصور على كتب عديدة فى هذه اللغات وتـرجم بعـضا من الكتب والمسرحيات منها:

رومولوس العظيم ، زواج السيد مسيسبى ، هـى وعـشيقها ، أميـر الأرض البور ، مشعلو النيران ، من أجل سواد عينيها ، فـوق الكهـف ، تعـب كلهـا الحياة.

رحل أنيس منصور منصور ولكن سـتبقى أعمالـه وأفكـاره مجـالًا خـصبًا للجدل بين الأجيال القادمة(*).

(*) حسام عبد البصير – نعمة عز الدين – صلاح صيام – نهلة النمر – مصطفى أبو حلوة.

قالوا عن أنيس منصور

الأديب سعيد الكفراوى لا يذكر أنيس منصور إلا ويذكر ٦٠ عاماً من الحراك الثقافى السياسي والاجتماعى أنيس منصور أحد شواهد العصر الذين اقتربوا كثيراً ورأوا كثيراً، كان أنيس منصور أحد الذين اقتربوا من السلطة الفاعلة، مستوى رئيس وغيره من الرؤوس التى تدير النظام السياسي، نحن لا نستطيع أن ننسى دوره الهام الذى اقترب من مشاركة السادات فى الحكم واقترابه من الصحافة وأيضا من سلطة الرئيس حسنى مبارك، وأنيس منصور صاحب وجوه كثيرة فهو أستاذ الفلسفة والمثقف الكبير وكاتب القصة القصيرة والسير الذاتية والشاهد على حراك ثقافى فى مصر عبر ٦٠ سنة ورئيس تحرير العديد من المجلات التى كانت فاعلة ثم يتلخص أنيس منصور فى ١٠٠ كتاب فى المسرح والسينما، هذا الكم الهائل من النشاط والتأثير جعل من أنيس منصور أحد نجوم الثقافة فى عالمنا العربى على المدى الطويل كثير من مثقفى المعارضة يعيبون عليه اقترابه الدائم من سلطة كانت بعيدة عن الشعب، وكان هو أحد المعبرين عن وجودها، وكان له الجانب المضيء لصراحته ومواكبته للمتغيرات وتعبيره اليومى عن أحوال الناس.. بافتقاده تفقد الثقافة المصرية أحد الرموز الذى عبر عن حقبة الماضى والتى كانت جزءاً منها، حصل على الكثير بما فيها من حقوق كتاب كبار ومخلصين وشرفاء، رحم الله أنيس منصور أحد كتاب مصر الذين دائماً ما كانت تطرح حول دورهم الأسئلة والاستفهام.

وقال عاطف العراقي: وفاة الكاتب الكبير أنيس منصور لا شك فى أنه يعد صدمة كبرى بالنسبة لمصر وسائر بلدان العالم العربى والغربي، وقد عرفت أنيس منصور عن قرب منذ عشرات السنين وخاصة بعد أن أصبح مقرراً للجنة الفلسفة بالمجلس الأعلى للثقافة، كان «منصور» متنوع الثقافات وقام بالتأليف فى شتى فروع العلوم الإنسانية، وكان القراء ينتظرون مقالته اليومية، لأنهم يجدون أشياء جديدة بالقراءة، وقد اتفقنا تارة واختلفنا تارة أخرى، ولكن أقدر فيه رغبته فى الحوار وإنسانيته التى كان يتمتع بها، وأطالب الأجهزة الثقافية فى مصر والعالم العربى بأن تتذكره باستمرار فالذكر للإنسان عمر ثان.

أقول: إن أنيس منصور كان لا يكتب إلا بعد قراءة واعية مستمرة كما كان رجلاً تنويرياً لم يسمح بمساحة للفكر الظلامى وكانت مقالاته تمثل تسامحاً بين الأديان وكم تحدثت معه فى أمور عديدة فلسفية وأدبية كما كنت أقابله منذ أن كنت طالباً بقسم الفلسفة فى صالون عباس العقاد، وكان يحترم أساتذته احتراماً كبيراً ومن بينهم أستاذ الفلسفة الراحل عبد الرحمن بدوى وكان لا يوافق على المقولة الشائعة الآن حينما يقول الصغار أشباه المثقفين نحن جيل بلا أساتذة ويقول: لقد قام الأساتذة بتكويننا فكريا وثقافياً وإذا كانوا قد رحلوا عن عالمنا فإن من واجبنا أن نبادلهم حبا بحب وعطاء بعطاء.

د. رمسيس عوض: أهم ما يميز هذا الكاتب الصحفى هو طريقة عرضه لأى موضوع من الموضوعات، فهذه الطريقة فريدة من نوعها ومشوقة إلى أقصى حد يمكن تصوره، قد يختلف المرء مع ما يقول ولكن أنا شخصياً كنت على استعداد أن أتغافل عن محتوى ما يقول بسبب انجذابى إلى الطريقة التى يعرض بها أى شيء وفى رأيى أنه منصور أحسن كاتب فى قدرته على جذب القارئ وتشويقه بغض النظر عما يقول.

الدكتور صلاح فضل أستاذ النقد الأدبى بجامعة القاهرة قال عنه: أنيس منصور أحد أعلام الفكر والثقافة البارزين فى النصف الثانى من القرن العشرين، تميز إنتاجه بالغزارة الشديدة إذ كان يكتب عدة أعمدة فى الجرائد المصرية، بدأ حياته معيداً بقسم الفلسفة بآداب القاهرة حيث تتلمذ على يد قمة الفكر الفلسفى العربى الحديث د. عبد الرحمن بدوي، والتقط منه فى مطلع الستينيات مذهب الوجودية الذى غير وجه الفكر والأدب وكذلك علاقة الفكر بالمجتمع فى منتصف القرن العشرين، وأضاف: إن أنيس منصور لم يصبر على رتابة الحياة الأكاديمية، فانطلق إلى الصحافة بأسلوبه الرشيق وقلمه الجذاب وقدرته الفائقة على اصطياد القراء، فاحترف فى مطلع حياته الصحفية فن كتابة الرحلات والذى لم يكن شائعا فى الأدب العربى قبله، وجاب بلاد الله طولاً وعرضاً ووقع على أجمل وأطرف ما فيها وبهر قراءه خاصة الشباب فى رحلاته حول العالم وسده لأعاجيب الشعوب وطرائف الثقافات المختلفة ولم يلبث أن خرج مشاهداته وقراءاته بشيء من الخيال الخلاق فابتكر أسلوباً فريداً مميزاً له يحافظ على إيقاع المقال السريع ويمسك بزمام انتباه القارئ بحيث لا يمله أحد ويضيف د. فضل أن أنيس منصور قد استعان فى هذه الفترة بعدد من

شباب المترجمين الذين كانوا يقرؤون له الروايات العالمية باللغات المختلفة ويلحقون ببريده أهم محتوياتها ويعكف هو على صياغتها فى مقالاته وكتبه، استطاع أنيس منصور أن يتمرس إلى حد كبير فى الحقل السياسى بقدرة هائلة، وبعد العهد الناصرى ارتمى بقوة فى حضن الرئيس السادات وكرس طاقاته كلها فى التبشير وللتطبيع مع اليهود والترويج للتواصل معهم وعقد صداقات حميمة مع كبار الكتاب الإسرائيليين فباعد ذلك بينه وبين الضمير المصرى حيث اعتبره الكتاب والادباء المصريون خارجا عما كان ينادى به فى شبابه، لكن بقدر ما بعد أنيس منصور عن الالتزام بالموقف القومى بقدر ما اقترب بشكل حميم من الرئيس السادات واصبح محل سره وناطقاً بلسانه بل ونديمه فى كثير من الأحيان، وأصبح أنيس شريكاً فى مجالس الملوك والحكام يؤنس مجالسهم بنوادره وقفشاته المذهلة فانعقد بينه وبين كثير من الأمراء العرب خاصة السعودية أواصر هذه العلاقة الحميمة، ويرى د. فضل أن منصور كان فى كثير من الأحيان يترخص فى عمليات الترجمة ومنها واقعة كتاب «العظماء مائة» الذى مهره منصور فى بداية طبعه بكلمة «ترجمة» ثم ما لبث أن حذفت الكلمة وأصبح اسم أنيس منصور فقط على الكتاب.

د. مدحت الجيار أستاذ النقد الادبى بجامعة حلوان، بدأ حديثه قائلاً: أولاً أنيس منصور كاتب مصرى قبل كل شيء تقلد كثيراً من المناصب الصحفية والإعلامية وهو يعتبر أكثر الكتاب غزارة فى إنتاجه الصحفى بعد الأستاذ هيكل، استطاع منصور أن يكتب فى قضايا من شأنها تحلق القراء حوله من جميع الأعمار ؛ لذلك كان الكاتب صاحب الكتب الأكثر مبيعاً لدرجة أن كتبه كانت تعتبر «موضة» فى دور النشر فهو من أشهر الكتاب المصريين العرب لدى الأمم غير الناطقة باللغات غير العربية، هذا حتى لا نظلمه وحتى يأخذ حقه ككاتب وصحفى مصرى مميز ، أما عن موقفه السياسى فهناك خلاف مصرى وربما عربى معه بداية من خلافه مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ومروراً بعلاقاته مع الإسرائيليين وموقفه الواضح من التطبيع ويضيف د. الجيار: إن أنيس منصور فى ذاته سيظل قضية تختلف الناس عليه قد تتفق معه كاتباً لكن أعتقد أنهم يختلفون معه سياسياً.

عندما كتب أنيس منصور رحلته مع نفسه

رحل إلى ذاته وتجول بين ثنايا نفسه القلقة والمعذبة.. إنه ترحال من نوع آخر أقدم عليه كاتبنا الكبير الراحل «أنيس منصور» فبعدد البلاد وآلاف العباد الذين قابلهم وعاش عاداتهم وتقاليدهم من شرق الدنيا إلى غربها جاءت رحلته مع ماضيه وذكريات طفولته وشبابه ومراحل تكوينه وكيف كان يرحل فى وجوه من يقابلهم ويتعلم منهم فينظر ويفلسف الأشياء والبشر من حوله.

١١ شارع السكة الجديدة فى المنصورة، كان بداية أشياء كثيرة فى حياتي.. مجرد صدفة.

ففى هذا الشارع كان يوجد محل نصر لبيع الورنيش صاحب المحل فلسطينى وزوجته من بولندا وعندما ذهبت إليها لأول مرة وجدتها تقرأ «الأبله» لديستوفسكى وباللغة الروسية.. وحاولت أن تشرح لى عظمة المؤلف والرواية ولكنى لم أفهم.. أو لم أكن قادراً على استيعاب هذا الذى تقول ثم من هي؟ وبالقرب من هذا الشارع توجد دار ابن لقمان الذى أسرنا فيه لويس التاسع أيام الحرب الصليبية وفى داخل هذه الدار وأمامها وفى الطريق إليها أناس من كل شعوب الأرض أشكال وألوان وأحجام ولغات.. وكانت معهم كتب صغيرة وكبيرة بعد أن يقرؤوها يتركونها إلى جوار الحائط ..وكنا نذهب لجمعها وأحياناً نطلبها.. وفى إحدى المرات عندما تزاحمنا على هؤلاء السياح متسولين فكانوا يعطوننا فلوساً وأحياناً بقايا طعام.. ولم تكن تسعفنا الإنجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية ، فنؤكد لهم أننا لا نريد إلا الكتب.. شيء غريب فى ذلك الوقت كنا نجد أصحاب أى بيت وأى دكان يجلسون أمامه الرجال والنساء والأطفال ، ومن السهل أن نتحدث إلى اى أحد فى شيء مثلاً كانت هناك مكتبة الدميرى يدخل الواحد منا يسأل: عندك مؤلفات المنفلوطى فيقال: لا.. نحن لا نبيع الكتب نبيع الكراريس والأقلام ، ولكن اذا أردت أن تجد هذه الكتب اذهب إلى شارع كذا وإذا لم تجدها فى هذا الشارع فسوف تجدها عند الست حميدة فى شارع كوهين المتفرع من شارع الشيخ حسنين.. إنها سيدة مسكينة

حاول تساعدها ويجيء رجل طيب معنا يدلنا على مكان بيع الكتب الجديدة والرخيصة.. وفى يوم كنا نبحث عن التوراة لنقرأ معاً وبصوت مرتفع سفر (نشيد الأنشاد) بسبب ما قرأنا عن هذا السفر ووصف لما فيه من جمال شاعرى وموسيقى فقيل لنا: مرقص الجواهرجى له أخ قسيس وصوته جميل ويساعد الطلبة.. اذهبوا إليه ربما أعطاكم ما تريدون مجاناً.. ولو طلبتم إليه أن يشرح لكم كل شيء فسوف يفعل.. اذهبوا إليه..

ونذهب ونجد القسيس هناك ويطلب إلينا أن نزوره فى بيته ويشرح ويشرح ونحب فيه أدبه ورقته ومرحه وإخلاصه ويطلب الينا أن نذهب لنسمع موعظة فى الكنيسة ونذهب ونجلس فى آخر الصفوف.

هكذا تحدث الكاتب الكبير الراحل أنيس منصور فى كتابه الذى اعتبره الأهم لأنه خصصه للكتابة عن نفسه ورحلته الشاقة فكرياً وفلسفياً فى الحياة وتأثره بمن حوله يقول الكاتب أنيس منصور فى موضع اخر من الكتاب انه احب الشاعر كامل الشناوى ولكن بطريقته الخاصة كيف؟ هذا ما ستعرفه مما كتب فهو يقول: لم أر البهاء زهير وحافظ ابراهيم وعبد العزيز البشرى وإمام العبد وعبد الحميد الديب ولكنى رأيت وسمعت واحببت كامل الشناوى لم أعرفه شاعراً ولا محدثاً ظريفاً.. ولكن الصدفة جعلتنى أعرفه صحفياً ـ أهون ما فيه ـ فقد كان كامل الشناوى محدثاً ممتعاً.. تعرفه لحظة واحدة، فكأنك عرفته طول حياتك.. هو الذى يختصر المسافة ويدخل فى حياتك.. فى عقلك وقلبك.. فإذا به جزء منك وأنت جزء منه هو ضرورى لك، وأنت ضرورى له ـ هو يعطيك هذا الإحساس.

ومع كامل الشناوى لا تملك إلا أن تحبه جداً أو تحبه بحساب أو تحبه على حذر.. ولكن أنت تحبه أما حبه لك فهو جاهز موجود دائماً سواء عرفته يوماً أو ألف يوم.

أما ثالوث الفكر المصرى عن الكاتب الراحل أنيس منصور (العقاد، طه حسين، توفيق الحكيم) فيراهم بعقله ثم ينصحك قائلاً: من السهل أن تكره العقاد ومن الصعب طه حسين ومن المستحيل توفيق الحكيم فليس له اعداء حتى أعداؤه يحبونه، فالعقاد يصدمك ،وطه حسين يراودك ، والحكيم يضحك على نفسه وعلى الناس فهو يضع الطاقية على دماغه والعصا فى يده ويسحب

وراءه حماراً وأحياناً يطيل لحيته وأحياناً يطيل شعره.. ثم إنه يخفى يديه فى جيوبه دائماً خوفاً من أن يراها أحد فيطلب منه مساعدة!

ونحن أسعد حظاً فقد عرفنا الثلاثة العمالقة.. أما المفكر فهو العقاد والأديب طه حسين والفنان الحكيم وقد اختلفوا فى كل شيء ولكنهم جربوا المقال وترجمة حياة «محمد» عليه الصلاة والسلام أما العقاد فقد صنع من تاريخ الرسول درعاً محكمة من الحديد.. وطه حسين جعله عباءة من الحرير والحكيم جعله من التريكو وأذكر أننى جمعت العقاد وطه حسين والحكيم على خط تليفونى واحد ونشرت ما دار بيننا فى صفحة كاملة من «الأخبار» وكان ذلك منذ سنوات حوالى ٢٥ سنة.

عندما بدأ حياته فى «أخبار اليوم»
قال: هذا ما لا أحب .. ولا أريد!

كان أقرب الناس إلي السادات .. وقال عن عبد الناصر: المفترى عليه.. والمفترى علينا!

كان يكتب فى الرابعة صباحاً حافى القدمين ولا يكتب نهاراً ولا يعرف النوم!



رحـلاتـه :

سافر أنيس منصور للعديد من دول العالم واحتفظ بالعديد من الـذكريات ، ولم يترك مدينة زارها إلا وكتب عنها ، حيث كانت ذاكرته قوية وأشبه بالكـاميرا التى تتذكر كل شيء ، لذا كتب الكثير فى أدب الرحلات، وربمـا كـان الأول فى أدب الرحلات ، وألف كتبًا عديدة منهـا: حـول العـالم فى ٢٠٠ يـوم ، بـلاد الله لخلق الله ، غريب فى بلاد غريبة.

أنت فى اليابان وبلاد أخرى ، أطيب تحياتى من موسكو، أعجب الـرحلات فى التاريخ ، وبجانب تأليفه باللغة العربية ، تـرجم أنـيس منـصور العديـد مـن الكتب والأعمال الأدبية إلى العربية ، فقد ترجم أكثر من ٩ مـسرحيات بلغـات مختلفة وحوالى ٥ روايات مترجمة ، وتقريبًا ١٢ كتابًـا لفلاسـفة أوربيـين ، كمـا ألف أكثر من ١٢ مسرحية باللغة العربية.

***

زى الـفـل

كان كتابه «زى» الفل البطاقة الحقيقية لتعارفى به، وإعادة قراءة أعماله برؤية مختلفة. مثل كل أبناء جيلي، لم يكن أنـيس منـصور غريبـا عـن عـالمي، فكـان واحدا من أوائل الكتاب الذين تفتحت مداركى على مقالاته عـن سـلة الأرواح الشهيرة والقادمون مـن الفـضاء، والأرواح والأشـباح وأعجـب الـرحلات فى التاريخ، والمرأة وغيرها من المقالات التى كانت تستثير خيال القـارئ وتفـتح أبوابا للجدل حول مصداقيتها، ومع ذلك لا يملك من يصدقها أو مـن يكـذبها إلا أن يستمر فى القراءة حتى آخـر سـطورها. وفى مرحلـة لاحقـة عرفتـه كـراو للسيرة والعقاد وذكريات مـن عاصـروه مـن كبـار كتابنـا والوجـوه الدائمـة فى صالونه الشهير، وكرحالة له مذاق مختلف فى رحلته حـول العـالم فى ٢٠٠ يـوم التى حول فيها القـارئ لرفيـق سـفر يتفاعـل بحـق مـع كـل تجـارب الـراوى وانفعالاته والمواقف المحرجة التى تكـاد تفـسد سـفرته. ثـم عبـر مـسرحياته

والتى كانت أكثرها جماهيرية «حلمك يا شيخ علام» وترجماته لعدد من روائع الأدب العالمى فى مجالى الرواية والمسرح. فى كل تلك المراحل لم أر فى أنيس منصور إلا صورة الكاتب الصحفى الحريف الذكى الذى يمتلك ناصية أكثر من لغة ويوظف مخزونه الثقافى وخلفيته الأكاديمية واقترابه من نجوم عصر ذهبى فى كتابات شيقة الأسلوب، قصيرة العبارات، يعرض فيها لموضوعات جذابة تلعب على أوتار المجهول والجديد الذى يستأثر باهتمام القراء حتى وإن عارضوا فكره أو منطقه .

وكانت نقطة التحول عندما طلب منى أستاذى فاروق جويدة أن أكتب عرضاً لكتابه« زى الفل »على هذه الصفحة دنيا الثقافة. وأعترف أننى برغم تقديرى لأستاذنا أنيس منصور لم أكن متحمسا تماما للفكرة، لا لشيء إلا لأن كم الكتب التى كان يصدرها الأستاذ أنيس كانت تفوق قدرة أى متابع لها ولأنى تصورت أن الكتاب ربما يكون تكراراً لما سبق وعرض له كتاب وأساتذة أقدر أقلامهم، وبالتالى ما الذى يمكن أن يضيفه قلمى المتواضع ولكن ومع أول صفحات الكتاب الذى سجل فيه أنيس منصور رحلته البرزخية التى تعلق فيها بخيوط واهية تربط ما بين الموت والحياة والذكريات التى تداعت متناثرة ومتقطعة ونثار اللحظات فى رحلة عمر شاقة، رأيت الوجه الحقيقى لكاتب وإنسان ومشروع فيلسوف، حملته السياسة بعيداً عن مرفأ ظل يتطلع إليه. رأيت أنيس منصور الطفل الوحيد الذى لا يزال يبحث عن صوت أمه وطرف جلبابها ليتعلق به بحثاُ عن الأمان فى عالم ظل يشعر فيه بالاغتراب رغم كل الشهرة التى حققها والمناصب التى شغلها. الطفل الشقى المشاكس الذى لم يفارقه عبث الطفولة فظل يناكف قارئه ويحاوره ويلقى فى طريقة بجمل وعناوين وأفكار تحمل أكثر من مغزى ودلالة ليدفعه دفعاً للتفكير. الكاتب الذى يصوغ عبارات تبدو واضحة وإن ظل المعنى فى بطن الشاعر والذى سوق لقارئه أكذوبة عداته للمرأة وسخريته من الحب، رغم ارتباطه الشديد بوالدته الذى لا يمكن أن يؤدى به للكفر بالعلاقات الإنسانية. الإنسان الذى

ظلت ذكريات مرض والدته وحرمانه المبكر منها وفاتها، التى تركتـه مـشدوهاً تائهاً، تطارده طوال حياته و تطل من بين سطور كتابه «زى الفل» مـرة بوضـوح ومرات على استحياء. مشروع الفيلسوف الذى يؤرقه سـر الوجـود مثلمـا أرق أستاذه توفيق الحكيم عندما اقترب من حافة البرزخ. أنيس منصور الـذى ظـل يبحث عن صورته فى المرآة وكان بصدد كتابة عمـل حـول هـذه الفكـرة، كمـا صرح لى فى آخر لقاء جمعنا فى مكتبه بالطابق الخامس فى جريدة الأهرام، عنـدما تطرق بنا الحوار للحديث عن الفنتازيا ومسرح العبث واللا معقول .

أستاذنا الذى ودعنا فى واحدة من آخر مقالاته فى الأهرام عندما تحدث عن الطنين الذى يلاحقه والوحدة التى يستشعرها ورغبته فى الخروج للطريق بحثاً عن ونس مفقود. ترى هل تستشعر الآن الونس الذى عجز قـراؤك أن يقـدموه لك ترى هـل تـأنس بـصحبة كنـت تعـود إليهـا عنـدما كنـت تفـتح صـندوق ذكرياتك؟ هل ترى اليوم صورتك فى المرآة؟ هل ترى صورك فى عيوننا؟ ندعو الله أن تكون فى مكان أفضل، وأن تكون زى الفل بحـق مثلمـا اخـترت عنـوان كتابك. بطاقة تعارفنا(*).

(*) سناء صليحة.



وداعا أنيس منصور

مصر تودع أنيس منصور
فى جنازة شعبية

شارك عدد كبير من رجال الإعلام والثقافة والفن ظهر أمس فى تشييع جنازة الكاتب الصحفى الكبير أنيس منصور من مسجد عمر مكرم، حيث تمت الصلاة على جثمانه عقب صلاة الظهر الذى شهد حشدا هائلا من المصلين من كافة الأعمار.

وعقب الصلاة أحمل الجثمان جمع غفير يتقدمهم الكاتب الصحفى محمد عبدالقدوس عضو مجلس نقابة الصحفيين ورئيس لجنة الحريات، وعدد كبير من شباب الصحفيين.

حضر تشييع الجنازة أسامة هيكل وزير الإعلام، وعماد أبوغازى وزير الثقافة، والدكتور مفيد شهاب وزير الشؤون القانونية والمجالس النيابية السابق، وفاروق حسنى وزير الثقافة السابق، والدكتور عبدالعزيز حجازى رئيس وزراء مصر الأسبق، وزاهى حواس وزير الآثار الأسبق، والدكتور مصطفى الفقي، والكاتب مكرم محمد أحمد، ومن الفنانين... محمود عبدالعزيز، وأشرف عبدالغفور نقيب الفنانين، وعدد كبير من زملاء الكاتب الراحل منهم ابراهيم نافع وصلاح منتصر فضلا عن جمع غفير من الصحفيين وأعضاء مجلس النقابة.

وقد نعى العديد من الشخصيات الكاتب الكبير حيث أشاد الدكتور فتحى البرادعي، وزير الإسكان والمجتمعات العمرانية، بالقيمة الأدبية والتاريخية للكاتب الراحل. وقال إن مؤلفاته ستظل حية فيما بيننا لاجيال قادمة وبدا وزير الثقافة عماد أبوغازى فى حالة حزن شديدة ورفض الإدلاء بأى تصريح، مؤكدا أن الموقف يتسم بهيبة لا تسمح بالتحدث وإنما تفرض الاحترام. ومن جانبه قال الدكتور عبدالقوى خليفة، محافظ القاهرة، إن مصر فقدت أديبا وفيلسوفا له مؤلفات تعلم منها الأجيال فى الأدب والسياسة ولعب دورا عظيما فى الحياة الثقافية.

وأعرب الدكتور عبدالعزيز حجازي، رئيس مجلس الوزراء الأسبق ورئيس لجنة الحوار الوطني، عن حزنه الشديد لفقد أخ وصديق عزيز لن يتكرر، وقال الدكتور مفيد شهاب : إننا فقدنا أديبا كبيرا ترك للمكتبة الأدبية أكثر من مائتى مؤلف سيكون لها مكانتها فى المكتبة العربية.

كما أكد الأنبا بسنتى أسقف كنيسة حلوان والمعصرة أن أنيس منصور رمز الكلمة المثقفة، والكلمة لا تموت ستظل أعماله باقية بيننا لأنه ترك علما وثقافة وفلسفة لها قيمة كبيرة فى ثقافتنا وسنظل تتعلم منه فهو رمز للأديب المخلدة أعماله فى قلوبنا.

وأشاد أسامة هيكل، وزير الإعلام، بالراحل ووصفه بأنه عملاق صحفى وأديب وفيلسوف لا يمكن تعويضه أثرى الحياة الصحفية طيلة ٥٠ عاما، بكتاباته المميزة فى مصر والوطن العربي، وقال إن الراحل يعد أستاذا للعديد من الصحفيين معربا عن أمله فى أن يسير تلاميذه على طريقه. كما نعى العديد من المثقفين والكتاب والنقاد الكاتب الكبير أنيس منصور.

وأعرب كتاب ومثقفون عن شعورهم بالحزن البالغ لرحيل أنيس منصور القامة الأدبية والفكرية الشامخة مصريا وعربيا وعالميا، لما له من رصيد ومخزون ثقافى متنوع وأسلوبه الخاص فى كتاباته الأدبية والصحفية الذى لاقى إقبالا كبيرا لدى محبيه، فكان كاتبا متنوعا وبسيطا وسهلا وصحفيا متميزا أجاد كتابة المقال والعمود فى الصحف والمجلات المصرية والعربيه وله جمهور

كبير وعريض فى كل مكان من العالم ومن كافة الأعمار والمستويات الثقافية. وقال الناقد ووزير الثقافة الأسبق الدكتور جابر عصفور إن أنيس منصور واحد من قمم الثقافة العربية، كان مفكرا وأديبا كبيرا، بإمكانياته وإبداعاته،التى تضمن له البقاء أبدا فى خارطة الثقافة العربية، مضيفا أن المعرفة الشخصية بينهما أتاحت له إدراك إلى أى مدى كان الراحل يتسم بالدماثة والانضباط حتى فى أكله كان يحافظ جدا على مواعيده وشكله، وكان أيضا منضبط السلوك.

وذكر الكاتب والروائى إبراهيم عبدالمجيد أن أنيس منصور كان واحدا من الكتاب الكبار، يستطيع بأسلوبه البسيط توصيل المعلومة للقارئ ببساطة، وبإمكانياته الكبيرة كان يقدم المعلومة للثقافة العربية فى منتهى السهولة، كما أنه قدم لنا ثقافات مختلفة ومختارات من الأدب العالمي، إذ كان موسوعى الثقافة لأنه عايش أجيالا متعاقبة منذ طه حسين، كما أنه خفيف الروح وكانت علاقاته الاجتماعية جيدة، لافتا إلى أنه(عبدالمجيد) تأثر به جدا فى بداياته، وأنه حزين جدا جدا.

و قال الكاتب مكاوى سعيد: أنيس منصور كان يتسم بأسلوبه الساحر، وهو من الكتاب الذين جعلونى أحب الكتابة، لأنه كان يكتب كتابة تدل على علم كبير وأسلوب شيق وبسيط، رغم أننى لا أتفق مع مواقفه السياسية خاصة من إسرائيل، لكن مقالاته لا يمكن أن نتجنبها، ورحيله خسارة للحياة الثقافية العربية.

ومن جهة أخري، عبر أمين عام المجلس الأعلى للثقافة الدكتور شاكر عبدالحميد عن حزنه لوفاة الكاتب والمفكر المصرى أنيس منصور، وقال إن الراحل كان واحدا من أكبر الكتاب المصريين الذين استطاعوا ببراعة تقريب الثقافة العميقة إلى الناس ببساطة من خلال مقالاته التى تميزت بأسلوب سلس ورشيق ذى قدرة تعبيرية عالية استطاع من خلاله أن يقدم للقارئ المعلومة بجاذبية وبطرافة.

وأضاف أن أجيالا كاملة تعلمت على كتابات أنيس منصور خاصة فى فترة الستينيات والسبعينيات التى قام فيها الراحل بدور هام إذ ساهم فى نقل الثقافة

الغربية وخاصة الفلسفات الوجودية وكتاب مسرح العبث وعلى رأسهم الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر والأديب الفرنسى ألبير كامو والأيرلندى صامويل بيكيت إلى الثقافة العربية.

ورأى عبدالحميد أن تنوع كتابات أنيس بين المقال والقصة القصيرة والمسرح والإطلاع على الثقافة الغربية كانا سببا لحب الناس لكتابته وشهرته، مشيرا إلى أن أنيس منصور قد تكون له مواقف سياسية لا نتفق معها ولكن فى النهاية هو كاتب مهم لا أحد يستطيع أن ينكر دوره فى الثقافة المصرية(*).

(*) هالة السيد – وكالات الأنباء.

رحيل الفارس

منذ شهر واحد وصلتنى هدية هى (كتاب الكبار يضحكون أيضا) أحد مؤلفات الكاتب الكبير والأستاذ المتميز ورمز الثقافة والأدب والصديق العزيز الراحل أنيس منصور، وسبب الهدية الأخيرة أن هذا الكتاب يحتوى بعض الكلمات الطيبة التى سطرها بقلمه من خلال صداقة بدأت بيننا فى فيينا منذ ربع قرن، رأيته منذ بدايتها أحد عباقرة الأدب والفلسفة والثقافة والكلمة والحوار ولذلك يعتبره العديد من الصحفيين أستاذا ورمزا.

مع ألم الفراق لن استطيع أن أفيه حقه مهما كتبت من سطور عن هذا الفارس الذهبى الذى يعتبر أحد أعمدة الساحة الثقافية فى مصر والوطن العربى من خلال كتاباته المتنوعة التى وصلت دائما بسهولة إلى القارئ لتؤكد سعة اطلاعه وأفكاره الثرية، رحيله خسارة فادحة ولكنه سيظل دائما على الساحة بأعماله وكتبه وأفكاره التى اتسمت دائما بالبعد السياسى والثقافي، فهو كان موسوعة فى الأدب كان من ثمارها حصوله على العديد من الجوائز إلا أنه كان يعتبر أن جائزته الكبرى هى إعجاب وتقدير القراء بما يكتب حتى لو اختلف البعض حول كتاباته .تغمد الله أنيس منصور برحمته الواسعة.



أنيس منصور.. شمس الإبداع التى غربت

تألمت كثيرا وأنا أقرأ عمود أنيس منصور الأخير يوم الثلاثاء الماضى (قبل رحيله بثلاثة أيام) ١٨ أكتوبر وشعرت أنه يتوقع الرحيل، وأبكانى كثيرا وهو يقول: ماذا خرجت به من هذه الدنيا، وما الذى يخرج به الإنسان؟. والذى يحدث هو أن الإنسان كما دخل الدنيا سوف يخرج منها .دخلها سليما وخرج منها مريضا، فلماذا هذا التعب والعذاب؟. فأنت قاتلت وحاربت وصارعت وناقشت ومرضت وسهرت وكسبت وخسرت، ثم ضاق صدرك والتوت أمعاؤك واحترقت معدتك وكل الذى قدمناه فى ناحية سنحاسب عليه فى ناحية أخري.

بكيت على أنيس منصور الكاتب والمبدع الموسوعى الذى تعلمنا منه الكثير كان محبا للشعر والشعراء، فمنذ سنوات كان يجمعنا نحن الشعراء فى منزله على طعام الإفطار فى رمضان ويتحول اللقاء إلى ندوة مفتوحة عن الشعر والأغنية، وكنت أعلم أن الموسيقار محمد عبدالوهاب لا يبدع لحنا جديدا ويخرج للنور قبل أن يطلب أنيس منصور للاستماع إليه ويأخذ رأيه فيه، حدث هذا فى أول لحن له«إنت عمري» لأم كلثوم وأحمد شفيق كامل، حتى آخر لحن له أغنية «من غير ليه» لمرسى جميل عزيز، وطلب أنيس من عبدالوهاب إهداءه نسخة من هذه الأغنية بصوته على آلة العود، ويقول فيها «جايين الدنيا ما نعرف ليه»، وهو نفس ما كتبه أنيس منصور فى عموده المذكور، وكان أنيس يعشق شعر مرسى جميل عزيز، وفى لقاء معه قرأ مقالا لى قلت فيه إن مرسى صاحب الألف أغنية، فطلب منى إضافة كلمة جملة واحدة على هذا الكلام بأنه صاحب الألف أغنية ناجحة، وأطلق عليه لقب مهندس الأغنية المصرية. لقد أصدر أنيس منصور قبل رحيله ما يقرب من مائتى كتاب فى مختلف ألوان المعرفة ويعتبره الأدباء والمثقفون جامعة مفتوحة يتعلمون منها ألوان السياسة والأدب والفن فى وقت واحد، وكان من أجمل ما كتب أدب الرحلات التى أبرز فيها

انطباعاته فى أسفاره إلى بلاد العالم على مدى مشواره الطويل، وكانت تتميز كتاباته بأنها تخاطب جميع الأجيال، وكتبه كانت تنفد طبعاتها الأولى مع بداية إصدارها لدرجة أن كثيرا منها طبع للمرة الخامسة وتصل إلى الطبعة العاشرة، وأن معرض القاهرة الدولى للكتاب كان يحرص على أن يضع كتب أنيس منصور التى تصدر فى طبعات فاخرة وتنفد فى الأيام الأولى لعرضها فى مكتبات المعرض، ويقبل على قراءتها الكبار والشباب وأساتذة الجامعات، وكثيرا ما يأتى أدباء ومفكرون ومبدعون من البلاد العربية لزيارة المعرض، خصيصا من أجل اقتناء الأعمال الكاملة لأنيس منصور والتى يتشوقون لاقتنائها لجزالة اللفظ وغزارة المعنى وحلو العبارة وسلاسة الأسلوب. تألمت على رحيل أنيس منصور عاشق القلم والورق الذى لم يتوقف عموده اليومى فى «الأهرام» حتى عندما كان يشتد عليه المرض وحتى فى يوم رحيله، كان أنيس منصور ـ وكنت قريبا منه ـ كما أعلم ينام مبكرا فى الثامنة مساء ويستيقظ فى الرابعة صباحا قبل الفجر ويكتب عموده ومؤلفاته وينتهى منها فى السادسة صباحا تقريبا، ثم يستريح بعض الوقت ليذهب إلى «الأهرام» فى موعده فى العاشرة صباحا، ولا أنسى جلساته مع أصدقائه من جيل الرواد الذين أحبوه وأحبهم، توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف السباعى ويوسف إدريس وكمال الملاخ وغيرهم، ويتحول لقاؤه معهم إلى ندوة مفتوحة تثار خلالها مختلف قضايا الفكر والأدب والفن ونهرع نحن للالتحاق بهذا اللقاء لدرجة أن أنيس يسأل عنا إذا لم نحضر، كاتب هذه السطور والزميل الشاعر فاروق جويدة، ثم يصحبنا بعد ذلك إلى مكتبه فى الطابق الخامس ليستمع منا إلى آخر ما أبدعناه، وكان محبا للشاعر فاروق شوشة الذى كثيرا ما كان يصحبه مع كمال الملاخ ليذهبا معا فى لقاءات دورية للموسيقار عبدالوهاب فى منزله للاستماع إلى آخر إبداعاته.

ولا ننسى الجانب الإنسانى فى أنيس منصور الذى يتفوق فيه كثيرا، خاصة لدى الذين يعرفهم عن قرب يسأل عنهم ويعرف أحوالهم ويطمئن عليهم، خاصة الأدباء والشعراء وكتاب القصة الشبان الذين يتوافدون على مكتبه يوميا يستمعون إلى نصائحه التى لا يبخل بها على أى أحد منهم، بل كان يفتح

الأبواب أمامهم كمبدعين ويأخذ بأيديهم إلى عـالم الـشهرة، وكثيـرا مـا يتـصل ببعض دور النشر لمساعدتهم فى طبع أعمالهم الأدبية، ولم يتأخر أنيس منـصور طوال حياته عن مـساعدة أى أحـد يلجـأ إليـه لحـل مـشكلته سـواء فى عملـه الصحفى أو كتاباته الأدبية أو فى أى مجال آخر ويسرع إلى حلها مع المسؤولين فى كل المجالات. إن رحيل أنيس منصور بالنسبة لى غيـاب أعـز النـاس وأعـز الأصدقاء وأعز الأساتذة، وشمس الإبداع التى غربت، لقد توافرت فيه خصال قد لا تتوافر عنـد الكثيـرين، فهـو الكاتـب والمبـدع المـستنير وعاشـق القلـم والإنسان قبل كل هذا وذاك، رحمه الله بقدر ما أسعد الملايين بأعمالـه الرائعـة التى تخلد ذكراه، وأتمنـى أن يـصدر قريبـا قـرار بـإطلاق اسـمه عـلى إحـدى المكتبات الكبرى فى الجامعة وأحد شوارع الجيزة التى يطل منزلـه عـلى نيلهـا الخالد(*).

(*) مصطفى الضمراني.



بينى وبين أنيس منصور!

الفراغ فى ساحة الفكر والأدب والصحافة بعد أنيس منصور لن يملأه أحد، لأنه ـ ببساطة ـ نموذج من الكتاب القلائل فى العالم الذين جمعوا بين شخصية الفيلسوف وشخصية الفنان على الرغم مما بينهما من تناقض.

فالفيلسوف يفكر بعقله ويستخدم المنطق بصرامة ويرتب القضايا ترتيبا خاصا ليصل إلى الفكرة أو النظرية، والفنان يتعامل مع الموضوعات بوجدانه، وفى ثقافتنا العربية يمكن أن نجد مفكرين بعضهم يمكن أن نعتبره فيلسوفا، ويمكن أن نجد فنانين منهم الشعراء أصحاب المواهب والمشاعر، الأول يخاطب عقلك، والثانى يلمس قلبك برقة وعذوبة، ولن تجد شخصا واحدا يجمع بين الطبيعتين. أنيس منصور ـ فقط ـ هو ذلك الشخص النادر الوجود. عاش حياته للقراءة والكتابة مثل الراهب، وعاش أيضا محبا للحياة بكل ما فيها، ودفعته الرغبة فى المعرفة إلى أن يطوف حول العالم فى مغامرة لم يسبقه إليها أحد.

يدهشك أن تجد هذا الرجل الذى يجالس الأصدقاء فيمتعهم بالنكات والقفشات والأحاديث المرحة حتى تظن أنه فارغ البال، ثم تجده يكتب عشرات الآلاف من المقالات، وعشرات القصص والمسرحيات، وعشرات الكتب، وكلها فى موضوعات متعددة مع أن كل كاتب له مجال واحد أو مجالان يتحرك فيهما، ولكن أنيس منصور كان يتحرك فى كل المجالات ويكتب فى كل المجالات تقريبا ـ بعمق وعن معرفة كاملة ـ وكما يقال إن هناك فنانا شاملا، يمكن أن يقال إن أنيس منصور «كاتب شامل» وكامل أيضا. يدهشك أيضا قدرته العجيبة على أن يتناول فكرة فى منتهى الدقة، والعمق بأسلوب سهل جدا حتى يظن البعض أنه يكتب بسهولة، مع أن ذلك ليس صحيحا، وقد قال لى ذات مرة إنه بذل جهدا كبيرا جدا وعلى مدى سنوات لكى يصل إلى هذه الدرجة من التبسيط لكى تصل فكرته بكل عمقها للقارئ المثقف

ثقافة عالية، كما تصل إلى القارئ العادي، ورأيه أن الكتابة فى الصحافة يجب أن تصل إلى أكبر مساحة من القراء ولا تقتصر على فئة محدودة، أما الكتابات الصعبة ذات التراكيب الفنية والمصطلحات العلمية والفلسفية فمكانها الكتاب وليس الصحيفة.

ويدهشنى أنا شخصيا ذلك الخيط غير المرئى الذى كان يربطنى بأنيس منصور وبعدد قليل جدا من الناس ـ فى الخمسينيات كنت قد انهيت المرحلة الثانوية، وقررت أن أدخل كلية الحقوق لأكون محاميا مثل أخى الأكبر، وفى ليلة سفرى لتقديم أوراقى إلى جامعة الإسكندرية أعطانى عبدالمعطى المسيرى الأديب وصاحب المدرسة التى كانت ترعى براعم الأدب فى دمنهور كتابا لأنيس منصور قرأته فى القطار وشاركنى إعجابى زميل دراستى بكر رشوان، فقررنا معا أن نلتحق بكلية الآداب قسم فلسفة لنكون مثل أنيس منصور ـ الذى تخرج فى كلية الآداب قسم فلسفة ـ والذى جمع فى سبيكة نادرة بين الأدب والفلسفة، وهكذا بدأت ألاحظ الخيط الذى يربطنى به، وظللت أتابع كتاباته فى أخبار اليوم، وآخر ساعة، والجيل الجديد، ثم فى مجلة أكتوبر وأخيرا عاد إلى قاعدته فى الأهرام. وشاء القدر ان أجلس فى كرسى أنيس منصور رئيسا لمؤسسة دار المعارف ورئيسا لتحرير مجلة أكتوبر، وبقيت فى هذا الموقع ما يقرب من اثنى عشر عاما كنت فيها تقريبا ملازما لأنيس منصور، فهو الذى أسس مجلة أكتوبر ونشر فيها صفحات وصفحات من الأحاديث مع الرئيس الراحل أنور السادات بل واستطاع أن يجعل السادات من كتاب المجلة، وتعرفت أكثر على شخصيته من خلال أحاديث الزملاء فى المؤسسة، ومن خلال أحاديثنا حين نلتقى وفى التليفون، وظلت فكرة إعداد كتاب عنه تطاردني، فقضيت سنوات أجمع مقالاته وكتبه وأحاديثه، وألخص، وأستخلص، وأتردد فى الكتابة لأنى أجد نفسى أمام محيط وليس بحرا أو نهرا أو قناة ممن نجدهم هذه الأيام، وكلما تصورت أنى جمعت كل أطراف الموضوع أكتشف أنه مازالت هناك جوانب وأعمال تحتاج إلى تعمق أكثر فى دراستها. ذلك لأنه نسيج وحده. عملة نادرة. هو عملاق نعم ولكنه عملاق يخدعك بتواضعه وبساطته حتى تظن أنك يمكن ان تلمس كتفه .![*].

(*) رجب البنا.

أنيس منصور وكفى!

رحل عنا أنيس منصور، الكاتب الساخر والفيلسوف، واسع المعرفة والثقافة والتجربة، صاحب أكثر الأقلام رشاقة وعمقا وحيوية واطلاعا، الأكثر قربا والتصاقا بين كتاب عصره بأجيال الشباب، واستطاع بوضوح فكره وعذوبة قلمه أن ينقل أكثر الأفكار عمقا وتعقيدا إلى قارئه ببساطة شديدة تنم عن إعجاز مدهش، يصعب أن نجد من يعوضنا عن فقدانه على الأقل لمائة عام قادمة، لأن أنيس منصور نسخة فذة غير قابلة للتكرار، يندر أن يجود الزمان بمثلها، كان أنيس منصور هو الذى صنع من العقاد حكاية شعبية تروي، وأظن أنه أكبر من روج لأفكاره بين الشباب، برغم صعوبة العقاد وغروره وتفرده في برجه العاجي، وعندما نقل أنيس إلى قرائه فى مجلة «أكتوبر» فكر الرئيس السادات، كان من الصعوبة بمكان أن تعرف أين تنتهى رواية السادات وأين تبدأ رواية أنيس منصور!، وكان أول من نقل إلى المصريين أفكار المدرسة الوجودية الفرنسية، وأول من أشاع بينهم حكاية السلة التى تكتب بالقلم وتقرأ الطالع! وإليه يعود فضل تعريف المصريين بمعظم الثقافات والحضارات الإنسانية من خلال رحلاته حول العالم التى كانت بمثابة سجل لحياة الشعوب وثقافاتها، ويلخص مسرحه الكوميدى المصبوغ بمصرية خالصة كثيرا من رؤاه الساخرة لمغزى الحياة.

لم أره على امتداد ٥٠ عاما عرفته خلالها عن قرب إلا ضاحكا محبا للحياة، ساخرا من مفارقاتها، يوجز فى عبارة سريعة لماحة سخريته الحادة من نفسه ومن عصره وجيله لأنهم يجرون جميعا وراء السراب لا يحصدون فى النهاية سوى قبض الريح، وكثيرا ما كانت تسيطر على كتاباته نزعة عدمية حادة التشاؤم تنفى من الحياة قيمتها رغم أنه كان أكثر الجميع حبا للحياة. كان أنيس يعتز كثيرا بكونه من مواليد المنصورة، شديد الفخر بأمه، لا يأكل اللحم، مفتونا بعسل النحل يعرف ألوانه وأنواعه ويبحث عنه فى كل العواصم،

وعندما عرف أن أعظم الأصناف يأتى من إمارة عسير جنوب السعودية، كانت عسير وجهته الأولى فى السعودية، وفى رحلاتنا العديدة المشتركة إلى الخارج، كان أكثرنا نشاطا، يصحو مبكرا ليتجول على قدميه أكثر من ساعة قبل أن يعود لنتحلقه جميعا حول مائدة الإفطار فى الفندق الذى نقيم فيه، يحكى ويحكى دون انقطاع حكايات متنوعة شائقة من الشرق والغرب، تكشف روعة أنيس منصور الحكاء القادر على مسرحة أى حادث عابر ليخلق منه كوميديا ساخرة تختلف رواياتها فى كل مرة، يختلط فيها الخيال بالحقيقة لكنها سليطة النقد عميقة المغزي(*).

***

عقل لا نظير له

افتقدنا فى أنيس منصور التألق الذى ظل يتأجج طيلة سبعة عقود، والذاكرة اللامعة التى لم يصبها الصدأ أبدا، والعقل الناقد الذى ظل يعيد صياغة العلاقات على نحو لم يسبقه إليه مفكر ولا ناقد.

وافتقدنا الفؤاد الذكى الذى لم تختلف فى تقديره عقول خمسة أجيال متباينة، وسنفتقد فيه القلب الذى أعطى الحب وحجب الود عمن لا يقدر عليه، وسنفتقد فيه أيضا التاريخ الناصع الذى كتبه صاحبه بمداد أرجوانى على صفحات لا زوردية. سنفتقد فيه الفن المنفعل بالوجدان والنقد المتسم بالإنصاف والفكر المتصل بالوجود والأدب المتصف بالخلود. وسنبحث دون جدوى عمن يحتل مكانه ومكانته، وهو الإنسان المتجلد والذهن المتوقد والقلم المنفرد والتجويد المتعدد(**).

(*) مكرم محمد أحمد.

(**) د. محمد الجوادي.

جنازة مهيبة لأنيس منصور بحضور إعلامى وثقافى وجماهيرى حاشد

شيعت مصر أمس الكاتب الصحفى أنيس منصور، حيث شارك عدد كبير من المسؤولين والإعلاميين والفنانين والجمهور في جنازته التى انطلقت من جامع عمر مكرم، حيث تمت الصلاة على جثمانه بحضور حشد هائل من المصلين. وقد أصر الحضور من المسؤولين والكتاب والفنانين على التوجه إلى مدافن الأسرة لتوديعه إلى مثواه الأخير، وحرص الإعلام المصرى والعربى والعالمى على تغطية الحدث.

وكانت أسرة الفقيد تتقدمهم زوجته السيدة رجاء منصور قد وصلت فى الحادية عشرة قبل الظهر إلى الجامع. وقد لازمتها كل من الفنانة يسرا والإعلامية بوسى شلبى وسيدة المجتمع سامية أبوالفتوح. وطلبت الفنانتان دلال عبدالعزيز ونهال عنبر من المصورين الصحفيين عدم التقاط صور للأسرة خاصة زوجته تقديرا لحزنها وتأثرها الشديد .وكان من أوائل حضور المعزين رئيس مجلس إدارة الأهرام لبيب السباعى وكبار مسؤولى الأهرام والكتاب والدكتور مفيد شهاب، والدكتور عبدالعزيز حجازي.

وقد أغلقت المنطقة فى أثناء تشييع الجنازة، حيث شهدت ازدحاما شديدا وتوقفت العديد من سيارات المارة، حيث قرر أصحابها لدى مرورهم المشاركة فى الصلاة والتشييع، وأجهش الحاضرون بالبكاء الشديد لدى نهاية الصلاة والدعاء للمتوفي.

وقد استغرقت المراسم نحو ساعة ونصف الساعة، وقد نعى العديد من المثقفين والكتاب والمسؤولين ورجال الدين الكاتب الراحل وأعربوا عن حزنهم البالغ لرحيل تلك القامة الأدبية والفكرية، حيث تفتحت أجيال كاملة على كتاباته وتعرفت على الثقافة الفلسفية والغربية من ترجماته ورحلاته، مما أسهم فى إثراء الثقافة المصرية منذ ستينيات القرن الماضى حيث نجح فى تقريب الثقافة إلى الناس ببساطة وبجاذبية، وكان من أهم من قدمهم للثقافة العربية الفرنسيان جان بول سارتر وألبير كامو، والأيرلندى صامويل بيكيت.



أنيس منصور.. مواقف وكلمات!

عرفت الأستاذ أنيس منصور من خمسة وثلاثين عاماً.. بالتحديد فى منتصف عام ١٩٧٦.. التقيت به لأول مرة فى مكتبه بمؤسسة دار المعارف قبل شهور قليلة من صدور مجلة أكتوبر .. يومها ذهبت أقدم له ما تصورت أنه أوراق اعتمادى كصحفى يبحث عن فرصة ويجرى وراء حلم!..

قدمت للأستاذ أنيس عددا من الموضوعات التى وجدت طريقها للنشر فى بعض الصحف التى كنت أتمرن بها.. فراح يقلب فيها بسرعة ثم أعادها لى.. كأنه لم يقرأ وكأننى لم أكتب!.. بداية غير مطمئنة!..

راح الأستاذ أنيس بعد ذلك يقلِّب فى أوراقه قبل أن يلتفت إلىّ ويسألنى: لماذا تريد أن تعمل بالصحافة؟.. قلت على الفور وبدون تردد: لأننى أعشق هذه المهنة ولا أتصور نفسى إلا صحفيا.. لأننى أعشق الكتابة والكلمات والمعانى الجميلة.. واستطردت بصوت خفيض كأننى أخجل مما أقول: ولكننى خريج كلية الزراعة!..

لم يرد الأستاذ أنيس وإنما هَبّ واقفا وأمسكنى من ذراعى متجها بى ناحية باب مكتبه.. وسقط قلبى بين قدمى ولكننى فوجئت به يجتاز باب المكتب متجها بى لمكان متسع عرفت فيما بعد أنه صالة التحرير.. وبكلمات مقتضبة قدمنى للحاضرين: زميلكم الجديد إسماعيل منتصر.. والتفت ناحيتى وقال: اتفضل يا أستاذ احضر الاجتماع!..

وهكذا عرفت الأستاذ!..

وهكذا أصبحت تلميذا فى مدرسة الأستاذ.. وهكذا عملت معه صحفيا فى مجلة أكتوبر التى رأس تحريرها فى الفترة من عام ١٩٧٦ إلى عام ١٩٨٥..

والتى كان يتباهى بأن النسبة الأكبر من محرريها من الشبان الذين لم تكن لهم سابق تجربة فى مجال الصحافة..

وحتى بعد أن ترك الأستاذ أنيس منصور موقعه.. لم تنقطع صلتى به.. فكنت حريصا بين الحين والحين على الاتصال به ولقائه بسبب وبدون سبب.. وكان آخر هذه الأسباب الاتفاق معه على نشر مذكرات الرئيس الراحل أنور السادات فى كتاب والتى كان يكتبها هو فى الأعداد الأولى لمجلة أكتوبر بعنوان «من أوراق السادات»..

وبالطبع أتاحت لى كل هذه السنوات أن أقترب من الأستاذ وأعرفه أكثر.. ثم تبين لى أننى كلما عرفته أكثر كلما اكتشفت أننى لا أعرفه.. فقد كان يدهشنى دائما بكلماته ويبهرنى دوما بمواقفه..

وما أجمل كلماته.. وما أروع مواقفه!..

***

فى مكتب مدير التحرير - الأستاذ محمد عبدالوارث - التففنا حول الأستاذ أنيس منصور نسمع ونسأل ونناقش.. كنا مجموعة من المحررين الشبان والعواجيز وما بين الاثنين.. ودخل الساعى يحمل بروفة لعامود الأستاذ اليومى «مواقف» فطلب الأستاذ من أحدنا أن نقرأه بصوت عال لأنه حريص على أن يعرف رأينا فيما يحمله هذا العامود تحديدا من معان.. لم يسبق للأستاذ أن استعان برأينا فيما يكتب وأظنها من المرات القليلة التى فعل فيها ذلك.. ولذلك كان حرصنا كبيرا على الإنصات والتعليق.. قلت للأستاذ: كلمات العامود رشيقة والمعانى جميلة لكن ماذا تقصد بالضبط من السطرين الأخيرين؟..

وظهر الانزعاج على وجه الأستاذ وامتدت يده تخطف بروفة العامود وراح بقلمه يشطب السطرين الأخيرين واستبدلهما بسطرين آخرين وهو يقول: ماذا تقصد بالضبط.. ماذا تقصد بالضبط.. إذا لم تفهم أنت الصحفى ما أقصده فهل سيفهم القارئ العادى؟!..

كان الأستاذ عظيم الاحترام لنفسه.. ولقارئه!..

***

كلفنى الأستاذ يوما بالسفر إلى السعودية فى إحدى العبّارات.. الظروف السياسية منعتنى من الحصول على تأشيرة فلم أتمكن من دخول الأراضى السعودية وبقيت بالعبّارة أثناء تواجدها فى ميناء جدة.. ثم حدث أن اتجهت العبّارة إلى بورسودان فسافرت معها مرغما ثم عادت إلى جدة ومنها اتجهت إلى بورسودان.. كل ذلك وأنا غير قادر على مغادرتها.. وهكذا امتدت رحلتى الصحفية من أسبوع إلى ٢٣ يوما.. وعدت وكتبت ما تصورت أنه مغامرة صحفية مثيرة وخطيرة واخترت لها عنوان ٢٠ يوما حول موانئ البحر الأحمر.. اخترت العنوان متأثرا بعنوان كتاب الأستاذ الشهير ٢٠٠ يوم حول العالم.. وتصورت أن تقليد عنوان الأستاذ سيجعل القارئ شغوفا بقراءة موضوعى.. وعندما قدمت الموضوع للأستاذ أنيس وكان جالسا وسط مجموعة من زملائى راح يقلب بسرعة فى صفحاته ثم أعاده لى وهو يبتسم ابتسامة لم أسترح لمعناها..

استدعانى الأستاذ بعد قليل فى مكتبه وسألنى: هل سمعت عن فيلسوف اسمه نيتشه؟!.. قلت: أعرف أنه واحد من أعظم الفلاسفة الألمان.. قال: هل تعرف ماذا يقول هذا الفيلسوف العظيم؟.. ولم أعرف ولم أرد فاستطرد الأستاذ كان يقول: كن رجلا ولا تتبع خطواتى.. وضحك الأستاذ بصوت عال وهو يقول: موضوعك عن البحر الأحمر جميل.. لكن العنوان لازم يتغير.. ابذل جهداً وفكر فى عنوان جديد..

وفهمت معنى كلمات الفيلسوف الألمانى الشهير.. وفهمت أكثر معنى كلمات الأستاذ!..

كان الأستاذ يعلمنا.. كيف نكون أنفسنا!..

***

خرجت يوما من باب المصعد بالمؤسسة متجها للخارج فإذا بالأستاذ فى صحبة ضيف، كان يبدو مهما، وإن لم أتبين ملامحه..المهم أننى تنحيت جانبا

لأفسح الطريق للأستاذ وضيفه وبعد أن دخل الاثنين المصعد فوجئت بالأستاذ يناديني فدخلت المصعد مرة أخرى فقدمني لضيفه..

مددت يدى أصافح الضيف عندما بدأ الأستاذ بتقديمي له قائلاً: زميلي الأستاذ إسماعيل منتصر.. ثم التفت ناحيتي وقدم الضيف لى قائلاً: عساف ياجورى..

وانزعجت بشدة وسحبت يدى بسرعة كأن ماسا كهربائيا قد أصابها.. وضحك الأستاذ أنيس بصوت عال وهو يقول، موجها كلامه للضيف الإسرائيلي عساف ياجورى، الذى تم أسره خلال حرب أكتوبر والذى طلب فيما بعد زيارة القاهرة ولقاء عدد من الشخصيات منها الأستاذ أنيس منصور.. ضحك وهو يقول: أنتم لا تريدون أن تصدقوا أن المصريين يمكن أن ينسوا عدواتكم بسهولة!..

هل أراد الأستاذ أن يعطى الإسرائيليين درسا فى صعوبة التطبيع.. هل أراد أن يختبر تقبل المصريين للإسرائيليين؟!.. لم أجرؤ ساعتها على سؤاله!..

***

ذهبنا يوما للقاء الرئيس الراحل أنور السادات فى منزله بقرية «ميت أبو الكوم».. كان الحدث بالنسبة لنا نحن محررى أكتوبر من الأحداث التاريخية.. فهى المرة الأولى التى نلتقى فيها برئيس مصرى وجها لوجه نسمع منه ويسمع منا..

كان الأستاذ أنيس منصور صاحب فكرة هذا اللقاء وكانت وجهة نظره التى اقتنع بها الرئيس السادات أن مجلة أكتوبر واحدة من بنات أفكار السادات ومن ثم فإن محرريها هم أحفاده الشرعيون!..

هكذا كانت طريقة أنيس منصور وهكذا كان أسلوبه.. المهم أننا ذهبنا جميعا للقاء السادات وقضينا معه اليوم وتناولنا معه الغداء واستمعنا له وسألناه وأجاب.. وعدنا إلى مقر المجلة غير مصدقين..

بعد يومين وقبل يوم واحد من صدور العدد الجديد من مجلة أكتوبر اجتمع بنا الأستاذ أنيس منصور وبادرنا بسؤال لم يخطر على بال واحد منا: هل

كتب أحدكم شيئا عن لقاء السادات؟..

نظرنا إلى أنفسنا ولم نجب.. إما من المفاجأة وإما من الخجل.. وانتهى الاجتماع بأسرع مما نتوقع.. وعندما صدر العدد الجديد من المجلة فوجئنا بموضوع منشور عن لقاء المحررين بالرئيس السادات.. لم يحمل الموضوع توقيع كاتبه الأستاذ أنيس منصور وإنما كان الموضوع موقّعا باسم «واحد من أكتوبر».. وفهمنا المعنى واستوعبنا الدرس!.. وعندما التقيت بالأستاذ فى نفس يوم صدور العدد الجديد سألنى: هل قرأت الموضوع الذى كتبه «واحد منكم».. وضحك بصوت عال.. وضحكت من الخجل!.. واستطرد قائلاً: أسوأ أخطاء الصحفى أن ينسى أنه صحفى!..

***

اجتماع طارئ وعاجل وسريع.. هكذا تمت دعوتنا للقاء الأستاذ أنيس منصور الذى أخبرنا بأننا جميعا مكلفون بتغطية زيارة الرئيس الأمريكى كارتر للقاهرة.. وقام مديرو التحرير بتوزيعنا على الأماكن التى ستشملها الزيارة.. وتمت الزيارة وقدمنا ما كتبناه للأستاذ أنيس منصور واكتشفنا أننا كتبنا ما لا يستحق النشر.. ومع ذلك فوجئنا بموضوع كبير منشور عن الزيارة ملىء بالأسرار والتفاصيل ويحمل توقيعنا جميعا إلى جانب اسم الأستاذ أنيس منصور..

وفيما بعد سمعناه يقول: أعرف أنكم بذلتم أقصى جهد ممكن.. وليس ذنبكم أنكم كنتم فى أماكن ومواقع لا تسمح لكم بالحصول على معلومات.. كان تشجيعه الدائم للمحررين الشبان.. بلا حدود!..

***

رحم الله الأستاذ الذى تعلمنا جميعا فى مدرسته.. مدرسة الكلمات الجميلة والمواقف الرائعة.. مدرسة أنيس منصور! (*).

(*) إسماعيل منتصر – العدد ٣٠ أكتوبر (تشرين أول) ٢٠١١.

(**) د. محمد الجوادي.


بقلم: محسن حسنين

أعتذر إليكم مرتين..!

فليسمح لى قراء ومحبو أستاذى أنيس منصور أن أعتذر لهم مرتين نيابة عن أسرة مجلة أكتوبر!

الاعتذار الأول عن خطأ لم أرتكبه، أنا وتلاميذه، وهو عدم تكريم الأستاذ، مؤسس مدرسة أكتوبر الصحفية، طوال السنوات الماضية «على حياة عينه»، كما يقولون، فى مجلته التى أسسها لتكون نموذجاً فريداً فى الصحافة العربية.. وعذرى أننى لم أكن أملك وقتها القرار لكى أخصص عدداً من المجلة من الجلدة للجلدة لتكريم الأستاذ..

أما الاعتذار الثانى فهو أننى رغم امتلاكى لسلطة اتخاذ القرار، وتخصيص عدد من الجلدة للجلدة لتكريم الأستاذ، فإننى وزملائى لم نستطع أن نغطى كل الجوانب فى شخصية العملاق أنيس منصور.. فقد احترنا بين أنيس الأديب والصحفى والسياسى والفنان والفيلسوف.. والإنسان..

لكن عذرى الوحيد أن كل ما كتبناه، فى هذا العدد التذكارى الخاص، كتبناه جميعاً بقلوبنا قبل أقلامنا وعقولنا.

وعندما سألونى، فى سهرة إذاعية فى البرنامج العام، لمدة تزيد على الساعة عقب تشييع جنازة أستاذى أنيس منصور، عن أهم ما لفت نظرى فى شخصيته.. قلت: إن أهم ما فيه أنه إنسان بكل ما تعنى هذه الكلمة من معان.. فإيمانه بقدرات الشباب لا حدود لها.. وذلك ما لمسناه ونحن نتعلم على يديه فى مدرسة أكتوبر الصحفية.. فقد كان يتفاعل ويتعامل معنا وكأنه شاب مثلنا.. حتى أنه كان يقدمنا لكبار المسؤولين والوزراء قائلاً: "زميلى" فلان، وطبعاً كنا فى "نُص هدومنا" وهو يصفنا بأننا زملاؤه؛ لأننا كنا نعلم تماماً أننا تلاميذه ولسنا

زملاءه، وأن المسافة بيننا وبينه طويلة طول المسافة من أسوان لرأس التين..!

ولالتحاقى بكتيبة أكتوبر الصحفية حكاية كان بطلها الأستاذ، سأرويها ليس من باب التباهي ولا التفاخر؛ لكن لكى يستفيد منها الجميع رؤساء ومرءوسين.. شباباً وكهولاً..

فعندما أبلغنى صديق عمرى الكاتب الكبير الأستاذ أسامة أيوب بأن "الأستاذ" يبحث عن محرر اقتصادى جيد؛ لأن هذا التخصص هو ما ينقص مجلة أكتوبر.. اتفقت مع أسامة ومع أستاذتى الكاتبة الكبيرة مريم روبين، متّعها الله بالصحة والعافية، على أن أدخل على الأستاذ لا بكارت توصية كما هو الحال فى مثل هذه المواقف، لكن بموضوع صحفى قابل للنشر فوراً..! وكان أهم حدث اقتصادى آنذاك هو المؤتمر الاقتصادى الذى دعا إليه الرئيس السابق حسنى مبارك فى فبراير من عام ١٩٨٢ وشارك فيه خبراء وعلماء من مختلف الاتجاهات والتوجهات..

واستعنت بصديق عمرى الكاتب الكبير الأستاذ أسامة سرايا فى إمدادى بكل الدراسات المقدمة للمؤتمر، والتى كانت سرّية، وأعددت موضوعاً بعنوان "اقتصاد مصر فى غرفة العمليات"..!

ويوم لقائى بالعملاق أنيس منصور لبست كل اللى على الحبل.. البدلة والكرافتة.. ودخلت عليه، وكان جالساً فى مكتب أستاذنا محمد عبد الوارث متّعه الله بالصحة والعافية.. فسلمت عليه، وقلبى يرتجف بشدة، وقدمت له التحقيق بدلاً من كارت التوصية، فقرأه بسرعة شديدة ثم قال للأستاذ عبد الوارث: محمد.. الموضوع ده صفحتين العدد ده.. ثم نظر إلىّ قائلاً: محسن أهلاً بك معنا فى أسرة أكتوبر..!!

هكذا كان الأستاذ.. بدون واسطة، لا أونكل ولا تيتة، ولا كارت توصية، كان يختار الصحفيين الذين يعملون معه..

واقعة أخرى.. عندما استنجد عدد من أهالى المطرية بالدقهلية بالمجلة لإنقاذهم من ظلم محافظ الدقهلية، وكان صديقاً شخصياً للأستاذ أنيس منصور، فذهبت أنا وزميلى المصور الأستاذ محمد سامى لقرية بالمطرية

لأرصد مظاهر الظلم واستطلاع آراء الأهالى.. والتقينا فى النهاية بالمحافظ ليرد على ما قاله الأهالى، وكان رده ضعيفاً وحجته باهتة، لكنه قال لنا بتباه: سلموا لى على الأستاذ أنيس لأنه صديقى الشخصى، يعنى الكلام إليك يا جارة! واحترت هل أكتب ما رأيته بعينى وما سمعته بأذنى من ظلم، أم أجامل المحافظ صديق رئيس التحرير.. ولم أتردد.. هاجمت المحافظ.. ودخلت على الأستاذ أنيس ورويت له ما حدث وأنا أقدم له التحقيق.. وقلت له إن المحافظ بيسلم عليك..!!

فأمسك الأستاذ بالتحقيق ولم يقرأ إلا عنوانه وكان: "حكاية الأرض المخنوقة بالمطرية".. فكتب عليه "للجمع فوراً".. ثم نظر إلىّ وقال لى بسخرية: قل له الله يسلمه، أى المحافظ طبعاً..!

ونشر التحقيق كاملاً ولم تحذف منه كلمة واحدة..!

هكذا كان الصحفى والإنسان أنيس منصور الذى لو كتبت عنه صفحات وصفحات فلن أوفيه حقه..!

لكننى سأختم بطرفة لأستاذنا الكبير الذى كان منجم نكت وقفشات وطرائف ونوادر: زميلنا الكاتب الكبير أحمد مصطفى، متّعه الله بالصحة والعافية، اختاروه ليمثل دوراً صغيراً فى فيلم كراكون فى الشارع مع عادل إمام.. وعندما أبلغوا الأستاذ أنيس بأن فلاناً وقّع عقداً للتمثيل.. قال بكل بساطة: ياااااه.. لأول مرة فى حياته يمثل بعقد.. طول حياته بيمثل علينا من غير عقد..!!

زميل آخر هو الكاتب الكبير الأستاذ أيمن كمال.. توفى والده الشاعر الكبير كمال منصور وكان صديقاً للأستاذ أنيس، فلما ذهب الأستاذ للعزاء وجد أيمن يرتدى كرافتة ملونة.. فقال له: لو أعرف إنك مش زعلان قوى على أبوك.. ماكنتش جيت عزيتك..!!

رحم الله أستاذنا ناظر مدرسة أكتوبر الصحفية.. أستاذنا أنيس منصور.. الأديب والصحفى والفيلسوف والفنان وقبل كل هذا وذاك.. الإنسان.

حضرة العمدة يعترف:

الطفل أنيس.. حسن السير والسلوك

رغم عمره المديد الذى تجاوز ال ٨١ عاما أكد حضرة العمدة الحاج عبدالله السروالى عمدة قرية نوب طريف والذى يتمتع بصحة جيدة، وذاكرة حديدية أن الطفل أنيس منصور كان حسن السير والسلوك وكان منطويا على نفسه، وأجمل ما فيه أنه كان يواظب على الصلاة فى المسجد، ويحرص على الذهاب إلى كتاب القرية مع بقية الأطفال.

ويضيف حضرة العمدة قائلا: إن أنيس كان صديق شقيقى الأكبر، وكانا يحفظان القرآن معا، وفى أوقات الفراغ كانا يذهبان إلى «الرياح» مجرى مائى كبير لصيد السمك، أما والده فكان ناظرا بدائرة راضى عز الدين باشا يكن.

حكاية الفتى منصور من البداية إلى النهاية

عن علاقته بأمه يقول «الأستاذ»: كنت ألازمها كظلى، أراها فى اليقظة والمنام، أراها أمامى فى الكتاب والمدرسة، كانت سريعة الحركة، تنتقل فى طول البلاد وعرضها تزور أهلها وعشيرتها، وتمد حبل الوداد الذى قطعه والدى لظروف عمله، كانت معشوقتى الأولى، وكنت معشوقها الأوّل.

أرز بالسمن:

عندما كان يسمع الطفل أنيس أن أمه مريضة.. كان يمرض لمرضها، ويسعد لسعادتها، كانت تحاول إخفاء مرضها وكان يحاول معرفة الحقيقة، تسلل إلى حجرتها، ونام تحت قدميها.. سمع أنين الألم يخرج من طيات ملابسها.. جاءته رعدة وأصابه برد فى عظامه أراد أن يخفف عنها.. أتى بملابسه.. وضعها فى إناء كبير، وصب عليها الماء، أراد غسلها.. صعد إلى سطح المنزل لتجفيفها، رأته الأم المريضة احتضنته، قالت له حفظك الله يا بنى. نام على صدرها، أحس بدفء بين ذراعيها، دعت له بالبركة وطول العمر، فعل ما هو أكثر، دخل إلى غرفة الطعام ليصنع لها حفنة من الأرز المسلوق.. أحس أنها جائعة، أراد أن تكون فى أحسن حال، خلط الأرز بالماء وفوقهما السمن، تحول الأرز إلى عجين، فلا هى أكلت، ولا هو استراح.. موقف آخر أراد تخفيف العبء عن أمه.. ظل يبحث عن رضاها، جمع فناجين القهوة التى تحتاج إلى غسيل، صب عليها الماء، حاول تجفيفها.. ووضعها فى مكانها على الرف، فى لحظة سقط الرف وتكسرت الفناجين، وكانت مشكلة نال بسببها علقة ساخنة، فلا هى طلبت منه الغسيل، ولا نجح فى المهمة، ولا تركها مكانها.. وسبب العلقة أن الفناجين كانت ملك إحدى الجيران، ومطلوب ردها فى أسرع وقت.

سيدة قوية:

يقول الأستاذ أنيس منصور: أردت أن أعرف مصيرى من أمى التى كانت تقرأ الفنجان.. كانت تستطلع الغيب، كانت سيدة قوية لاتعترف بالضعفاء يأتى

إليها أخوالى ليقبلن يديها ورأسها كل صباح..

قالت لى أكثر من ٢٠ مرة لن تكون مثل أبيك ولن تكون مثل عمك فى الأزهر، ولن تكون طبيبا أو عمدة أو مهندسا، ولكن ستكون وزيرا.. أتيت لها بفنجان قهوة.. حتى أعرف منها ماينتظرنى، انتظرت على الفنجان حتى يجف، وظهرت فى وسطه خطوط متداخلة، أمسكته بين أصابعها، نظرت فيه بعمق، انفرجت أساريرها، أشرق وجهها، وقالت: فنجانك حلو قوى ياابنى، كله سكك مفتوحة، وفى وسط الفنجان كلمة «الله» وبجواره كلمة «محمد».. الله نور، ومحمد جميل الوجه، وحوله أناس كثيرون، وتابعت قائلة: ياابنى أعداؤك من دمك، والله ناصرك وحاميك.. العلاقة بينى وبين أمى كانت عجيبة.. كان لابد لى أن أمرض حتى أكون قريبا منها، أو تمرض هى، حتى أنام تحت قدميها، وبعد ذلك فى حضنها.

كان الطفل أنيس منصور انطوائيًا، زرعت فيه أمه مبادئ العزلة، أراد أن يكون مستقلا فى تفكيره وعلاقاته، فمع كثرة أشقائه، لم يعرف منهم أحدًا، كانوا بالنسبة له مجرد ذكرى، وكان بالنسبة لهم مجرد طيف، لم يسأل عليه أحد، وهو لم يسأل عليهم أيضًا، وقف ذات يوم مع أحدهم، نادته أمه بصوت جهورى.. لاتقف فى الشارع، فالجلوس فى البيت أفضل لك وله.. يقول الطفل أنيس: لم أفكر فى أحد من أشقائى.. كل تفكيرى كان فى شقيقتى التى تمنيت أن أراها، كنت أحلم أن ننام معًا ونلعب معًا، ونعيش معًا.. ولكنها أمى التى كانت تخاف علىّ حتى من إخوتى. الناس عندها صنفان: الأقارب أسوأ الناس. أما الجيران فهم أقل سوءًا، والمدهش أنها كانت لاتفضل الجلوس إلا مع الست أم عزيز كانت مسيحية تقرأ الفنجان وتفتح الكوتشينة.. وكان أولادها عزيز وألفت ومادلين أعز ما أملك.

لم ينعم الطفل أنيس منصور بحياته كبقية الأطفال، فوالده كان دائمًا خارج البيت، وأمه كانت دائمًا مريضة، كان يترك دروسه ويجلس بجوارها ليطعمها، ويعطيها العلاج، ويرتب لها حجرات الاستقبال والنوم والمعيشة..

الموت غرقًا:

تفوق على أقرانه فكان الأول على الجمهورية فى الابتدائية والأول فى

التوجيهية.. كان فى حزن دائم لم يقل له أحد مبروك.. حاول الانتحار مرتين.. مرة فى التوجيهية والثانية فى البكالوريا.. كل الناجحين يوزعون الشربات، ويقيمون الموائد، أما هو فإما أنه يبكى على أمه، وإما يبكى على نفسه دخل غرفتة لينام فلاحقته الكوابيس من كل جانب، أشباح، وعفاريت، وعقارب، وشياطين.. الكل يحاول الخلاص والقصاص منه هرب إلى فراشه غطى نفسه جيدا لينقذ نفسه من هذا العذاب، أعاد المحاولة مرات ومرات ولكنه فشل، ماذا يفعل؟. عذاب بالليل، وجحيم بالنهار.. أب غائب وأم مريضة فالحياة لا قيمة لها بعد فراق الأهل والأحباب هداه تفكيره أن يخرج من المنزل، أخذ يمشى فى شوارع القرية قادته خطاه إلى شاطئ النيل فى المنصورة يذهب إلى هناك يقف على الشاطئ ويفكر فى الانتحار، قرر أن يموت غرقا، همّ بإلقاء نفسه فى النيل، وما بين لحظة وأخرى نادت عليه امرأة لا يعرفها،قد تكون نداهة وقد تكون جنيّة وقد تكون امرأة حقيقية باتت لغزا يؤرق حياته حتى مماته.. قالت له: تفكر فى الانتحار ولكن إذا غرقت أو مت فمن يرعى أمك؟ عندها كما روى نبيل عتمان كاتم أسرار الأستاذ أنيس منصور لأكتوبر- تراجع الفتى أنيس ليعود إلى أمه، ويحتضنها، ويقول لها أنت شقائى وسعادتى لترد عليه قائلة: وأنت حلم حياتى، وجنتى ونارى... أنت بالنسبة لى كل شىء فى الوجود.

عيشة الحرية:

ولأن الطفل أنيس منصور كان يعشق الحرية فإنه كان مبهورا بعائلات الغجر التى كانت تنتقل من شرق البلاد لغربها كانت تجيد قراءة الكف والفنجان والكوتشينة، ويتذكر الأستاذ أنيس منصور أن نساء الغجر كن جميلات، كن يأسرن اللب، كانت الواحدة منهن طاقة متفجرة من الجمال والفتنة، كن يأسرن الألباب.

قراءة الكف:

يقول الأستاذ أنيس كنت أعشق واحدة منهن، دفعنى حبها أن أمشى معها، أتعلم منها قراءة الكف والفنجان، وكانت أمى تخاف علىّ من هذه الصحبة، وكانت تشتكى لأبى من هذه التصرفات، كانت تدفعه لأن يفعل شيئا.. وكان

طيبا ودودا، يسألنى لماذا تمشى مع الغجر، وكانت الإجابة إنها المعرفة ياوالدى.

اعترف الأستاذ أنيس أن صوته كان جميلا، كان يهوى الغناء والتلحين يهوى الجمال والطرب، وعندما سألت نبيل عتمان عن سر هذا الجمال فى صوته قال.. لقد سألت الأستاذ نفس السؤال فقال: الصوت موهبة.. ونعمة من الله، وصوتى هو صورة طبق الأصل من صوت والدى.. الذى كان يقرأ القرآن بصوت رخيم، وكنت أردد وراءه بنفس الأداء، كان يبكى، وكنت أبكى مثله، كنت أسمعه وهو يغنى لصالح جودت وسيد درويش وعبده الحامولى، كان يحضر حفلات منيرة المهدية، ويرتجل أغنيات وتواشيح دينية ويغنيها، يقول الأستاذ أنيس، وكان خالى يغنى أيضاً وكان صوته جميلاً وكذلك خالتى. أما أمى فقد سمعتها تغنى ذات مرة فى الحمام ، وكان صوتها جميلاً ولكنه كان حزيناً، ومهموماً، وإن كانت كلمات أغنيتها تحمل معانى الصبر والهموم والبخل والكرم، وقساوة الأيام والذل والحسد، وما شابه ذلك من معان.

الحب الأول:

وتمر الأيام فبعد حصول التلميذ أنيس منصور على الترتيب الأول فى الابتدائية، انتقل إلى التوجيهية وفى طريقه إلى المدرسة مع زملائه رأى فتاة نحيفة سمراء طويلة، سوداء الشعر، تهز رأسها بصورة عصبية -على حد وصفه- لم يضعها فى ذهنه ولكن بعد يوم واثنين وثلاثة.. لا حظ أنها ترقبه سار فى طريقه إلى حال سبيله مالت عليه وقطعت عليه تفكيره، سألته عن الساعة، فقال:

لا أعلم، فقالت له السابعة.. من هذه الفتاة إنها أخت فريد.. أحد أصدقاء الدراسة، جاءت إلى منزلنا مع والدتها ،لزيارة أمى المريضة.. لم ألق بالاً، ولكنى مازلت متذكراً تلك الفتاة الناعمة والشعر الأسود إنه الحب الذى يأتى فجأة ويذهب فجأة أيضا.. وبعد سنوات يحصل الطالب أنيس منصور على المركز الأول فى الثانوية أو البكالوريا ثم يأتى مع أسرته الكريمة إلى مدينة امبابة ليلتحق بكلية الآداب قسم فلسفة جامعة فؤاد الأول ويحصل على المركز الأول أيضًا، يقوم بالتدريس فى الكلية.. يلتف حوله الشباب ليكون نجم

الشباب فى الخمسينات ونجمهم أيضا بعد الثورة فى ٢٠١١ وتبدأ رحلة الدراسة والاطلاع والمعرفة مع الصحافة والشهرة، مع محمد التابعى، ومصطفى أمين، مع أخبار اليوم، ومجلة الجيل، مع آخر ساعة والأهرام مع نجوم الفن والسياسية والأدب مع إحسان عبد القدوس، ويوسف السباعى، ونجيب محفوظ، مع الرئيس عبد الناصر، والرئيس السادات والذى نجح باقتدار فى اكتشاف هذا الراحل العظيم ليجعله من المقربين إليه، ويمنحه لقب رجل المهمات الصعبة فى العراق والسودان وإسرائيل وليبيا، كانت له أيام فى صالون العقاد مع توفيق الحكيم والمازنى وطه حسين، عاش فى حياته عبدالوهاب، والسنباطى، وبليغ وأم كلثوم، ونجاة الصغيرة، وعبد الحليم حافظ وكان ابن نكتة مثل يوسف السباعى، وزينات علوى، وإسماعيل ياسين وكمال الملاخ.

زجاجات الخمر:

وفى معرض حديثه عن الحكام العرب قال عن القذافى: كان رجلاً جاهلاً لا يعرف قيمة الناس أو الأدب أو الفكر وكانت الحاشية التى تحيط به أكثر منه جهلاً.. ويدلل على ذلك بأن ضابط الجمارك فى مطار طرابلس أفرغ زجاجات الأدوية الخاصة بالأستاذ أنيس، وقال له: سأحرر لك محضرًا.. لأنك تحمل زجاجات من الخمر، تعجب الأديب الكبير وقال إنها زجاجات لعلاج المعدة وتقلصات الأمعاء.. وهى دواء أتناوله عند الحاجة إلّا أن الضابط أصر على تحرير محضر، وقال: الخمر أيضًا دواء، وأبو نواس قال عنها «فداونى بالتى كانت هى الداء».. وعندما علم القذافى بالحكاية.. دعا «الأستاذ» إلى مقابلته، طلب منه أصل الحكاية اعتبر «الأستاذ» أن القذافى سيحقق فى القضية، ولكنه اكتشف أنه يريد أن يسمع ليضحك ومن هنا أدرك الأستاذ أنيس منصور حجم الحكام العرب مقارنة بالعملاق الكبير أنور السادات.

أما صدام حسين فله حكاية أيضًا مع الفقيد الراحل، وهو أنه عندما انتهى حكم الشاه بقيام ثورة الخومينى.. أوفد الرئيس السادات «الأستاذ» لصدام حسين بغرض تحصين الجبهة الشرقية ضد أطماع الخومينى وأتباعه وعدم

الانسياق إلى حرب قد يكون غير مستعد لها، وفجأة وبلا سابق إنذار انساق صدام وراء استفزازات الخومينى، ودخل حربًا معه فقد فيها أكثر من ١٠٠ ألف شهيد دون أن يطلع الرئيس السادات عما يدور فى ذهنه، ولم ينقذه من براثن إيران إلّا الرئيس السادات ومن بعده الرئيس السابق حسنى مبارك.

رجل المهام الصعبة:

ولأن الأستاذ أنيس هو رجل المهمات الصعبة فقد أوفده الرئيس السادات أيضاً إلى جعفر نميرى فى مهمة سرية طالبًا منه تحسين علاقاته مع دول الجوار والمنبع خاصة تشاد وأثيوبيا وكينيا وتنزانيا لأنها بمثابة العمق الاستراتيجى للأمن القومى المصرى الذى يمتد من هضبة الحبشة جنوبًا حتى البحر المتوسط شمالًا، ومع هذا فقد كان جعفر نميرى يستقوى على هذه الدول مستغلًا تلك العلاقة الخاصة التى تربطه بالرئيس السادات، وكان يمد حركات المعارضه فى تلك البلاد بالأسلحة والذخيرة حتى ثار عليه قادة جيشه وفى النهاية لجأ إلى مصر ليتحول من زعيم سياسى ورئيس دولة إلى لاجىء لا حول له ولا قوة.

أما أخطر ما رصده الأستاذ أنيس منصور خلال لقاءاته السرية مع جعفر نميرى هو أن الرئيس السودانى كان يتعاون مع الإسرائيليين ضد الشعب الفلسطينى بتهجير يهود الفلاشا بالسودان وأثيوبيا، وكينيا إلى تل أبيب برحلات جوية مشبوهة، وجوازات سفر مزورة مما كان يتنافى مع مبادىء القومية العربية.

أسرار كثيرة ارتبطت بحياة الفتى منصور ابن السنبلاوين والمنصورة والدقهلية.. ابن القاهرة الساهرة، ومصر العامرة، ابن النيل والأهرام وأبوالهول.. عاشق الفكر والأدب.. رحم الله الفقيد رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته.

حكاية الشيخ سليمان مع الأستاذ
فى الكُتاب والمدرسة والأهرام

إنه الشيخ سليمان على ندا.. صاحب البركات والنفحات، يحفظ القرآن عن ظهر قلب ورغم سنه الذى تجاوز الـ ١٠٠ عام فمازال يتمتع بذاكرة قوية قال لـ أكتوبر أنيس منصور حبيبى.. عشنا أحلى أيام العمر.. كانت أياماً جميلة خالية من الكذب والنفاق، كنت قريباً من «الأستاذ» لدرجة لا يتصورها عقل، وذلك بحكم عملى مع والده الذى كان يعمل بالليل والنهار حتى يستطيع توفير النفقات لأولاده الذين تجاوزوا الأحد عشر كوكباً .

كان والد الأستاذ يمتلك محل فراشة بجوار عمله ناظر زراعة عائلة يكن، وكنت أقوم بإدارة المحل، ورعاية الطفل أنيس، وتوصيله إلى الكتاب والمدرسة، كان عهدة فى رقبتى فى حالة غياب والده.

كنت أصطحبه يومياً إلى كتاب الشيخ عبدالمعبود وعندما مات كلّفنى والده بالذهاب به إلى كُتّاب الشيخ السيد أبومحمد، وإلى المدرسة الابتدائية، وأهم ما يميز الطفل أنيس أنه كان خجولاً جداً، وكان لا يرفع بصره من الأرض، وكان دائماً مهموماً، وكأنه ينظر إلى العالم الآخر.

وكشف الشيخ سليمان ندا أن خط الأستاذ أنيس كان جميلاً جداً وأنه كان ضمن أسرة مكونة من ثلاثة أشقاء أنيس وعبدالعزيز وإخلاص بالإضافة إلى ١١ آخرين.

وقال إن والدة أنيس كانت من الزرقا فى دمياط وكانت ثرية جداً، ويكشف أنها كانت الآمر الناهى فى البيت، وكان والده دائم الترحال والسفر حتى يتمكن من توفير النفقات لأشقائه، وحتى يعيشوا عيشة كريمة.

ويؤكد الشيخ أن والد أنيس كان رجلاً أصيلاً ومحترماً، فعندما باعت عائلة يكن الأرض لعمدة القرية، وترك والده النظارة، وأصبحت أنا بلا عمل،

أرسلنى الحاج محمد منصور إلى زوج ابنته الكبرى محمد على المهلمى لأعمل فى تجارة الخيش، بجوار سيدنا الحسين عام ١٩٤٥.

ويتذكر الشيخ سليمان ندا موقفاً طريفاً أنه فى أوائل الخمسينات قررت زيارة الأستاذ أنيس فى الأهرام.. وعندما وصلت للبوابة منعنى الأمن من الدخول وحتى الاقتراب، وقالوا لى: «هوه حد يقدر يقابل الأستاذ؟». يستطرد ندا قائلاً لم أرد عليهم.. وقلت لهم أبلغوه باسمى فقط إذا قبل فبها ونعمت، وإذا رفض فلن أحضر إلى هنا بعد اليوم.. وبالفعل اتصلوا بالأستاذ أنيس وأبلغوه باسمى فأمرهم بصعودى، وقابلنى مقابلة حسنة وكريمة، وتذكرنا معاً أيام الطفولة.

ويتابع ضاحكاً: منذ سنوات اشتكى أحد أبناء القرية، الذى يعمل فراشاً فى إحدى المدارس من ناظر المدرسة الذى طلب منه صراحة أن يعمل عنده فى الحقل، وعندما رفض الفراش، قرر الناظر مجازاته، وخصم له أياما كثيرة على أشهر متوالية، وذات صباح جاء هذا العامل يشتكى فطلبت منه الذهاب إلى الأستاذ أنيس منصور لينقله، وبالفعل ذهب العامل إلى «الأستاذ» فى الأهرام.. فضحك الأستاذ كثيراً وقال له: «اذهب الآن إلى المدرسة» ولا تتكلم، وبالفعل ذهب العامل فوجد الناظر يقول له من الآن: أنت الناظر وأنا العامل. خلاصة الكلام كما يقول الشيخ ندا أن الأستاذ أنيس منصور لم ينس أهل قريته يوماً ما على عكس ما يقال ويشاع .

مكتبة «الأستاذ» صدقة جارية:

فى تصريحات خاصة لـ أكتوبر طالب اللواء محمد غيط راغب رئيس مركز ومدينة السنبلاوين من ورثة الأستاذ الكبير أن تكون مكتبته من نصيب أبناء محافظة الدقهلية لتكون بمثابة صدقة جارية على روح الفقيد الراحل. وأضاف أن مدينة السنبلاوين غنية برموز الفكر والثقافة والأدب والفن، فالعلامة أحمد لطفى السيد، من قرية برمين، وسيدة الغناء العربى أم كلثوم من طما الزهايرة والفيلسوف أنيس منصور من نوب طريف. وأشار إلى أن الأستاذ أنيس يعد بمثابة فيلسوف البسطاء الذى أمتعنا بكتابه الشائق حول العالم فى ٢٠٠ يوم، وأكد أن مجلس المدينة عاقد العزم على وضع

تمثال له فى أشهر ميادين المدينة أسوة بالفنانة أم كلثوم، فضلاً عن إطلاق اسمه على مكتبة السنبلاوين العامة.

من نوادر الأستاذ:

من نوادر الأستاذ أنيس منصور الإبداعية عندما كنا نحضر اللقاء الفكرى فى معرض الكتاب، أنه كان يحاول الهرب بعد انتهاء اللقاء فيفاجأ بأن هناك لقاء آخر فى قاعة أخرى.. وكان يضحك ويقول- أوقع بى سمير سرحان- وكان يقصد د. سمير سرحان الذى كان يدير اللقاءات الفكرية فى معرض الكتاب وفى إحدى المرات كان الأستاذ أنيس رحمة الله فى غاية الإرهاق وهو يهم بالانصراف فإذا بأحد الشباب يفاجئه بسؤال- ما هى الحضارة يا أستاذ- وكان الأستاذ أنيس يومها يخشى الزحام المرورى فى طريق عودته للمنزل- فرد قائلا الحضارة هى احترام إشارة المرور.

ونوادر الأستاذ أنيس كثيرة جدا لو جمعناها لكانت أكبر موسوعة للنوادر والطرائف فى العالم.. فمنها اللاذع ومنها الغريب ومنها غير المتوقع وهكذا.. مثلا كان الحديث عن الحب والشعراء والمبالغة فى الوصف، وكان حديثا جادا جدا عندما سألته عن أحد أبيات الشعر فى قصيدة المواكب للشاعر جبران خليل جبران والذى قال فيه.

والحب أن قادت الأجساد مواكبة إلى فراش من الأغراض ينتحر. وقبل أن أكمل البيت الثانى رد الأستاذ أنيس وكان يريد أن ينهى اللقاء بطرفه كعادته فقال ربما كان المحب عاجزا فهو لا يستطيع أن يذهب بمحبوبته إلى الفراش، أو ربما معندوش سرير يا أخى!! وضحكنا وضحك الأستاذ.

نبيل عتمان .. كاتم أسراره

عندما أخذنى الأستاذ ليلا
لنبكى معًا على قبر أمه

لم يكن من المقبول أو المستساغ أن تصدر مجلة أكتوبر، الابنة البكر للأستاذ أنيس منصور، دون لقاء نبيل عتمان كاتم أسرار الفقيد الراحل، والذى كان ومازال دائرة معارف متنقلة تحوى بين جنباتها الكثير والكثير من الوثائق والأسرار.

فى هذا الحوار الخطير كشف «عتمان» عن «دهاليز» الحياة الخاصة للأستاذ أنيس، وحكاية ذهابه إلى قبر أمه ليلاً والبكاء عليه حتى مطلع الفجر.. وتفاصيل زجاجة البرفان التى عاشت مع الأديب الراحل حتى وفاته..

تفاصيل كثيرة فى نص الحوار التالى:

أنيس منصور كان عضواً فى الإخوان ويخطب الجمعة بتعليمات من حسن البنا

السادات قال لأنيس: أنا شاكك فى نبيل.. فرد نبيل عثمان توأم روحي

أسرار المقال الذى نشره الأستاذ أنيس وتسبب فى «خناقة» بين ثلاثة فنانين

كلمة السر بين أنيس وعبد الوهاب «من منكم محمد محمود»!

حكاية سائق أنيس منصور الذى حاول اغتيال موشيه ديان فى طريق القناطر

السادات توقع نجاح معاهدة السلام لأن الشعب الإسرائيلى هو الحاكم بأمره

تعلمت أسرار تحضير الأرواح من كتابات الأستاذ منصور وأنا طالب فى الإعدادي

حسن البنا تبنى أنيس ، وجعله إمام

*أستاذ نبيل.. متى كانت البداية؟

**بدايتى مع الأستاذ أنيس منصور كانت عندما كنت طالباً صغيراً فى الإعدادية وبالتحديد عندما كان يكتب عن تحضير الأرواح فقمت بعمل تجربة صغيرة بناء على ما كنا نقرؤه، حيث كنا نقوم بتجهيز «سَبَت وقطعة عريضة من الخشب»، ونكتب عليها بالقلم الرصاص اسم المتوفى، ونقرأ عليها بعض الأوراد والآيات والنصوص المقدسة، فيخيل إليك من أول لحظة أنك تسمع روح من كتبت اسمه على الخشبة.. وبسبب هذه التجارب تعلقت بكتابات الأستاذ أنيس منصور.. وعندما تقدم بى العمر قليلاً كنت أواظب على شراء كتب هذا العبقرى الذى ساهم بشكل فاعل فى تشكيل وجدان أجيال الخمسينات والستينات وظلت على هذا العشق والهيام حتى وافته المنية يوم الجمعة الموافق ٢١ أكتوبر من عام ٢٠١١.

*ومتى كانت البداية الحقيقية؟

**كانت فى أخبار اليوم، وبالتحديد عام ١٩٦٦.. حيث طلبنى الأستاذ أنيس منصور بالاسم لأكون ملازماً له فى كل تحركاته، وعلى مدى ٤٥ عاماً كنت مرافقاً له كظله.. عرفت عنه الكثير، وحفظت الكثير من الأسرار والتى ستعيش معى، وستموت معى.

*هل يسمح الأستاذ نبيل بإفشاء بعض هذه الأسرار لمجلة أكتوبر والتى تعد الابنة البكر للفقيد الراحل؟

**فى بداية عملى معه بأخبار اليوم طلب منى أن أذهب معه فى زيارة خاصة.. اعتقدت أننا سنذهب لزيارة مسؤول كبير، ولكن المفاجأة أنه اصطحبنى معه لزيارة قبر أمه، توقفنا أمام المدفن، وفتحنا الباب، وجلس أمام القبر يقرأ القرآن من المصحف، ينتهى من سورة حتى يبدأ فى سورة أخرى وظل على هذه الحالة حتى مطلع الفجر، وفى لحظة سقط المصحف من يده، ويصف الأستاذ نبيل المشهد كاملاً وكأنه حدث بالأمس بأن الدموع كانت تنزل من عين الأستاذ أنيس كأى إنسان، ولكن سرعان ما تحولت الدموع إلى حزن وبكاء، ثم تفجر الوضع وأخذ يبكى كالطفل الصغير من حنجرته.. يبكى فى هيستيريا، أخذ يشهق ويشهق ويشهق.. كان المشهد صعباً.. فلأول مرة أرى

أنيس منصور يبكى.. لقد كان كالجبل الأشم، وفى لحظة أصبح كالحمل الوديع، أو الطفل الرضيع.. كان الفقيد الراحل باراً بأمه، يعد لها الطعام، ويهيئ لها مكان النوم، كان يخاف على أمه أكثر من خوفه على نفسه، فقد عاش فى أحضان المرض، وتجرع مرارة الوجع، لم ينعم كغيره من الأطفال بجمال الطفولة أو الجرى فى الحقول ووراء الطيور والعصافير.

ويكشف الأستاذ نبيل عتمان سراً - ربما يذاع لأول مرة - أن مدرس التربية الفنية طلب من التلميذ أنيس أن يرسم زجاجة «بارفان».. وبعد مرور ١٠ دقائق من الحصة.. لم يرسم الطفل شيئاً.. وأخذ يبكى كأنه فقد شيئاً، اقترب منه المدرس.. وسأله عن سر بكائه: فقال له: أبكى لأننى لا أعرف شكل زجاجة «البرفان».. أنا أعرف فقط شكل زجاجات العلاج والأدوية، فهى عندنا لا حصر لها، أعرف زجاجة الشراب المضاد للحساسية، والمهدئ للأعصاب، والطارد للكحة.. أعرف كل ألوان العذاب أما البرفان فلا علاقة لى به، عندها طلب منه الأستاذ رسم أى زجاجة حتى لو كانت زجاجة علاج.

ويعترف نبيل عتمان على لسان الراحل الكبير بأن هذا الموقف ظل عالقاً فى ذاكرة الأستاذ أنيس منصور حتى أيامه الأخيرة لدرجة أنه كان يضع فى غرفة نومه، ومكتبه وسريره الخاص أكثر من ٥٠ زجاجة برفان، والأعجب من ذلك أنه ظل يحتفظ بالفارغ منها، وكأنه يقول: عجبت لك يا زمن.

١١ أخاً

*هل تعرف شيئاً عن الأسرة التى نشأ فيها الكاتب الراحل؟

**للكاتب الراحل ١١ أخاً ولكنهم غير أشقاء، بمعنى أنهم من أبيه فقط، أما إخوته الأشقاء فأخ واحد.. وأخت واحدة.

*وماذا عن الحياة الخاصة للأستاذ أنيس منصور؟

**الأستاذ أنيس كان يستيقظ مع آذان الفجر - أى فى الساعة الرابعة تقريباً - وبعد إجراء بعض التمرينات البسيطة كالمشى فى أرجاء المنزل.. يعد الشاى ويجهز الفطور لنفسه، ثم يطالع الصحف، ويبدأ فى القراءة حتى الساعة العاشرة صباحاً، بعدها يتوجه إلى مكتبه، سواء كان فى الأخبار أو مجلة أكتوبر، ثم الأهرام فيما بعد.

ويؤكد الأستاذ نبيل عتمان أن من طقوس الأستاذ أنيس الخاصة أنه كان يكتب فى البيت.. كانت السيدة حرمه رجاء حجاج على قدر المسؤولية، وفّرت له المناخ المناسب ليقرأ ويكتب ويفكر، هى سيدة بألف رجل، وربما أكثر، وإذا كان الأستاذ أنيس منصور يدين بالفضل لأحد بعد الله فلأمه التى عاشت فى وجدانه حتى وفاته، ولزوجته السيدة رجاء، والذى كان يهيم بها عشقاً وحباً، فكانت ملكة متوجة على عرش قلبه.

*وماذا عن أدق الأسرار الخاصة بالأستاذ أنيس عند الكتابة؟

**الأستاذ أنيس كان يحب الحرية.. فكما قلت لك إنه كان يكتب فى البيت لعدة أسباب منها: زوجته الكريمة الأستاذة رجاء حجاج التى منحته الحرية فى أجمل صورها، وتأكيداً للحرية المطلقة فقد كان الأستاذ يرتدى «البيجاما» عند الكتابة.. بل الأجمل من ذلك أنه كان يرتدى حذاء واسعاً حتى يحس أنه كالعصفور الطليق.

ولأن الأستاذ كان يكره القيود - كما يقول الأستاذ نبيل عتمان - فقد كان يتخلص من «الكارفات أو رابطة العنق» عند نهاية أول لقاء رسمى.. لدرجة أنه كان يقابل الرئيس السادات بجلالة قدره «بالهاى كول» بعيداً عن الزى الرسمى.

طقوس الأستاذ:

ومن طقوس الأستاذ أنيس أيضاً أنه كان لا يثق فى أحد - باستثناء زوجته - أن يرتب له أوراقه أو كتبه، أو سرير نومه.. وكان حريصاً على ترتيب مكتبته بيده، وكان يعرف مكان أى كتب، وفى أى رف أو ركن، ويتذكر أنه فى يوم من الأيام قام أحد العمال بنقل كتاب كان موضوعاً على «الفوتيه» من مكانه، وطلب من العامل إحضاره فوراً، على أساس أنه أهم كتاب فى المكتبة، وحذّر العامل من الاقتراب من الكتب، وعندما تكررت نفس الواقعة من نفس العامل قام بطرده وقال له «وعلى نفسها جنت براقش».

وأضاف عتمان أنه من الأسرار التى لا يعرفها الكثير أن الأديب الكبير كان يخاف على عين القارئ، ويطلب منى بروفة المقال قبل الطبع، ليتأكد بنفسه أن

البنط كبير، وأنه مناسب لعين القارئ، والتى تعد بالنسبة له - أى العين - أغلى شىء فى الوجود.

أما أصعب اللحظات التى كان يمر بها أنيس منصور، فكانت عندما يتوقف المرور ويضطر إلى استنشاق عوادم السيارات فى شوارع القاهرة.. وذلك لأن الأستاذ - رحمه الله - كان يعشق الطبيعة والجمال لكونه نشأ فى قرية صغيرة من قرى المنصورة، وتأثر بالريف المصرى جداً وأعجب بحياة الغجر، الذين كانوا يزورون قريته، وعندما جاء إلى القاهرة بعد تخرجه فى الثانوية مباشرة، سكن فى إمبابة، وكان يسير على قدميه من إمبابة لكلية الآداب فى جامعة فؤاد الأول، وعندما سكن فى منزل أمام مسجد السلطان أبو العلا، كان يمشى من هذا المنزل إلى أخبار اليوم، بعدها انتقل هو ووالدته فى شقة بجوار ضريح سعد.

*ولماذا قرر الأستاذ أنيس عدم الإنجاب؟

**لأنه أراد - من وجهة نظره - التخفيف من وطأة الحياة الزوجية، ومع ذلك فقد كان نِعم الأب ونِعم الحفيد، حيث قام برعاية بنات زوجته السيدة الفاضلة رجاء حجاج، أو رجاء منصور - كما تحب أن تقول.

*هل يمكن أن تحدثنا أكثر عن رجاء حجاج تلك الشخصية التى نجحت فى احتواء شخصية الأستاذ أنيس منصور؟

**رجاء حجاج كانت الحب الأول فى حياته - بعد أمه طبعاً - ويعترف بأن الفقيد الراحل قال: لولا أمى لكانت «رجاء» هى أول وأعظم حب فى حياته، وكانت - ومازالت بعد موته - تبادله هذه السيدة الأصيلة بلغة «الشراقوة» نفس الحب إنهما كيان واحد وروح واحدة وسبحان من نسخ الأرواح.

ويكشف عثمان بأن مدام رجاء كانت الآمر الناهى فى منزل أنيس منصور.. كانت الحاكم بأمره، لا يمكن أن يمر إنسان - مهما كان قدره - من أمام مكتب الأستاذ أنيس منصور فى المنزل، ولا يمكن أيضاً أن يطرق عليه أحد الباب غيرها.

رافقته السيدة رجاء حجاج فى صحته، وفى مرضه، سهرت معه كثيراً كثيراً.. كانت كياناً يعيش فيه، كما أنه كان ومازال طيفاً رقيقاً يسرى فى جسدها.. كانت تختار له ملابسه.. كانت تغار عليه لأنها تحبه، ولكنها كانت واثقة فى شخصه إلى أبعد مدى.. فهو شخصية عامة يشتاق إلى رؤيته الجميع.

*هل صحيح أن أنيس منصور كان ابن نكتة؟

**كان أنيس منصور يتميز بروح الدعابة، كان يعالج الأمراض بالكلمات، كانت روحه صافية.. لا تعرف الغش أو الحقد، رجل سعت إليه المناصب.. كان الفقيد الراحل يؤلف النكتة، ويصنعها، وأول من حدد معالمها، وحدد معناها، فعندما سألته إحدى الصحفيات عن النكتة قال: «هى طلق نارى يصوب ضد مجهول».. شخص يريد السخرية من وضع قائم، أو الانتقام من شخص مؤذ.

وفى نفس السياق يضيف عتمان بأن العلاقة بين أنيس وعبد الوهاب كانت علاقة خاصة جداً ولذلك نشأت مواقف ضاحكة بين الطرفين ومن هذا المواقف أن كلاً من أنيس منصور وعبدالوهاب يخاف البرد.. وكان يخشى كل منهما أن يصاب بنزلة برد.. فقال أنيس لعبد الوهاب: قل ٣ مرات «من منكم محمد محمود» على أساس أن تكرار حرف الميم يكشف بسهولة الفرد المصاب، وبعد التأكد من عدم الإصابة يطلب عبد الوهاب من أنيس تكرار نفس الكلمات.. وبعد الاطمئنان على الحالة الصحية لكل منهما يركبان السيارة ويبدآن فى التجوال والتنزه وكأن شيئاً لم يكن.

ويتذكر الأستاذ نبيل عتمان موقف آخر متعلقاً بالأستاذ عبد الوهاب أيضاً وكان هذا باتفاق الأستاذ أنيس مع عبد الحليم حافظ، وذلك لأن الفقيد الراحل كان يعلم أن عبد الوهاب يخاف من أى شىء.. حتى القطط.. عندها طلب الأستاذ أنيس من عبدالحليم تسجيل شريط كاسيت بصوت أحمد سعيد يظهر فيه أن طائرة كوماندوز إسرائيلية اخترقت المجال الجوى المصرى، ونجح جنود المظلات بالتسلل والهبوط فى منطقة المهندسين.. وبعد أن سلم عبدالحليم الشريط لأنيس، وضعه الفقيد الراحل فى سيارته الخاصة، وانتظر حتى جاء عبدالوهاب، وركبا معاً السيارة، واتجها إلى منطقة المهندسين حيث يسكن عبدالوهاب.. وفى الطريق فتح الأستاذ أنيس التسجيل، وعندما استمع

عبدالوهاب الخبر، قال لأنيس: توقف، ونزل من السيارة وأخذ يبكى.. وكأنه فى مأزق حقيقى، وأن قوات الكوناندوز الإسرائيلى ستغتاله فعلاً، وتبين فى النهاية أن هذا مقلب، ثم بالاتفاق بين الأستاذ أنيس وعبد الحليم حافظ. ويتذكر نبيل عتمان موقفا آخر بأنه فى إحدى الليالى الممطرة اتصل محمد عبدالوهاب بأنيس منصور وكان الأديب الكبير فى «عز النوم»، والمطر ينزل كالسيل، قال له عبدالوهاب: استعد لأننا سنذهب إلى مكان خطير لقضاء أمر مهم، يقول نبيل عتمان: اعتقد الأستاذ أنيس أن فى الأمر شيئاً.. وبالفعل جاء عبد الوهاب بعد ١٠ دقائق بالتمام والكمال ركب السيارة معا.. وفى نهاية الطريق ركن الأستاذ أنيس السيارة.. ونزل عبدالوهاب، وطرق باب إحدى الشقق ورجع ببلاص كبير فيه عسل أسود.. فقال له الأستاذ أنيس: يا راجل «تنزّلنا فى نص الليل علشان بلاص عسل؟ فقال له: ماتزعلش يا أنيس.. إنها نزوة فنان.. وسر هذه الدعابة كما يقول عتمان أن العلاقة بين الأستاذ أنيس والأستاذ عبد الوهاب كانت علاقة خاصة جداً.. وكانت تستمر المكالمات بينهم بالساعات كما أن الفنان عبد الحليم حافظ كان يسعى فى بداية حياته إلى التقرب للأستاذ أنيس لنشر الأخبار الفنية الخاصة به، بل كان يأتى إليه فى مكتبه يسمعه أغانيه الجديدة حتى يكتب عنها.. ومن المعلوم أن الأستاذ أنيس - رحمه الله - كان يعشق الغناء ويهوى التلحين، ويفهم كثيراً فى المقامات الموسيقية.

وذات مرة كتب الأستاذ أنيس مقالاً يشيد فيه بأحد المطربين ويبشره بمستقبل واعد، وفى الصباح جاء هذا الفنان ليشكر الأستاذ على المقالة، وبعد ساعة جاء فنان آخر وقال أنا المقصود من مقال الأستاذ أنيس، وبعد نصف ساعة أخرى جاء فنان ثالث وقال أنا المقصود من مقال الأستاذ، وتشاجر الثلاثة معا، وكانت فضيحة غير متخيلة عندها خرج الأستاذ أنيس من الباب الخلفى ليروى حكاية أخرى عن أهل الفن.

*وما هو مدى العلاقة التى ربطت الأستاذ أنيس بالرئيس السادات؟

**هى علاقة من نوع خاص.. علاقة الجسد الواحد، والدماغ الواحد، والتفكير الواحد . علاقة توحدت فأنتجت السادات وأنيس منصور الذى كان

يفهم الرئيس السادات بالإشارة.. كان الرئيس السادات يعطيه كل أسراره.

*وماذا عن الجلسات الخاصة التى جمعت الرئيس السادات بالأستاذ أنيس منصور؟

**كانت ثقة الرئيس السادات بالأستاذ أنيس بلا حدود، فبعد حرب أكتوبر قرر الرئيس السادات أن يكون أنيس منصور هو الصحفى الأوحد وكاتم أسرار الرئاسة.. وكان يطلب منه تسجيل كل الجلسات الخاصة، وكان يعطيها لى لتفريغها، فأقوم بغلق المكتب بالمفتاح، ولا أفتحه إلا بعد الانتهاء منها، وكنت حريصاً على أن أدون كل ما يحدث حتى ما يقال على سبيل المزاح، وكنت أضع ما كان خارج السياق أو النص بين أقواس، ولم أترك أى تسجيل أو مستند فى المكتب خشية المسؤولية.

*وأين كنت تحتفظ بهذه التسجيلات الخطيرة؟

**بعد الانتهاء من تفريغها أركب السيارة وأقوم بتسليمها للأستاذ أنيس منصور فى منزله حتى ولو كان ذلك فى منتصف الليل.

*ألم يشك فيك الأستاذ أنيس منصور؟

**الأستاذ أنيس كان يعرفنى جيداً، ويدرك أن نبيل عتمان توأم روح أنيس منصور، ولكن الذى شك فىّ هو الرئيس السادات.

*وكيف عرفت هذه المعلومة؟

**عرفتها من التسجيلات التى كنت أقوم بتفريغها، فذات مرة سأل السادات أنيس وقال له: من يقوم بتفريغ تلك التسجيلات الخطيرة؟ فقال له مدير مكتبى نبيل عتمان، فقال له: لماذا لا تشك فيه؟ قال: لأن نبيل عثمان هو توأم أنيس منصور.. فقال له السادات: وثقتى فى أنيس منصور بلا حدود.. كل هذا الكلام سمعته فى التسجيلات أثناء التفريغ.

*أستاذ نبيل.. وماذا عن طبيعة هذه التسجيلات؟

**كلها أسرار خطيرة.. كتبتها بخط يدى، متعلقة بأسرار الدولة والأمن القومى المصرى.. سلمتها للأستاذ أنيس منصور - رحمه الله - ولكنها مكتوبة

فى ذاكرتى وعقلى، وكأنها كتاب مفتوح.. ستعيش معى وستموت معى.. بها علامات استفهام على أسماء كثيرة وحقائق مثيرة عن شخصيات كبيرة، بعضها حى يرزق، والبعض الآخر فى رحاب الله.

*وماذا عن رحلة الرئيس السادات والأستاذ أنيس للقدس؟

**فى تلك الأثناء كان الأستاذ أنيس فى الأراضى المقدسة لتأدية فريضة الحج، اتصل به الرئيس السادات، وأرسل له طائرة خاصة وعاد إلى مصر ومن مطار القاهرة قال لى: يا نبيل جهز أوراقى الخاصة ومعها بعض المتعلقات لأننى سأسافر مع الرئيس السادات للقدس.

عندها كنا نتوجس خيفة.. فاليهود لا أمان لهم.. إلا أن الرئيس السادات ومعه الأستاذ أنيس منصور، كلاهما كان يحمل كفنه على يده.. ذهبت كوكبة من خيرة رجال مصر إلى تل أبيب من أجل السلام.

*ولكن الشارع المصرى كانت له تحفظات؟

**التحفظات كانت من النخبة أو الصفوة التى تؤمن بمبدأ «خالف تعرف» لحاجة فى نفس يعقوب، ولكن الرجل العادى كان يتمنى السلام لأنه لا توجد أسرة مصرية إلا ويوجد بها شهيد.. ففى مثل هذه الأشياء القاعدة هى الأساس، والقاعدة هى الشعب أما الصفوة فإنها لا تكون مؤثرة خاصة أنها إذا كانت فى واد، وبقية الشعب فى واد آخر.

*ولماذا اختار الرئيس السادات الراحل أنيس منصور ليكون الصحفى الأوحد على متن طائرة الرئاسة؟

**أنا سألت هذا السؤال للأستاذ أنيس منصور فقال لى: يا بنى.. الرئيس السادات كان يسبق حكماء عصره بـ ٥٠ سنة، وكنت أشاركه الرأى فاطمئن قلبه لى، يعنى أن السادات اطمئن لأنيس وهذا لأننا نفكر بطريقة واحدة ومن أجل هدف واحد، هو مصلحة مصر أولا وأخيرا بعيدا عن الأهداف والمصالح المرتبطة بزعماء جبهة الرفض.

*وهل تعتقد أن معاهدة السلام أدت دورها كما ينبغى؟

**معاهدة السلام نجحت فى عودة أرض سيناء إلى مصر ولكنها لم تنجح فى إزالة الثوابت العالقة فى نفوس الشعبين المصرى والإسرائيلى وذلك لأن الشعب المصرى فقد الكثير من أبنائه، والشعب الإسرائيلى يعتقد أن مناحم بيجين تنازل عن أرض الأجداد.

*هل قابلت رؤساء إسرائيل؟

**قابلت عايزرا ويزمان ومناحم بيجن وأرئيل شارون وجولدا مائير.. قابلت كل صقور إسرائيل فى حضرة الأستاذ أنيس منصور والرئيس السادات. وأتذكر كما يقول عتمان أنه فى إحدى المرات ركب الأستاذ أنيس منصور مع موشيه ديان لمقابلة الرئيس السادات فى استراحته بالقناطر عندها لاحظ الأستاذ ثورة سائق السيارة، وقد ظهر الغضب على وجهه.. فقال الأستاذ أنيس للسائق: أراك مهموما وثائرا ؟ فقال له: يا سعادة الريس أتمنى لو كان معى «مسدس» وأطلقت الرصاص على هذا «الرجل» يعنى موشيه ديان فقال له لم؟.. قال لأن ابنى أخى وأختى استشهدا فى ٦٧ بأوامر خاصة من هذا المجرم.. فهدأ الأستاذ من روعه وقال له ضاحكا إن شهداءنا فى الجنة وقتلاهم فى النار.
*هل توقع الرئيس السادات ومعه الأستاذ أنيس منصور نجاح معاهدة السلام؟
**كلاهما توقع نجاح المعاهدة من أول يوم.. والدليل أنه فى اليوم الأول لنزول الرئيس السادات مطار بن جوريون فى تل أبيب طلب من الأستاذ أنيس التريض والتنزه فى شوارع وحدائق إسرائيل وعمل استطلاع رأى المواطن الإسرائيلى فى زيارة القدس ومعاهدة السلام.

فى اليوم التالى طلب الرئيس السادات أن يتجول فى مدن ومناطق أخرى وليكن فى القدس وحيفا وبئر سبع.. وغيرها من المدن لاستطلاع رأى الشارع أيضا.

وفى اليوم الثالث كتب الأستاذ أنيس منصور تقريرا مفاده أن الشعب الإسرائيلى يريد السلام.. من هنا قال الرئيس للأستاذ أنيس: الزيارة والمعاهدة والاتفاقية وكل شىء نجح يا أنيس وذلك لأن الشعب هو أساس نجاح أى عملية سياسية أو اقتصادية أو تنموية.

*ما هى حكاية الأستاذ أنيس مع أكتوبر؟

**الرئيس السادات كان يخطط أن تكون مجلة أكتوبر هى المتحدث الرسمى لرئاسة الجمهورية والقوات المسلحة الباسلة، وملتقى الأدباء والمفكرين وواحة الديمقراطية والرأى والرأى الآخر وأراد أن يكون أنيس منصور هو الصحفى الموسوعى الذى يطير بجناحين فى عالم الصحافة وقد كان الأستاذ أنيس جديرا بتحمل المهمة والمسؤولية.. وأتذكر كما يقول الأستاذ نبيل عتمان أنه بعد الاتفاق على إصدار مجلة ٦ أكتوبر وقد كان هذا اسمها فى ٧٦ خيرنى الأستاذ أنيس بالبقاء فى أخبار اليوم أو الانتقال معه فى أكتوبر.. كانت نقطة محورية فى حياتى، هل أترك الأخبار بما لها من «شان وشنشان» أم أذهب إلى أكتوبر الوليدة فى تجربة جديدة لا تعرف مقياس النجاح والفشل بعد.

على الفور - كما يقول عتمان - قلت للأستاذ أنيس: يا ريس أنا معاك وظللنا ٦ أشهر قبل صدور المجلة فى حالة تجارب وبروفات. واقتراحات وتبويبات جديدة حتى خرجت مجلة أكتوبر إلى النور وفى أول عدد لها انفرد الأستاذ أنيس منصور بحوار خاص للرئيس السادات وغلاف كبير يحمل صورة الرئيس الراحل فى تجربة كتب الله لها الاستمرار بفضل إخلاص وجهود أبنائها.

*وماذا عن علاقة أنيس منصور بالإخوان المسلمين؟

**باعتراف الأستاذ أنيس أنه كان عضوا فى جماعة الإخوان وأن الذى قدمه للجماعة هو الشيخ حسن البنا، والحقيقة أنه وجد كما قال الأستاذ أنيس فى الإخوان ألفه وكانوا يتعاملون معه بالقرآن الذى يحفظه ولديهم مكتبة كبيرة جعلوه أمينا عليها فى مركز إمبابة وكان يطلب منه كما يطلب من غيره كحافظ للقرآن أن يؤم المصلين فى عدد من المساجد ويخطب فيهم يوم الجمعة.. وكان فى بداية حياته يطيع الأوامر فيذهب إلى المسجد رغم أنه من الممكن أن يسير مسافة ساعتين أو أكثر للوصول إلى المكان المقصود، وعندما يصل يعرف خطيب المسجد بأنه عضو فى الجماعة، ويطلب منه بناء على أوامر الشيخ أن يخطب الجمعة عندها يتنحى إمام المسجد جانبا ويمهد الطريق للشباب الصغير على أساس أن طاعة الأوامر أمر واجب.

وكان الأستاذ أنيس يقول: كان هذا بالنسبة لى أمر مخجل وهو أن يتنحى شيخ كبير لشاب صغير لا أدرى كيف فعلت ذلك.. ولكنى أقدم العذر لهؤلاء الشباب الصغار الذين اعتادوا على طاعة الأوامر.

*ومتى انفصل عن الجماعة؟

**يقول الأستاذ نبيل كان الانضمام لجماعة الإخوان المسلمين فى الثلاثينات والأربعينيات شيئا عاديا، والانسلاخ منها شيئا عاديا أيضا وإذا كان الأستاذ أنيس كان عضوا فى جماعة الإخوان فى بداية حياته فإنه لاشك خرج منها لأنها ضد مبادئه وأفكاره وكان هذا منذ وقت مبكر.
*نعرف أن الأستاذ أنيس منصور له رأى خاص فى الحكم الناصرى.. هل كشف لك عن بعض مواقفه مع الرئيس عبد الناصر؟

**أنيس منصور كان يرى أن حكم عبد الناصر حكما فرديا.. وكان لا يقبل الرأى والرأى الآخر، ومن المعلوم أن عبد الناصر فصل الأستاذ من رئاسة تحرير الجيل، وفصله من الجامعة.. كل هذا بسبب مقاله «حمار الشيخ العز بن عبد السلام» والتى حلل فيها حال مصر بعد نكسة ٦٧، حيث ذكر أن قاضى القضاة واسمه العز بن عبد السلام ركب حماره ووقف على حدود مصر نيابة عن العلماء وحماره نيابة عن الشعب المصرى.

فلما سمع الرئيس السادات هذه القصة قال له: أنت تستحق الشنق وليس الفصل! فرد عليه يا سيادة الرئيس أنت حيرتنى، فالرجل الذى شنق الناس اكتفى بفصلى، والرجل الذى لا يفصل يطالب بشنقى! وعندما عاد للعمل لم يستطع نقده مرة أخرى، كما لم يستطع مهاجمته، لم يكن أحد يستطيع أن يفعل ذلك، وحينما أراد طبع كتابه قرر أن يكون موضوعيا فى ذكر أخطائه وهذا كان يكفيه.

*أستاذ نبيل سؤال أخير من هم أصدقاء الأستاذ أنيس المقربين؟
**فى فترة الستينيات والخمسينيات كان العمالقة يلتقون فى صالون العقاد إحسان عبد القدوس وتوفيق الحكيم ويوسف السباعى ومحمود أمين العالم ونعمان عاشور ونجيب محفوظ وفى الأيام الأخيرة كان الأستاذ الكبير يستريح مع الفنان العظيم مصطفى حسين والمستشار عدلى حسين محافظ القليوبية

السابق واللواء رفعت مطاوع ود. زاهى حواس.. وغيرهم الكثير والكثير. وأهم من هذا كله فإن الفقيد الراحل كان ومايزال يعيش فى وجدان الملايين من المصريين والعرب كما أن اسم الأستاذ أنيس منصور سيظل محفورا فى قلوب عشاقه ومحبيه أبد الدهر.. رحم الله الفقيد رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته[*].

(*) إبراهيم عبد الغنى – عمرو عادل.

- **عثمان يجيب عن السؤال الصعب**
- **لماذا رفض أنيس منصور الإنجاب؟**
- **حقيقة بكاء الطفل أنيس عندما طلب منه المدرس رسم زجاجة برفان**

أنيس منصور أذهب معه فى كل مكان ، أبحث عنه كطائر يبحث عن عشه ، حضرت معه ندوات معرض الكتاب، وأكلت معه فى المطاعم والكازينوهات، أهدانى بخط يده أشهر كتبه، أوصانى بعد عمر طويل أن أدفنه بجوار أمه، عملت بالوصية، فتحت باب القبر، سويت له الأرض، وليت وجهه للقبلة، كنت حريصًا على راحته، نطقت له الشهادة ، وقرأتها فى أذنه ، تهيأ لى أنه كان يرددها على لسانه ، رفعت له شقه الأيمن ، حتى يتسنى له رؤية أمه بعد طول غياب.

أوصتنى السيدة حرمه الأستاذه رجاء حجاج أن تدفن بجواره، لينام آمنا مطمئنًا بين أمه التى عاش من أجلها.. وزوجته التى هام فى حبها.. رحم الله الفقيد وأدخله فسيح جناته.

أنا اللى دفنت الأستاذ

سعيد ندا خطيب مفوه فى وزارة الأوقاف.. يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ومعه الأحاديث النبوية الشريفة، ومن دراويش الفقيد الراحل، قال لأكتوبر: «أنا اللى دفنت الأستاذ، ودعيت له أمام القبر مع أستاذى العارف بالله د. أحمد عمر هاشم.. تعرفت على الفقيد الراحل عن طريق مولانا الشيخ الشعراوى من سنة ، وأنا من عشاق الأستاذ.

رحل «الأستاذ» وظلت روح أكتوبر

مجلة أكتوبر ترجمة حقيقية لروح نصر أكتوبر العظيم فى «٧٣» التى كانت تجيش وتتفاعل فى صدور جموع المصريين خلال تلك الحقبة التاريخية، حيث أهلت طوائف الشعب للوحدة والتماسك كيد واحدة وعزيمة على النصر. فكان لابد من قرار الرئيس الراحل أنور السادات صاحب قرار الحرب بإصدار صحيفة تخلد أسطورة النصر، فوكل الأستاذ والفيلسوف الكبير أنيس منصور - رحمه الله- فى وضع سياسة تحريرها وتأسيسها.. وأخذ على عاتقه المسؤولية وطبع عدة أعداد تجريبية حتى صدر عددها الأول فى ٣١ أكتوبر ١٩٧٦ وسرعان ما صعدت إلى سماء الصحافة وصارت نجما.

وكان مخطط لها أن تكون مؤسسة صحفية قومية مستقلة بذاتها تصدر المجلة وصحفها التابعة لها.. ولكن لم يمهل القدر تحقيق هذا الحلم ومات فى مهده.. واستمرت تصدر من دار المعارف.

وتجسيد فلسفة روح أكتوبر وتخليدها كان الهدف الحقيقى فى إصدارها، واستطاع «الأستاذ» بمهنية صحفية متميزة فى ترجمتها وشاركه العمل تلاميذه وأبناؤه من كُتاب وصحفيى المجلة، وحاولوا الاستمرار والسير على نفس الخطى.. ثم تراجعت تحت ضغط وتوجهات النظام السابق، ولكن سرعان

ما عادت الروح إليها وتفجرت على صفحاتها بعد ثورة ٢٥ يناير، لأن روح المجلة ترفض الفساد والهيمنة ولا تستقيم معها.

والذى يعرفه الجميع أن «الأستاذ» أول من طبق عليه الإحالة إلى المعاش عند بلوغه سن الستين، وذلك فور تولى الرئيس المخلوع الرئاسة.. واستشعر أبناؤها فترة تجاهل خلال هذه المرحلة.

ونعود إلى نجاح «الأستاذ» فى رسم الملامح الرئيسية للمجلة وترسيخ قدميها على الأرض لتنافس فى ذلك التوقيت أعتى الصحف ويرتفع بتوزيعها إلى أرقام قياسية حتى سمعنا لأول مرة الطبعة الثانية لمجلة أسبوعية.. وكان يتناقل عنها لوكالات الأنباء العالمية.. وفتحت صفحاتها لكبار الكتاب والمفكرين.. وتنوعت صفحاتها وأخبارها من السياسى إلى الطريف. وأصدر «الأستاذ» ملاحق متخصصة ومتنوعة مع المجلة تعبر عن خطط التنمية والمشروعات المستقبلية الحضارية التى كان يؤمّل لها أن ترقى بمصر إلى مكان الصدارة فى العالم.

نعم نجح مع تلاميذه فى أن يتلهف القارئ على شرائها أسبوعيا ويحرص عليها فأصبح لها قارئ منتظم رغم ما واجهته من معوقات وتحاول الآن تجاوزها.

ترك «الأستاذ» الدنيا فى شهر أكتوبر حتى تتواكب ذكراه دائما عند إصدار كل عدد.. فهو فى ذمة الله ورحمته.. وعزاؤنا عودة روح أكتوبر إلى صفحاتها مرة أخرى(*).

(*) حسين خيري.

ويظل أنيس محلقًا فى القلوب والعقول



وجفت الأقلام.. وأدمعت الأوراق.. وضاعت الفكرة.. وبقيت الذكرى.. لقد صعد أنيس منصور محلقا بإبداعاته ليلقى رب العالمين واهب الإنسان، والجميع فى مثل هذه الحالات يقول: الحمد لله على نعمة النسيان.. لكن هذا الرائع بعيد عن النسيان.. فقد ترك أكثر من ٢٠٠ ابن وابنة يحملون اسمه.. ولم يحدد النسل فى خلق المقالات والأفكار والفلسفة والحوار والبحث عن الحقيقة..ومن حقيقة إلى حقيقة هناك حقيقة غريقة يبحث عنها أنيس.. المعدن النفيس.

**وأنيس اسم على مسمى.. فهو أنيس لكل من يقرأه ولمن يستمع إليه.. فعندما يتكلم تتمتع الآذان بهذا الفيض وهذا الأسلوب وهذه القدرة على تبسيط المعلومات.. فهو أكبر قارئ فى العالم العربى، وهو برغم أنه قضى فى صالون العقاد أياماً.. فإنه لم يكن ناشف الأسلوب صاحب القاموس الصعب.. فهو اخترع أسلوبا لا يستطيع كائن من كان أن يقلده.. يتميز برشاقة وسهولة يعطيك أعوص المعلومات والأفكار فى أبسط جمل.. فجمله ترقص على الأوراق.. وهو دائما يترك الرأى لقارئه، ولا يفرض عليه الرأى.. فهو صاحب أكبر ديمقراطية فى الكتابة.. وهو كاتب الشباب حتى آخر طلقة فى قلمه.. فقد عاش بروح الشباب وقلب الشباب وعقل الشباب، ولم ينفصل عنهم فى يوم من الأيام.. وكذلك كان لكل القراء فى جميع الأعمار.. فيجدون فى كتاباته تجديدا

لشبابهم وتجديدا لمعارفهم فى أيسر كلمات وجمل. فإذا قرأت عنده أول سطر سيطرت عليك باقى سطوره فى عمود أو مقال أو كتاب.. فهو يكتب مثلما يتكلم وكلماته تأخذ بالألباب.

**وأحمد الله أننى كنت من تلاميذه ومحبيه تعرفت عليه فى الستينات فى البن البرازيلى بشارع طلعت حرب أمام سينما مترو.. وكنت بادئا عملى الصحفى بجريدة الجمهورية وطالبا بالجامعة.. فوجدت فيه شموخ الكاتب والمفكر الواثق بنفسه وتواضع العلماء. فهو بقراءاته عالم فى كثير من العلوم والمعارف.. فقد قرأ بعمق فى كل شىء وأى شىء.

**ويبقى أنيس محلقا بما ترك من كتابات ومعارف.. فهو أيضا من ظرفاء أو آخر ظرفاء العصور التى عاشها فكان سريع البديهة.. صاحب قفشات وحتى قفشاته لها مدلول ولها معنى.. فقد قمت أنا ومدرب السباحة عبد الباقى بتعليمه السباحة ولكنه لا يريد أن ينظم نفسه، وسخر منا أننا لم نستطع أن نعلمه.. وكتب أكثر من موقف من مواقفه.. فاتفقت مع عبد الباقى أن نذهب إليه بطشت مملوء بالماء فقال لنا: انتما من تغرقان فى شبر مية! وفى يوم قلت له: لقد عين الأستاذ الزميل إبراهيم سعدة رئيس تحرير أخبار اليوم وإبراهيم نافع رئيسا للأهرام وموسى صبرى رئيسا للأخبار. فابتسم وقال: صحف إبراهيم وموسى.. وكان رفيقا للكاتب الكبير كامل الشناوى، وكان أنيس يملك سيارة صغيرة.. كامل يأخذه كل ليلة فى طريق مصر إسكندرية ولا يعودان إلا مع أول ضوء.. لأن كامل الشناوى كان يعتقد أن عزرائيل يأتى بالليل.. وبعد رحيل كامل كتب أنيس: كان يخشى من أن يأتيه عزرائيل بالليل فخدعه وجاءه بالظهر!

ولضيق المساحة لا أستطيع سرد هذه الطرائف فهى تحتاج إلى كتب.. ويظل أنيس يحلق فى قلوب قرائه وعقولهم فقد ترك بصمات لا يمحوها الزمن.

ضربة قاضية:

ويبقى أنيس نورا لأجيال وأجيال.. وحتى آخر الزمان والمكان(*).

(*) ماهر فهمي.

أنيس القلوب!



كان حديثه يتدفق رقراقاً.. مثل الينبوع الصافى.. يأسر مسامع حاضريه.. ويجتذب قلوبهم وأبصارهم.. أفكاره كانت تنساب على لسانه بحكمة بالغة.. وممتعة! كان يتحدث.. مثلما يكتب.. بسهولة ويسر.. ممتنع! فلا يستطيع أحد مجاراته أو تقليده.. أو حتى الاقتراب من نطاقه الخاص جداً.. بأسلوب فريد.. وأنيس أيضاً.

عشت مع الأستاذ أنيس نحو تسع سنوات فى هذه المجلة التى أسسها وقدم من خلالها عشرات الكُتاب والمفكرين المبدعين، خاصة من مدرسة أخبار اليوم التى خرج منها عمالقة الصحافة والفكر والأدب.. وفى جملة عارضة.. فإن أخبار اليوم تخصصت فى صناعة نجوم الصحافة والأدب.. بينما تفننت مؤسسات أخرى فى اختطاف هذه النجوم اللامعة.. وقطفت ثمارها اليانعة!



ومثلما يحدث فى عالم الرياضة.. فإن هناك أندية تخصصت فى صناعة النجوم وتقديمها على طبق من ذهب للأندية الأخرى التى تحصد البطولات والسمعة والصيت الواسع! إذن فقد تخرج راحلنا الكبير من مدرسة صناعة النجوم.. مدرسة أخبار اليوم التى قدمت لنا الشقيقين على ومصطفى أمين والتابعى ومحمد حسنين هيكل ومريم روبين.. أستاذتنا الكبيرة التى مازالت تجود بالخير وتفيض بالحب والعطاء لكل من حولها.

وعندما نبحث عن أسرار عبقرية أنيس منصور.. نكتشف أن من أبرز سماته التواضع والبساطة.. فرغم القمة الفريدة التى كان يحتلها.. حتى بعد رحيله.. كان الرجل قريبا جدا منا.. من زملائه وأبنائه.. يلعب معنا الشطرنج.. يأكل معنا.. يضحك معنا.. يحبنا ويداعبنا.. ولا يفرض علينا شيئاً.. رغم أنه فى قامته ومكانته كان قادرا على أن يفعل الكثير، ولكنه كان يعطينا الفرص تلو الفرص ونحن شباب.. حتى ينضج أسلوبنا.. وتكتمل هويتنا الصحفية.. ويصنع نجوما فى عالم الصحافة.. احتلوا مقاعد رئاسة التحرير ومجالس الإدارات.. فى مختلف الصحف والإذاعات والمجلات والفضائيات.

وهذا سر آخر من أسرار أنيس منصور.. صناعة النجوم من خلال اكتشاف المواهب المبكرة.. وصقلها.. وتنميتها.. وإبرازها.. وهذه القدرة العجيبة ليست متاحة لأغلب العاملين فى الوسط الصحفى والأدبى، فالغالبية الساحقة تريد الاستئثار بالنجومية، بل إن بعضها يحارب بعضها بعضا ويريد أن يطفئ أنوار الآخرين.. حتى يظل نجما وحيدا لامعا!

ومن أسرار الراحل العظيم حفظه للقرآن الكريم، فالقرآن يضبط اللسان.. وينمى الموهبة اللغوية والأدبية.. ببلاغته الفريدة، بل إن القرآن يضبط شخصية الإنسان بشكل عام.. ويقوِّم سلوكه، وقد استفاد الأستاذ أنيس من هذا النبع العظيم الذى غذى فكره وأسلوبه ولغته وطوَّر أداءه إلى درجة الإبداع والتألق.. وياليتنا ندرك قيمة القرآن الكريم فى حياتنا.. فإذا قرأناه وتأملناه وتفكرنا فيه وتدبرنا معانيه والتزمنا ولو بنسبة بسيطة من أحكامه.. لتغيرت كثير من أوضاعنا السيئة وسلوكياتنا المعوجة.. فإذا أراد الصحفى أو الأديب أن يختار مرشدا ومعلما وملهما.. فلن يجد أعظم ولا أجمل ولا أروع من كتاب الله.. الذى

أفاض على أنيس منصور بخير كثير ووفير.

أيضاً كان يحظى أستاذنا بشبكة علاقات هائلة على كل المستويات المحلية والعربية والدولية، ويكفى أنه الكاتب الأول فى العالم بأسره.. بلغة الضاد! وكما تندر على أحد الراحلين فى يوم قائلا: لو رصصت كتبى فوق بعضها لتجاوز طولها طولك!! وهذه العلاقات الرائعة أتاحت لأنيس منصور غزارة فى المعلومات ومصداقية وانفراداً بالأخبار، ولعل أبرز هذه العلاقات كانت مع الرئيس الراحل أنور السادات الذى اقترب منه لدرجة فريدة.. وساعده فى تأسيس مجلة أكتوبر التى تحمل ذكرى أعظم انتصاراتنا، ومن المفارقات أن يموت مؤسسها فى ذكرى تأسيسها وإنشائها على يديه، ولكن عزاءنا أنها مستمرة بعد مماته، ومازال الكثيرون يتذكرون أكتوبر ويقرنونها بأنيس منصور حتى اليوم!

شبكة العلاقات الهائلة مكنت أنيس منصور من الانفراد بكم هائل من الأخبار، خاصة خلال فترة الرئيس الراحل أنور السادات.. وكانت وكالات الأنباء تتسابق للحصول على أكتوبر كى تنقل عنها الأخبار، وأتذكر أننى عندما كنت أشارك فى إعداد باب اتجاه الريح.. أو «جورنال المجلة» كما أطلق عليه أساطين الصحافة.. أتذكر أنه كان يقول لنا: احجزوا الصفحة الأولى لأخبارى، ثم نفاجأ بسيل هادر من الأخبار.. يغطى الصفحة الأولى ويفيض على بقية صفحات اتجاه الريح.

أكتوبر الزاهرة فى عهد الراحل أنيس منصور كانت تنفرد بأحاديث ومقالات الرئيس السادات.. وكانت تتميز بكثير من الكُتاب والمبدعين، وكانت المجلة الوحيدة – آنذاك – التى تصدر طبعتين.. ويتجاوز عدد النسخ المطبوعة المائتى ألف نسخة! ولم يكن هناك دش أو نت.. فقد سبق أنيس كل هذه الوسائل.. وتفوق عليها بسحره.. وسره!!

علمنا الأستاذ سرعة التجاوب مع الأحداث.. ليس فى أكتوبر فقط.. بل فى كل المجلات والجرائد التى أسسها وعمل بها كان يستطيع إعداد عدد كامل عن المشاهير.. خلال يوم واحد.. حدث هذا عند وفاة أم كلثوم وعبد الحليم حافظ والسادات وغيرهم، وقد اكتسبت تلك الخبرة عندما كنت أعمل فى

إحدى البلاد العربية وواجهت أحداثا مشابهة.. فتحركت بسرعة.. وأعددت السيناريوهات المختلفة لتغطية حدث خطير.. لم يكتمل، ولكن سرعة التلبية والتجاوب مع مثل هذه الظروف كانت حاضرة وسريعة، وهذا غيض وفيض علمنى إياه أستاذى الراحل.

***

ولعلى أتذكر بعضاً من مواقف أنيس منصور.. عندما كنت أعمل فى باب (اتجاه الريح).. ويرسل إلينا كثيراً من الأخبار.. فأقوم بمراجعتها.. وعندما اكتشفت أن بعضا منها تم نشره.. أقوم بحذفه من الباب، وقد كان يستطيع أن يحذفنى من المجلة كلها..!! ولكن عندما يسأل: من حذف هذه الأخبار.. يقولون له: كاتب هذه السطور!.. فيطلبنى ويسألنى: لماذا؟ فأرد بأدب وثقة: قرأت هذا الخبر فى هذه الجريد.. وسمعت ذاك الخبر فى تلك الإذاعة.. وشاهدت ثالثا فى التليفزيون، فماذا كان رد فعله؟! هل كان يزمجر ويثور.. لا بل كان يشكرنى لأننى منعت نشر أخبار منشورة!

وهذا الموقف يعطينا دروسا عظيمة.. أولها: الالتزام بالمهنية الرفيعة، فالرجل رغم مكانته وقامته العالية.. وعلاقاته الواسعة ودقة مصادره.. كان يريد الالتزام بأعلى درجات الاحترافية فى الأداء الصحفى.. لا يريد تكرار أخبار منشورة، بينما اليوم تعاد الأخبار والأفكار.. مرارا.. وتكرارا.. دون وجل.. أو خجل!

الدرس الثانى من هذا الموقف: هو احترام الابن الصغير.. آنذاك، فرغم سلطته وشهرته.. لم يؤذ ابنه وتلميذه، بل شكره وقدره، وكم قدم له من تقدير مادى وأدبى.. نفتقده كثيرا الآن، أما الدرس الثالث المستفاد من تلك الواقعة.. فهو تقديم النموذج والقدوة لنا، كان يريد أن يعلمنا كيف نعلم غيرنا.. وكيف نتواضع معهم.. ولا نتعالى عليهم.

وعندما كنت صحفيا ناشئا بمجلة أكتوبر منذ تأسيسها عام ١٩٧٦ شاركت فى تغطية كافة المجالات، ومنها الدبلوماسية فى وزارة الخارجية بالجيزة.. كنت أذهب إلى الوزارة بالأتوبيس النهرى، ثم أواصل السير حتى مقر الوزارة. فأقابل أستاذى الراحل فى الطريق.. وكم كانت سعادتى غامرة برؤيته وأنا ذاهب

للتنقيب عن الأخبار التى كانت تتناقلها وتتخاطفها وكالات الأنباء عن أكتوبر.

أتذكر أيضاً زيارة أسرة مجلة أكتوبر للرئيس الراحل السادات فى قريته بميت أبو الكوم، حيث اصطحبنا الأستاذ كلنا - الصغار والكبار -، وقضينا يوما جميلا ورائعا مع الرئيس الراحل، ومع أنيس القلوب، ورغم بساطة الاستقبال.. إلا أنه كان يوما عظيما.. اكتشفنا خلاله كيف كان يحبنا.. كما كان السادات يحب أكتوبر التى أسسها تخليدا لنصر أكتوبر.

وأخيراً.. فإن الراحل الكبير علمنا أدب الاختلاف الذى لا يفسد للود قضية.. كنا نختلف بكل الود والحب والاحترام، وهذا النموذج نكاد نفتقده فى عالم الصحافة والسياسة التى كان يطلق عليها (فن السفالة الأنيقة)! وقد رحمه الله من كل السفالات التى نشهدها.. وسوف نشهدها!! (*).

(*) أحمد شاهين.

رؤية سياسية

معه فى «أكتوبر» .. كانت لنا أيام

أنيس منصور. المؤسس

رغم أنى من مدرسة جلال الدين الحمامصى الصحفية بحكم استاذيته لى فى قسم الصحافة بكلية الإعلام بجامعة القاهرة والتى تخرجت فيها ضمن خريجى الدفعة الأولى عام ١٩٧٥ ، ورغم أنى وزملاء هذه الدفعة ندين بالفضل هذا الأستاذ العظيم الذى تعلمنا منه الصحافة.. حرفة ومهنة وحرية وكرامة.. ماجعلنا نتيه فخراً واعتزازاً وثقة بالنفس منذ أولى خطواتنا فى بلاط صاحبة الجلالة.. وحتى الآن.

.. إلا أن انتقالى من جريدة الأخبار التى بدأت فيها مسيرة احترافى للمهنة إلى مجلة أكتوبر.. كان التحاقا بمدرسة صحفية جديدة.. افتتحها وأسسها الأستاذ الكبير أنيس منصور، ووجدتنى أجمع بين مدرستين متميزتين فى الصحافة المصرية.

ولأن أنيس منصور كان نجما ساطعاً متألقاً فى مدرسة ومؤسسة أخبار اليوم التى أسسها جلال الدين الحمامصى مع الأخوين مصطفى وعلى أمين، ولأن كبار الصحفيين من الجيل السابق انتقلوا من أخبار اليوم إلى أكتوبر، فقد بدت المجلة ومنذ البداية فرعا من تلك المؤسسة والمدرسة الصحفية العريقة، وإن تميزت «أكتوبر» بخصوصيتها التى استمدتها من شخص وشخصية مؤسسها أنيس منصور.

لم أكن قد عرفت أنيس منصور عن قرب قبل انتقالى إلى «أكتوبر» للعمل معه وتحت رئاسته بترشيح وتزكية من الأستاذة مريم روبين أهم وأكبر صحفية متخصصة فى الشؤون العربية والنجمة الساطعة فى أخبار اليوم والتى عملت تحت رئاستها محرراً للشؤون العربية فى «الأخبار» بترشيح وتزكية من أستاذى جلال الدين الحمامصى.. رئيس التحرير فى ذلك الوقت.

ومع أن الكثيرين من زملائى الصحفيين اعترضوا على قرارى بالانتقال من جريدة الأخبار ومؤسسة أخبار اليوم باعتبارها مؤسسة صحفية عريقة ومستقرة إلى «أكتوبر» المجلة الناشئة الجديدة.. باعتبار هذا الانتقال ذهابا إلى المجهول، إلا أننى كنت سعيداً بهذا الانتقال.. ساعيا إلى هذه النقلة.. رهانا على نجاح هذه التجربة الجديدة بضمان مؤسسها أنيس منصور.. وسعادة غامرة لا توصف بالعمل مع هذا العملاق.

***

ولدت مجلة أكتوبر عملاقا صحفيا منذ العدد الأول، وخسر كبار الصحفيين رهانهم على فشل التجربة بينما ربح أنيس منصور رهانه على نجاحها. بل على تميزها حتى صارت وظلت وفى سنواتها الأولى الزاهرة المجلة العربية الأولى، ومازلنا نحن المؤسسين معه نتذكر انتظار المراسلين العرب والأجانب خروج المجلة من المطبعة لكى ينقلوا عنها انفراداتها الإخبارية والسياسية التى ينفرد بها أنيس منصور.

وإذا كان أنيس منصور هو المؤسس وصاحب التجربة وله الفضل الأول بل الأوحد فى نجاحها الباهر، فإنه وللتاريخ كان الرئيس الراحل أنور السادات هو صاحب الفكرة وصاحب قرار إصدار المجلة وإسناد مهمة تأسيسها ورئاسة

تحريرها للأستاذ أنيس، وهو أيضاً من قدّم لها كل الدعم المادى والمعنوى.. حرصاً على نجاحها ولتكون كما أوضح فى قرار إصدارها.. تخليداً وتمجيداً لحرب أكتوبر المجيدة والنصر العظيم.. وقد كانت.

هذه الحقيقة هى ما حرص الأستاذ أنيس منصور على تأكيدها حين دعانا الرئيس السادات.. نحن أسرة مجلة أكتوبر وقد كان أغلب صحفييها من الشباب إلى لقاء معه فى بيته الريفى بقرية ميت أبوالكوم فى أواخر شهر أبريل من عام ١٩٨١.. فقد قدمنا إلى السادات قائلاً: «هؤلاء هم أحفادك يا سيادة الرئيس، فهم أبناء إحدى بنات أفكارك.. مجلة «أكتوبر».

ومن مفارقات الأقدار أن يجمع شهر أكتوبر بين هؤلاء الثلاثة.. المجلة ومؤسسها وصاحب قرار إصدارها.. بين ميلاد «أكتوبر» ورحيل السادات وأنيس منصور، فقد صدر العدد الأول فى اليوم الأخير من شهر أكتوبر عام ١٩٧٦، ورحل السادات مغتالاً شهيداً فى يوم السادس من نفس الشهر عام ١٩٨١ فى يوم عرسه وذكرى انتصاره، وهاهو ذا أنيس منصور يرحل يوم الحادى والعشرين من أكتوبر وحيث يصدر هذا العدد الخاص من المجلة فى عيد ميلادها الخامس والثلاثين.. اعترافا بفضل وعطاء مؤسسها الذى رحل فى ذكرى ميلادها.

***

مستعيراً عنوان كتابه «فى صالون العقاد.. كانت لنا أيام» والذى يعد توثيقاً وتوصيفاً لأهم وأخصب حقبة ثقافية وفكرية وأدبية فى عقدى الخمسينات والستينات، أجدنى أقول إننا فى مجلة أكتوبر التى كانت صالون أنيس منصور الفكرى والأدبى والفلسفى بل الصحفى أيضاً.. كانت لنا أيام.. امتدت لأكثر قليلاً من ثمانى سنوات هى فترة رئاسته للتحرير.. وليتها طالت أكثر.

لقد أتاح لنا أنيس منصور بحكم عملنا الصحفى تحت رئاسته للتحرير طوال تلك السنوات.. حضورا يوميا فى صالونه الفكرى والصحفى، وحيث كان يطوّف بنا عبر التاريخ والجغرافيا ويحلّق بنا إلى آفاق واسعة ورحبة من الفكر والأدب والثقافة والفلسفة بحكايات ومواقف لا تنتهى.

المثير للدهشة مع ملاحظة أن الدهشة هى بداية وأصل الفلسفة.. المثير للدهشة.. دهشتنا نحن جيل الصحفيين الشباب فى ذلك الوقت من أن أنيس منصور الكاتب والمفكر والأديب والفيلسوف الذى أثار انبهارنا، كان يثير وبنفس القدر انبهارنا بأستاذيته الصحفية وحرفيته المهنية رفيعة المستوى، إذ كيف يجتمع الأدب والثقافة والفكر والفلسفة مع الصحافة بهذه الروعة وبهذا التألق؟!

لقد كنا ومازلنا نحن الذين كان من حُسن حظنا ممارسة العمل الصحفى تحت رئاسته مشدوهين مأخوذين بهذا العملاق الذى كان حديثه متدفقا بليغا.. سهلاً ممتنعاً فى نفس الوقت.. حاشدا بأفكار ومعلومات ورؤى.. ألهبت خيالنا ووسّعت آفاق معرفتنا، فكنا كمن يقرأ كتابا جديداً كل يوم وفى كل لقاء معه. أما أغرب ما اكتشفناه فى رحلتنا الصحفية مع أنيس منصور إلى جانب انبهارنا بصياغته الفريدة والرائعة لعناوين المقالات والموضوعات والأخبار، فهى قدرته الفائقة بل ملكته المتفردة عن غيره من كبار الكُتّاب والمفكرين فى أن يتحدث مثلما يكتب تماما.. نفس التدفق.. نفس العبارات الرشيقة التى تنساب فى سلاسة مدهشة.. نفس المفردات المتميزة التى ينحتها نحتا ويشتقها من مفردات اللغة العربية اشتقاقا بليغا، فكان حديثه مقالا ومقاله حديثا! هذا الأسلوب المتفرد وتلك العبارات الرشيقة التى تدفع القارئ لمقالاته ومؤلفاته دفعاً إلى الاستمرار فى القراءة دون ملل أو توقف.. هو التفسير الحقيقى لأنه أكثر الكُتّاب على الإطلاق انتشاراً وأكثر المتحدثين استماعا إليه، ولأن مؤلفاته التى زادت على مائتى كتاب هى الأكثر مبيعا خاصة بين الشباب الذين يمثلون غالبية قرائه، إذ نجح بكتاباته الرشيقة المتفردة فى استمالتهم وعلى غير عادة الشباب إلى القراءة.

لقد كانت قراءات أنيس منصور فى كل العلوم والمعارف ونهمه الشديد للقراءة منذ شبابه وحيث حكى أنه فى صيف واحد قرأ كل الكتب الموجودة فى مكتبة المنصورة العامة، وكذلك اطلاعه على مختلف الثقافات والآداب العالمية وتنقله بين النظريات الفلسفية من أرسطو وسقراط حتى عبد الرحمن بدوى وحيث استقر فى مرحلة من مراحل مسيرته الفكرية والفلسفية على «الوجودية».. مضافاً إلى ذلك كله تأثره بأستاذيه العقاد وطه حسين، وحيث كان

القرآن الكريم الذى حفظه فى طفولته فى الخلفية دائماً.. كل ذلك كان الخلطة السحرية التى صنعت أنيس منصور.. الأديب والمفكر والفيلسوف والمثقف الموسوعى.

وبهذه الخلطة السحرية بدت كتابات أنيس منصور خليطاً رائعاً وإن ظل محتفظا بخصوصيته من العقاد وطه حسين.. متأثرا فى نفس الوقت بالأسلوب القرآنى، بينما لم تغب الفلسفة التى درسها وعشقها ودرّسها وتبدّت حاضرة دائماً فى ثنايا وسطور مؤلفاته ومقالاته، ولذا لم يكن غريبا أن يتفلسف كما كان يقول لنا وهو يكتب أدبا أو يكون أديبا وهو يكتب فى الفلسفة، أما الغريب حقا أن تكون الفلسفة والأدب مدخله إلى الصحافة التى جعلها حرفته، فكانت مكانته الصحفية الرفيعة بقدر مكانته فى الفكر والأدب.

***

هذا هو أنيس منصور الذى عرفناه عن قرب واقتربنا منه واقترب منا.. تأثرنا به كثيراً، فقد كان الرمز والمثل الأعلى الذى نعتز به بقدر اعتزازه الخاص بتأسيس «أكتوبر» دون غيرها من الإصدارات الأخرى التى سبق له تأسيسها، باعتبارها مدرسته الصحفية الخاصة وتجربته المهنية شديدة الخصوصية.

إننا مازلنا وسنظل نستعيد ذكرياتنا معه فى «أكتوبر» فى عهدها الزاهر تحت رئاسته للتحرير.. وفيها ومعه.. كانت لنا أيام.. هى عزاؤنا فى رحيله بجسده وإن بقى معنا وبيننا بفكره وعطائه وأيضاً بهذه المجلة(*).

لم يكن الفتى منصور جنينا عاديا فى بطن أمه، لم يكن قليل الحركة، أو مستقر الأوضاع، أو حتى مثل خلق الله هادئا تارة وثائرا تارة أخرى، بل كان كما قال عن نفسه «كنت فى أحشاء أمى جزءا من حياتى كنت متمردا على هذا الرحم الصغير، كنت أحس أن قيوده تقتلنى، فالكبد عن يمينى والطحال عن شمالى كنت انتظر تلك اللحظة التى أنزل فيها من هذا الرحم الضيق انتظرها على أحرّ من الجمر. لم أنزل باكيا أو مستغربا، بل نزلت متأملا متسائلا: أين أمى التى تحملت كل هذه الشقاوة وهذا التعب؟..

(*) أسامة أيوب.

إننى خلقت من أجل أمى.. لنعيش معا، ونموت معا.. لنستريح فى محطة الدنيا.. ونعبر معا «كوبرى» الآخرة.

قصة النداهة التى أنقذت الفتى منصور من الغرق:

فى قرية نوب طريف التابعة لمركز السنبلاوين - وليس المنصورة كما تردد - ولد صلاح محمد منصور أو أنيس محمد منصور وهو الاسم الذى اشتهر به ليصبح «أنيس منصور».

عاش أنيس مع أبناء قريته، أحمد ومحمد وصلاح ومحمود يذهب معهم إلى كتاب الشيخ عبد المعبود صباحا، ويجرى فى الحقول وقت الظهيرة، وإذا جاءت فترة المساء يذهب إلى كتاب الشيخ ثانية لتسميع «الماضى» ومراجعة القرآن الذى حفظه عن ظهر قلب فى بداية اليوم.

فى أحد الأيام رأى الطفل أنيس أن قرية «نوب طريف» اتشحت بالسواد.. خرجت عن بكرة أبيها.. الكل يبكى وكأن القيامة قد قامت تساءل الطفل ماذا جرى؟ لماذا تبكى القرية؟ لماذا ترتدى السواد؟

قال له صديقه الصدوق سليمان على ندا الذى التقت به أكتوبر فى حوار خاص: لا تحزن يا أنيس فإن مولانا الشيخ عبدالمعبود شيخ الكتاب توفاه الله.. مات.. ظل أنيس يبكى على شيخه كان يتمنى أن يختم القرآن على يديه، ولكن «ما دايم إلا وجه الله».

بعدها ذهب أنيس لكتاب الشيخ السيد أبو محمد ليختم القرآن على يديه. الطفل أنيس منصور كان ولدا شقيا كما قال عن نفسه يجبر أمه على ضربه بسبب وبغير سبب. فمثلا ينزل ليستحم فى النيل، وهو لا يعرف العوم، فيحمله زملاؤه الصغار ملفوفا بملابسه بعدها يصاب بالحمى أو البرد، ولا ينقذه من يدها إلا المرض أو أحد الجيران.

الثعلب المكار

ذات مرة شاهد الثعلب وهو يصعد بظهره النخلة حتى يكون فى مأمن من أهل الأرض أو صاحب النخلة، على الفور يقوم الطفل أنيس بتقليد الثعلب.. يخلع جلبابه، ويحاول صعود النخلة بظهره.. يحاول مرات ومرات.. ولكنه

يفشل أيضا مرات ومرات.. وفى المرة الأخيرة يقع أنيس على الأرض، بعد أن تتلطخ ثيابه بدماء رأسه.. إنها شقاوة الأطفال التى لا تدانيها شقاوة.

لم يكتف أنيس بتقليد الثعلب، بل كان يقلد والده أيضا.. كان يأخذ تعاويذه التى كان يوزعها على المرضى وأصحاب الحاجات يأخذها من جيب الجاكيت.. يفتحها يقرأ ما فيها.. ويذهب بها إلى المرضى ليقرأ عليهم الأوراد والآيات.. أراد الطفل أنيس أن يكون كبيرا.. أراد أن يكون له دور فى سن مبكرة كان يرفض أن يجلس فى مقاعد المتفرجين أو أن يكون عالة على أهله. ظل على هذه الحالة حتى فارق الدنيا وما عليها.

زيارة إلى القبر:

كان أنيس منصور نابغة فى طفولته.. كان يريد معرفة كل شىء رأى الأحياء يزورون الموتى فانتظر حتى جن الليل وذهب إلى قبر جده ذهب ليشتكى أمه التى تضربه صباح مساء على حد وصفه ولكن لأن الأم هى الأم.. أخذت تبحث عنه فى كل مكان.. تجرى ناحية المقابر تنادى عليه بأعلى صوته الذئاب تعوى والثعابين تتلوى.. وشياطين الإنس تترقب وعفاريت الليل لا حصر لها.. فى النهاية تعثر عليه أمه بعد طول غياب تحضنه بين ذراعيها.. دفء ما بعده دفء إنها الأم التى أرادت أن يكون أنيسها محاميا أو طبيبا أو وزيرا وهو يريد شيئا آخر أرادت أن يكون له «شان وشنشان» أراد أن يكون أنيس منصور الفيلسوف والمفكر والمبدع والفنان.

ارتبط أنيس منصور بوالده ارتبط به لكونه أبا حنونا محبوبا يتفانى فى عمله، ويبحث عن الرزق الحلال يحفظ القرآن عن ظهر قلب ولا يعنيه من الدنيا إلا تربية أولاده الأحد عشر. تزوج أكثر من سيدة فأنجب هذا العدد الكبير كان همه أيضا أن يحفظ أنيس القرآن ويتفوق فى دراسته.. أن يكون هذا «الولد» النابغة سيد شباب أهل مصر. ولذلك كما يقول الأستاذ: عندما علم والدى أننى حفظت كتاب «دلائل الخيرات»، ذهب إلى إمام المسجد وقال أنيس ابنى حفظ «دلائل الخيرات»؟! فقال له الشيخ: وهذا من «دلائل الخيرات» أيضا، وعندما حفظت بردة البوصيرى قال لمأمور المركز فى أول لقاء بينهما إن ابنى قد حفظ «البردة» ويستطيع تسميعها الآن.. كان يفتخر بولده فى أى مكان يذهب إليه.

شاى بالنعناع:

يقول الأستاذ أنيس عن والده كنت أعشقه وأنام أمام غرفته، كان يستيقظ الفجر، ونصلى معا.. يصلى إماما وأصلى خلفه يقرأ القرآن ويضع يده على رأسي وقلبى ويدعو ربى أن ينصرنى على نفسى وعلى أعدائى وأن أكون رحيما بوالدى وأن أكون فى أعلى المناصب، وأن يجعل فى قلبى نورا وفى بصرى نورا.. كان يصنع لى الشاى بالنعناع، ويحكى له ما يعرفه من القصص.. يحكى لى عن شمر ابن ذى الجوشن قاتل الحسين، وقتلة عمر وعثمان وعلى، كان يقول لى إن مصر محفوظة.. من أرادها بسوء قصم الله ظهره.

يقول الأستاذ أنيس: والدى كان كثير السفر والترحال لا يستريح فى البيت كثيرا.. كان قليل الكلام كثير العمل.. فى حاله خصام دائم مع جدتى وكانت له هيبة ومكانة بين أبناء القرية كان معروفا بالصدق والأمانة والثقافة والأدب كان يدخل القرية على جواد أبيض وشمسية بيضاء تقيه حر الشمس يحيط به الناس من كل جانب وكأنه ملك متوج ويمشى وراءه عدد من الفلاحين سيرا على الأقدام أو على ظهر الحمير، كان قويا سمعت أنه يحتضن الحصان بذراع واحدة ويمشى به لخطوات.. كان خيّرا يصنع الخير فى أهله، وفى غير أهله، كان قدوة للخفراء والأمراء على حد سواء.

حجاب أبى:

رأيته ذات مرة يصوب فوهة البندقية التى كان يحملها على ظهره، ويمشى بها بين الحقول على هدف بعيد.. رأيت الدخان يخرج من الماسورة السوداء. لأول مرة كما يقول الطفل أنيس أسمع طلقا ناريا نظرت إلى والدى بخوف أخذنى من يدى وقال: لا تخف تعال معى لنستطلع الفريسة رأينا ذئبا يتلوى كان يأكل الخراف من حقول الفلاحين والفراخ من شوارع القرية.

ومرة أخرى وجدته يمسك شيئا طويلا، اعتقدته حبلا فى البداية ولكنه كان يتلوى أخذ يلف به فى الهواء ثم ألقاه على آخر ذراعه، فتبين أنه ثعبان قذفه أبى فى الهواء ليرتطم بجذع شجرة ليكون آخر يوم له فى الحياة. كان والدى «رجل بركة» قابله أحد أبناء القرية ذات مرة قائلا له: يا عم محمد الصداع سيفلق رأسى تمتم والدى بلسانه فى أذن الرجل وملس على رأسه بإصبعيه ثم أخرج

ورقة من جيبه وأعطاها للرجل، وأخذ يقول له: باسم الله الشافى المعافى أن تشفى هذا الرجل، وببركة قوله تعالى «ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين» ويطمع الرجل أكثر وأكثر ويقول لوالدى يا عم محمد أنا عايز كمان شوية بركة.. «الواد» ابنى كاره البيت.. الظاهر عليه راكبه عفريت.. ساعدنا يا عم محمد الله يساعدك.. وما كان من والدى، -كما يقول الأستاذ أنيس منصور- إلا أن أعطاه حرزا ليقيه الشيطان الرجيم، وكتب عليه قول الحق سبحانه «فرجعناك إلى أمك كى تقر عينها ولا تحزن». وعاد الولد إلى حاله ببركة القرآن وبركات والدى.

«يا أنيس رئيس الجمهورية يبحث عنك فى كل مكان.. فتعال بالذوق وإلا.. أنا على يقين من أنك سوف تجىء بالذوق!»

هذا هو نص الخطاب الذى بعث به الرئيس الراحل أنور السادات بخط يده إلى الفيلسوف والمفكر والأديب العملاق أنيس منصور وهو الخطاب الذى احتفظ به أنيس منصور بين أوراقه ورسائله وتسجيلاته مع الذين عاصرهم وفى مقدمتهم الرئيس الراحل.

والخطاب رغم بساطته إلا أنه يعكس مدى العلاقة بين الراحلين رئيس الجمهورية والمفكر الأديب، يحكى أنيس منصور عن هذه العلاقة وكيف تعرف على السادات فيقول: السادات كان يقرأ لى، وحينما كان مشرفًا على «أخبار اليوم» حدث أننى كنت خارجًا من الأسانسير وهو داخل، فلما رآنى وأنا لا أعرفه شخصيا قال لى: إزيك يا أستاذ فلان، أنا قرأت لك المقال الأخير.. فقلت له: متشكر قوى. وانصرفت. فإذا بالرجل المسؤول عن الاستعلامات يقول لى: سيادة النائب يريدك. واتضح لى أن السادات كان يكلمنى ويريد أن يواصل الكلام معى وأنا لم أنتبه أو آخد بالى. وطلب منى بعد أن عدت إليه أن أحرر صفحة أدبية يومية فى الأخبار، وأن أتصل به لأنه يريد أن يعطينى مذكراته.

ثم قابلته فى فرح خال زوجتى، توفيق عبدالفتاح، الذى كان وزيرا للشؤون الاجتماعية، وهو أصلا من الضباط الأحرار. وسألنى ماذا تفعل هنا؟ قلت له: إنه خال زوجتى. وصعدنا معًا والتقطت الصور وقدمته لزوجتى فإذا به يقول

لها: الله يكون فى عونك! وإلى أن مات كنت أسأله: ما المعنى.. ما الذى كان يقصده؟ فكان يكتفى بالضحك فقط. وطلبت من السيدة جيهان أن تسأله وتحاول أن تعرف مقصده، فقالت إنها سألته ولا يريد أن يجيب. وعندما رويت هذه الحكاية ليوسف السباعى، اقترح علىَّ أن أتصل به، لكننى لم أتصل إلى أن صار رئيسا للجمهورية، وفاتحنى فى إصدار مجلة «أكتوبر». وبدأت بيننا علاقة قوية جدًا.. هو الذى قواها.. أنا كنت «كاشش» ومترددا.
وعن الفارق بين علاقته مع السادات وعلاقة هيكل مع عبدالناصر، يقول أنيس: عبدالناصر عرف هيكل وهو صحفى، وأنا عرفت السادات وتكوينى غير صحفى فأنا أديب ومفكر. ثم إن هيكل لعب دورًا سياسيًا أما أنا فقد اشتغلت بالفكر السياسى ولكنى لم أنخرط فى التنظيم السياسى. وكما أن السادات مختلف عن عبدالناصر فأنا أيضا مختلف عن هيكل.

ويؤكد أنيس منصور أن قربه من السادات ساعد على تبصيره بأمور كثيرة لم يكن يعرفها جدا مثل تاريخ الصهيونية والفكر السياسى اليهودى والديانة اليهودية.

وفى كتاب بديع وضعه زميلنا الكاتب الصحفى إبراهيم عبدالعزيز بعنوان (رسائل أنيس منصور) يؤكد فيلسوف البسطاء أنه كان يقابل أولاً كل من كان يقابلهم السادات ليعرف ماسوف يقولون له، ليكون على بيّنة ومعرفة بمن يقابل ولماذا يقابله؟

وزير خارجية غير رسمى:

ارتبط أنيس منصور بعملية السلام بين مصر وإسرائيل حتى قبل الزيارة التاريخية التى قام بها السادات للقدس والتى صاحبه خلالها، وكان السادات يكلفه بمهام سرية كثيرة فى إسرائيل يحمل خلالها رسائل منه إلى قادتها. وفى نفس الكتاب يسأله زميلنا إبراهيم عبدالعزيز:

*ولماذا لم يرسلها عن طريق وزارة الخارجية كما هو متبع؟

*هو لم يكن يريد الخارجية.

*أليست هذه ديكتاتورية؟

*عندما يحمل أعضاء من الكونجرس الأمريكى رسائل من رئيس أمريكا إلى الرئيس المصرى، أو يكلفون بمهام سرية، فهل هذه ديكتاتورية من الرئيس الأمريكى؟ إنها نوع من الدبلوماسية الشعبية.

*ولكن عضو الكونجرس الأمريكى منصب رسمى؟

*وأنا أيضا صحفى رسمى والرئيس يقدر مشاكله مع وزارة الخارجية ولذلك لم يكن يريد أن يعلم أحد بتلك المهام ويبعث بى لا من شاف ولا من درى، وهذا أسلوب من أساليب الدبلوماسية الشعبية لحل المشاكل سرا، وهو لصالح الدولة لأن الكشف عن تلك المهام يفسدها.. فالتليفونات مراقبة والفاكس يمكن اختراقه، ولايتبقى إلا أن يقوم الرئيس بإرسال مبعوث سرى يتكلم فى أذن المسؤولين دون وساطات مما يسهل مهمته ويساهم فى نجاحها بعيدًا عن أجهزة الإعلام.

*هل معنى ذلك أن وزراء الخارجية غير مؤتمنين على تلك المهام السرية؟
*لا دخل للأمانة فى هذا الموضوع، لأن وزير الخارجية عندما يقابل رئيس وزراء إسرائيل، فإن ذلك يكون معلنا، ويتبعه مؤتمر صحفى، والسادات لايريد أن يعلن ورئيس الوزراء الإسرائيلى لايريد أن يعلن، لذلك تبقى القناة السرية وسيلة من وسائل حل المشاكل بعيدًا عن الطريق الرسمى العلنى.
*وما هى المهمة التى كلفك بها السادات وشعرت أنها تحمل مشكلة عويصة وساهمت أنت فى حلها؟

*كثيرة هى تلك المهام، ولكننى لم أتحدث عنها إلا فى كتاب لى عن السادات.

وقد كان أنيس منصور هو العنوان الأول فى إسرائيل للاتصال بالرئيس السادات. وحدث أن أطلق السادات (بالون اختبار) وأعلن عن استعداده لتوصيل مياه النيل إلى إسرائيل، فلاقى ذلك ردود فعل باسمة وجميلة فى إسرائيل مع أن عددًا كبيرًا من الخبراء هناك أعلنوا عن صعوبة ذلك وكان الموضوع مثيرًا لمقالات الصحف والتعليقات. وفى ذات يوم تلقى أنيس منصور مكالمة تليفونية من إسرائيل، وكانت عضوة الكنيست اليمينية المتشددة، جيئولاه كوهين على الخط:

*يا أستاذ أنيس، أرجوك أن تبلغ الرئيس أن يكف عن تصريحاته عن مياه النيل، فنحن لا حاجة لنا بالنيل ومياه النيل.

*حاضر.

*لانريد مياه النيل ولا أمراض مياه النيل ولا البلهارسيا وقل له لا حاجة لنا لا بالماء ولا البلهارسيا.

اندهش أنيس منصور من طلب عضوة الكنيست، وفى اليوم التالى ذهب إلى الرئيس السادات وروى له حكاية المحادثة فاندهش هو الآخر وأصيب بصدمة من حكاية البلهارسيا وأخذ يقهقه ويقول لأنيس منصور: من أين جاءت بحكاية البلهارسيا هذه؟ يخرب بيتها! والله لم يخطر الموضوع ببالى مطلقًا هاهاها..

ويحكى إيهود يعارى، مراسل التليفزيون الإسرائيلى، الذى كان يتابع محادثات السلام منذ بدايتها، لأنيس منصور عن جولة محادثات بين السادات وبيجين كانت مثيرة وسريعة الأخذ والرد، فقد كان رئيس الوزراء بيجين متمسكًا بالقانون الدولى الكبير، أوبنهايم ويقتبس منه فيرد عليه السادات بحجج دولية بأن التوسع نتيجة للحروب هو أمر غير مقبول، فيعود بيجين إلى الاقتباس ويؤكد أن أوبنهايم يقول كذا، فأصبح الجدل ساخنا وجو غرفة المحادثات خانقا.. أوبنهايم قال.. القانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة تقول، ثم مرة أخرى أوبنهايم أوبنهايم حتى صاح السادات إيه حكاية أوبنهايم أوبنهايم Open the window(افتحوا الشباك) فالجو أصبح خانقًا.
أما الأديب الإسرائيلى إسحق بار - موشيه الذى عمل لحوالى سبع سنوات فى مصر كمستشار صحفى بالسفارة الإسرائيلية، فقد خصص فصلا كاملا من كتابه للحديث عن أنيس منصور يقول بارموشيه: الكتابة عن أنيس منصور من الأمور المثيرة تمامًا مثل الحديث معه، فالرجل عبارة عن فرن يغلى دائمًا بالأفكار والنكات وبالتحليلات العميقة والمعلومات التى لا ضابط لها، كان يستقبلنى ويقول: (تعبتونا ياإسرائيليين) يريد أن يؤكد بذلك أن العلاقة معنا تسبب التعب الذهنى، فقد حاربنا المصريون، كما يقول.

وأنيس منصور لم يكن يفوته شيء، فالكتب الجديدة يقرأها بسرعة. والكتب الأجنبية تأتيه تباعًا فلا يستطيع أحد اللحاق به فى قراءتها. ويستمع إلى الإذاعات من كل بلد، وهو يتابع الصحف المحلية والعالمية، ولا أحد يعرف كيف وأين يجد الوقت لكل ذلك.

ويضيف بار موشيه: كان يذكرنى دائما بما قاله أوسكار وايلد من الأعمال الكلاسيكية العظيمة. فالإسرائيليون الذين يرغبون فى لقائه، نادرًا ما قرؤوا له أى كتاب. وأوسكار وايلد عرَّ الأعمال الكلاسيكية ذات مرة بأنها تلك الأعمال التى يتحدث عنها الجميع فى كل مجلس، لا يقرأها أحد وللأسف فقد عرفه الإسرائيليون من الصحف والمقالات السياسية وليس من الكتب، ولو أن أحدًا اعتنى بترجمة كتاب من كتبه لأدرك القراء أن الرجل هو كاتب خطير الشأن وأديب مهم وليس صحفيًا فحسب، وما العمل والمقالات السياسية تنقلها البرقيات فى حين أن الكتب لا تحظى بهذه المعاملة الحسنة. ويستطرد الأديب الإسرائيلى: وأظن أن أنيس منصور سوف يحكم له فى محكمة الأدب قبل كل شىء يكتبه الأوتوبيوجرافية (كتب السيرة الذاتية) مثل «نحن أبناء الفجر» و «إلا قليلا» و«البقية فى حياتى» فهذه كتب فى قمة الكتب الأدبية التى نشرت فى مصر أو فى العالم العربى عامة. أما الموضوع الآخر الذى امتاز به أنيس منصور على كل من عداه فهو تلك الكتب العلمية المبسطة فى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) التى اعتصر فيها أنيس منصور لقرائه خلاصة ما تجمع للإنسان من معلومات عن نفسه وعن عالم الحيوان المشابه لعالمه. ذهبنا ذات مرة إلى طبيب مصرى فى المعادى فاستقبلتنا الموظفة التى تنظم له الزيارات وكانت شابة صغيرة السن متدينة ترتدى الحجاب وأمامها كتاب لأنيس منصور فقلت لها مداعبًا: هل يعجبك الكتاب؟ قالت: أولًا المعلومات ثم البساطة فى التعبير وإدخال المعنى فى رأسنا تمامًا قلت: أنت وحدك؟ قالت: بل إن معى جيلا كاملا من الشباب والشابات.

وقد ظهر لى فى تلك الأيام أن أنيس منصور هو الكاتب الأكثر تأثيرًا على جمهور قراء الصحف بمقاله اليومى الذى ينشره فى الأهرام بعنوان «مواقف». وذلك بالإضافة إلى كتبه ، ولكننى اكتشفت أن غالبية قرائه هم من الشباب. شكا لى أنيس منصور مرارًا من أن عددًا من الصحفيين الإسرائيليين كانوا

يهزؤون ويسخرون من كل ما يرونه فى مصر، ثم ينشرون صورًا بشعة عن مصر، وكتب مرة أن باستطاعة المصريين أن يكتبوا بنفس اللهجة، وينتهجوا نفس النهج فيقومون بتصوير الأحياء الفقيرة وأكوام الزبالة، ثم يوحون للقارئ بأن إسرائيل هى هكذا. ولكن الحقيقة أن شكوى أنيس منصور وغيره كانت تنصب على الفارق فى النظرة وفى العقلية. قال لى مرة وهو غاضب: تصور يدق أحدهم الباب علىَّ ويدخل وقبل سلام عليكم وقبل فنجان القهوة، يقول لى بسرعة إنه جاء مصر ليومين أو ثلاثة، ثم يقول بسرعة أكبر: عندى سؤال، فأقول له مجاملًا: تفضل ولكنه يلقى علىَّ بسلسلة من الأسئلة وكأنها طلقات رشاش، كل سؤال من الأسئلة يتطلب جوابًا تحليليًا مطولًا. وعندما ينتهى من الأسئلة يكرر على مسامعى أنه مستعجل ولديه فترة قصيرة فقط. وعندما ينتهى من آخر أسئلته أكون أنا رغم ذاكرتى القوية قد نسيت أسئلته الأولى، فماذا تظن أنى فاعل فى مثل هذه الحالة؟ أتريث عن عمد، وأطلب له القهوة وأترك له أن تثور أعصابه وأن يزمجر فى داخل نفسه، ثم أقول له: هل رأيت المنظر الجميل من شباكى هنا فى المكتب؟ طبعًا إن لم يرد شيئًا فهو مشغول بنفسه وبما ألقاه علىَّ من أسئلة هجومية. فأقول له ببرود: تعال لأريك المنظر.

وكان مكتب أنيس منصور يقع فى الطابق الثامن من مبنى مجلة أكتوبر، والشباك الكبير يطل على كورنيش النيل، ومنظر النيل من هذا الشباك لا ينسى: فيأخذ أنيس ضيفه إلى الشباك، وبعد دقائق من الصمت والتأمل، يقول له: هل ترى أمواج النيل الصغيرة المحبوكة المتشابكة؟ إن النيل هادىء، وهذه الموجات تتولد من سرعة سريان الماء. نحن لا نعدو. نحن نقوم بما نقوم به بموجب مقاسات طبيعية خاصة بنا فأرجوك أرجوك.

وينتهى بارموشيه إلى أن هذا لم يكن وعظًا ولم يكن لومًا، بل كان ردًا على إيقاع مفتعل، وعلى رغبة فى فرض هذا المقاس على شخص لا يريد وينتمى إلى شعب لا يفهمه، ولا يهمه أن يفهمه. أما نحن الجانب الآخر فلم يحدث أننا رغبنا كثيرًا فى فهم الجانب الآخر.

رائد الربيع العربى:

ما أعرفه أن هناك رسالتين للدكتوراه على الأقل تم تقديمهما عن أنيس منصور: رسالة من مصرى هو زميلنا رفعت فودة الذى هاجر إلى أستراليا، والثانية من إسرائيلية هى سيجال كرجى، الأستاذة فى جامعة بن جوريون فى بئر سبع.

ويقول الدكتور شموئيل موريه، وهو باحث أدبى كبير سواء فى إسرائيل أو فى الخارج: فى غمرة أحداث الربيع العربى العنيفة المتلاحقة فى الشرق الأوسط ومطالبة الشباب العربى الناهض فى ربيعه بالحرية والعدالة الاجتماعية والمساواة وتحرير المرأة والديمقراطية وإسقاط النظم السياسية الديكتاتورية التى قامت على انقلابات عسكرية بدعوى أنها ثورات شعبية، يقف ثلاثة من عمالقة الفكر العربى فى مصر وهم توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وأنيس منصور، وخليفته الأديب على سالم حفظه الله وأطال من عمره، فى طليعة المفكرين والكتّاب العرب الذين يدافعون عن حرية الفكر والديمقراطية والعلمانية والعلوم الحديثة ويرون فيها الحل الناجع لمشاكل البلاد العربية عامة ومشاكل مصر خاصة.

ويضيف موريه فى الوقت الذى اتخذ فيه كل من الحكيم ومحفوظ الفن القصصى والروائى لبث هذه الآراء التقدمية والفلسفية، وهى فنون يفهمها ويتذوقها كبار المثقفين خاصة، نجد أن الأستاذ أنيس منصور بفضل وسائل الاتصال الجماهيرية المباشرة بالإضافة إلى الفن الروائى، ليلعب الدور الرئيس فى نشر الفكر العلمانى وحرية التعبير وتحرير المرأة والديمقراطية والفلسفات الغربية والفلسفة الوجودية بصفة خاصة، وذلك عن طريق مقالاته المتنوعة فى الصحف والمجلات الواسعة الانتشار وأحاديثه الواضحة المبسطة للأفكار والفلسفات والعلوم الحديثة فى الراديو والتليفزيون بحيث تغلغلت آراؤه الإصلاحية والحرة فى وعى أوسع الطبقات الشعبية وبين الشباب العربى خاصة.

وهو بذلك سبق بسنوات عديدة نقد الروائى علاء الأسوانى وغيره لنظام الرئيس المصرى السابق حسنى مبارك فى روايته «عمارة يعقوبيان» و «حكاية

للكبار والصغار» الرمزية وغيرهما، ويبدى الأسوانى فى مقالاته السياسية تعصبًا قوميًا لا يتناسب ومكانتـه الثقافيـة والأدبيـة التـى تحـتم عـلى أمثالـه الانفتـاح الإنسانى جمعاء فقد عارض الأسوانى صـدور الترجمـة العبريـة لروايـة (عمـارة يعقوبيان) فى إسرائيل، وهى الترجمة الرائعة التى قام بها الأستاذ المترجم موشيه حاخام العراقى المولد والذى يحاول أن يكون جسرًا للتواصل اليهودى العربى فى مجال الثقافة والعلوم، وقد نشر هذه الترجمة المركز الإسرائيلى - الفلسطينى للأبحاث والإعلام، وبمقاطعته لهذه الترجمة يريد الأسوانى أن يقول صراحة إنه ضد التطبيع مع إسرائيل التى نال عشرة من علمائها جائزة نوبـل للعلـوم وضـد التواصل الأدبى الفنى بين الدول والشعوب المجاورة.

ويستطرد موريه ويقول: أما الأستاذ أنيس منصور فبعد أن عـادى إسـرائيل وهاجم اليهود والصهيونية ، أصـبح فيمـا بعـد مـن أنـصار التطبيـع والانفتـاح الفكرى على إسرائيل وعلى العولمة فهو أول من دعا الـشباب العربـى فى كتابـه (الوجوديـة) إلى اعتنـاق الفلـسفة الوجوديـة - الأوروبيـة التـى قـال بهـا كبـار الفلاسفة الوجوديين، من أمثـال جـان بـول سـارتر وكـامى وألبيرتـو مورافيـا والفيلسوف اليهودى مارتن بوبر، كحرية الفكر والمساواة بين البشر ومحاولـة فهم الآخر.

وفى النهاية يرى موريه أن العالم العربى مدين لريادة الأستاذ أنيس منصور فى الدفاع عن العولمة والانفتاح على الفكر العالمى والحضارات عامـة وفى بـزوغ شمس الربيع فى البلاد العربية. فكل كتبه موجهة إلى الـشباب العربـى النـاهض وإلى محاولة خلق جيل مـن الـشباب الـواعى بقـضايا وطنـه وتـأمين مـستقبله بالإطلاع على إنجازات الغـرب وتياراتـه الفكريـة والعلميـة واعتنـاق التفكيـر المنطقى العقلانى إلى جانب اهتمامـه بالغيبيـات ومـا وراء الطبيعـة وبالعقيـدة الإسلامية الصافية السمحة.

آخر الظرفاء:

تميز أستاذنا الراحل أنيس منصور بروحه المرحة ودعاباته التى فى كثير مـن الأحيان تكون قاسية بعض الشىء.. ففى زيارته الأولى لإسرائيل ضـمن الوفـد المرافق للـرئيس الـسادات، ذهـب إلى حـائط الـبكـى بـصحبة الـسيدة همـت

مصطفى التى سألته عن معنى هذا الحائط فأخذ يشرح لها ثم قـال: جـاء رجـل أمريكانى إلى القدس ولأنه لايعرف اسم حائط المبكى قال لـسائق التاكـسى أن يأخذه إلى المكان الذى يبكى عنده اليهود فأخذه السائق إلى مصلحة الضرائب.

وفى يوم من الأيام عرض أنيس على الرئيس السادات «علبة فارغـة».. علبـة تباع فى بازارات القدس مكتوب عليها «هذه العلبة بها هواء من القدس» ضحك السادات وقال: نحن إذا نتفاوض مع أناس يبيعون الهواء! فقال أنيس: لا تنسى ياريس أننا أيضاً دهنا الهوا دوكو! فضحك الرئيس وذكر لـه أن أحـد المطـاعم على النيل فى روض الفرج كان صاحبه يطالب الزبائن الجالـسين فى الهـواء بـأن يدفعوا أكثر من الجالسين داخل المطعم.. فهو أيضاً يبيع الهواء للمصريين!وفى ذات يوم دعى أنيس منصور إلى حفل عـشاء أقامـه الـسادات لمنـاحم بيجـين، وكان فى صحبة بيجين صحفيون كثيرون. فقـام منظمـون الحفـل بوضـعهم إلى جانب صحفيين مصريين بارزين. وتصادف أن جلس أنيس منصور على طاولـة عشاء واحدة مع رئيسة تحرير صحيفة (دافار) آنذاك ، حنة زيمير. فأطلق أنـيس العنان لنكاته ومداعباته، وقال لها:

*هـل تعـرفين أننـا نـأتى بالميـاه المعدنيـة فى الحفـلات التـى نقيمهـا للإسرائيليين عن عمد؟

*لا أعرف.. لماذا؟

*نحـــن لا نريـــد أن نـــأتى للمـــدعوين الإســـرائيليين بميـــاه النيـــل.
*حقاً.. لماذا؟

*هناك أسطورة تقول إن من يشرب من مياه النيل ، يطلب دائماً العـودة إلى مصر ونحن لا نريد أن تعودوا إلينا.

يقول أنيس منصور إن الحادث لم يمر بسلام فقد هاجت حنة زيمير ونـادت وتركت المائدة من شدة غضبها وعبثاً حاول الآخرون أن يقنعوهـا بـأن ماقالـه أنيس منصور مجرد نكته أو دعابة بريئة.

وكاتب هذه السطور شاهد على زيارات كثيرة قام بها كبار القادة فى إسـرائيل للمفكر والكاتب والأديب أنيس منصور فى مكتبه الكـائن بالطـابق الثـامن مـن

مبنى مجلة أكتوبر. فقد توافد عليه كل من شمعون بيـريس وموشـيه ديـان وأبـا إيبان وحاييم بارليف وآخرون ، كان يقدمنى إليهم وأنا شاب صـغير فى بـدايات عملى الصحفى بقوله: زميلى الأستاذ فلان.

كما أذكر أن الأستاذ نجح فى إقناع موشيه ديان بـأن يرسـل كتـاب مذكراتـه التى حملت عنوان (هل إلى الأبد سيظل السيف يأكل) وهـى جملـة مـأخوذة مـن التوراة، حتى قبل صدور هذه المذكرات فى إسرائيل، فأرسل «ملازم» الكتـاب الذى ترجمناه وانفردنا بنشره فى «أكتوبر». كما أذكر أيضاً أنه فى ذات مرة اشـتكى الإسرائيليون لأنيس منصور من الـسلام البـارد وعـدم إقـدام المـصريين عـلى التطبيع. فرد عليهم بظرفه المعهود:عندنا فى الـوزارة ٢ موسـى (يقـصد عمـرو موسى، وزير الخارجية، وعبدالحليم موسى، وزير الداخلية وقتها) فهل يوجـد محمد واحد فى وزارتكم؟!

من المؤكد أن إيقاع كاتبنا الكبير أنيس منـصور سـريع للغايـة، ولكـن مـن الصعب أن تحدد ما إذا كانت هذه السرعة تقتصر على القراءة أم الكتابـة أيـضا. القريبون منه، وكنت قريبا منه فى فترة من فترات حياتي، يعرفون أنه يكتب بنفس سرعة القراءة، وكان سكرتيره هو الوحيد الذى يستطيع أن يفـك رمـوز كتابتـه، أمـا الآخـرون فيـرون فى مخطوطاتـه خطـا واحـدا لا تتمـايز فيـه الحـروف. كم عدد الكتب التى قرأها أنيس منصور؟ وكم عدد الكتب التى كتبها؟ أستطيع أن أقول مطمئنا: عدد غير محدود. كان يعيش بالكتابة وعلى الكتابة ، وقد كتب حتى آخر نفس، حتى الموت.

ذات مرة عندما كنت أتحدث عنه مع جمال الغيطانى كنت أرفق ذكـر اسـمه دائما بالأستاذ، فاستوقفنى الغيطانى فى ثنايا الحديث وسألني: لماذا كلمـا جـاء ذكر أنيس لا تذكره إلا بالأستاذ. وكان ردى الذى يعرفه كل من عمل معـه: كنـا جميعا نعرفه بالأستاذ، ونخاطبه «ريـس»، فهـو مؤسـس مجلـة أكتـوبر ورئـيس تحريرها، ولا يـزال كثيـر مـن الكتـاب، فى الـشرق والغـرب، مـصريون وغيـر مصريين، عندما تذكر مجلة أكتوبر يقرونها باسمه رغـم تـوالى رؤسـاء تحريـر آخرين عليها، مع كامل الاحترام لهم. وربما كان الفارق الأساسى والكبير بينـه وبين أى رئيس تحرير آخر هو ذلك الرابط «التعليمي» وبينـه وبـين المحـررين

الآخرين، فهو ينقل خبرته بسلاسه إلى تلاميذه، ويجلس معهم، ويأكل معهم، ويلعب معهم «الشطرنج»، ويخرج معهم، ويعينهم بكل الطرق الممكنة. كان أنيس منصور ينتمى إلى مدرسة أخبار اليوم الصحفية، التى تسمح لمحرر الأخبار أن يدفع باب «رئيس التحرير» بقدمه ويدخل عليه فى أى وقت، ويعرض عليه ما يشاء.

ربما كانت الناس تعرف أنيسا باعتباره كاتبا ومفكرا، تختلف أو تتفق معه، ولكن من عمل معه يعرف أنه كان صحفيا قديرا، يهتم بالخبر قدر اهتمامه بالمقال. أذكر أننا كنا نعمل، تحت قيادة الصحفى القدير عونى عز الدين رحمه الله، فى تحرير باب «اتجاه الريح»، وحققنا معه إنجازات كثيرة على مستوى السبق الصحفي، مقارنة حتى مع الصحف اليومية التى كانت تصدر معنا صباح السبت، وفى اللحظات الأخيرة قبل الطبع كان أنيس منصور هو صاحب أهم خمسة أو ستة أخبار تظهر فى الصفحة الأولى.

وكما كان صاحب أهم أخبار العدد، فقد صاحب أهم حوارات نشرتها مجلة أكتوبر، وقدرته على الحوار لا يدانيه فيها أحد، فهو ليس محاورا تقليديا، وإنما هو محاور «لطيف»، تحب أن تتعلم منه «الجاذبية» فى الحوار، التى تحولك الى نديم سمير، وتجعل الحوار ممتعا.

كذلك كان محللا سياسيا بارعا، فهو يصل بما تعلمه من فلسفة إلى لب وجوهر القضية التى يعالجها، ولعل هذا هو سر نجاحه فى عموده اليومي، الذى لا تتجاوزه الأحداث، ولا تدعه يقع فى فخ التحليل المضطرب الذى تثبت تطورات الأحداث عدم مصداقيته. كان يأنس دائما لأراء الخبراء، وهو فى أكتوبر كان يأنس لتحليلات عبد العظيم حماد وعبد المنعم مصطفى، وخاصة فى شؤون السياسة الدولية، حماد فيما يتعلق بتأثير المحلى على الدولى ومصطفى فيما يتعلق بتأثير الدولى على المحلى.

ثم كانت لأنيس منصور كاريزما، علاوة على كونه مسامرا ونديما ممتعا، فهو كان شديد التأثير على من حوله، وأذكر أن زميلنا نصر القفاص، عندما عمل معه إبان رئاسته لتحرير صحيفة مايو، لسان حال الحزب الوطنى المنحل، ورأى صديقنا وزميلنا الراحل حاتم نصر فريد، وكان من أشد المتأثرين

بشخصية أنيس منصور، فكان يتحدث مثله، ويأتي بنفس حركات الجسم وإيماءات الرأس، بل وأحيانا كثيرة، كلماته نفسها، فسأل حاتما وقد وصل قبل «الريس»: ها قد وصل الأستاذ أنيس، ونحن فى انتظار الأستاذ حاتم. وبمناسبة الحزب الوطني، ترك أنيس منصور رئاسة تحرير «مايو» لأنهم كما قال لى شخصيا: «حرامية، يبيعون الورق» ويقصد حصة مايو من ورق الطباعة. ولم يذكر مَنْ بالتحديد الذى كان يسرق الورق أو كان يبيعه.

الكاتب أسلوب. وكان أنيس منصور كاتبا له أسلوب، وهى الميزة الكبرى التى جعلته، رغم ما يثيره من اختلاف وخلاف فى الرأى والموقف، مقروءا، وبامتياز. لابد هنا من أن أعترف أننى ارتبطت بقراءة الأهرام اليومى على مدى ٣٠ عاما بادئا بعمود أنيس منصور. ولم أتوقف عن قراءة الأهرام إلا أثناء ثورة ٢٥ يناير، فقد وصل أداؤها المهنى إلى الحد الذى يمكن وصفه بالعار، ولم أعد إليها بعد ذلك أبدا، رغم جهود الإصلاح التى يقوم بها عبد العظيم حماد. ورغم هذه القامة الكبيرة للأستاذ، إلا أنه عاش مظلوما، مأخوذا بجريرة أراء لم يستطع أن يفهمها الناس، إلا القليل، مثل موقفه من العلاقة مع إسرائيل، التى يعرف هو كثيرا من خباياها أثناء عمله قريبا جدا من صانع القرار، أثناء حكم الرئيس السادات، والذى وضعه فى خانة اليمين المصري، رغم أنفه. مأخوذا أيضا بهجومه الحاد على الرئيس عبد الناصر وعهده، ولم يفهم الناس كيف كان يعانى أثناء حكم عبد الناصر، وهى الفترة التى كان فيها أنيس منصور نجما صحفيا من الطراز الأول واتسعت فيها شهرته إلى كافة أنحاء العالم العربي، ولم يكن من أبناء الطبقة الأرستقراطية التى أضيرت بالإصلاحات الاشتراكية التى أدخلها نظام عبدالناصر فى مصر. لا يفهم هذا إلا من عمل صحفيا فى ذلك العصر، وعانى من مقص الرقيب، الذى كان حاضرا، جسديا، فى جميع المؤسسات الصحفية. ولا يفهم هذا إلا من فقد عمله لسبب لا يفهمه، ولو ليوم واحد. لم يكن أنيس مبالغا فى حبه للسادات، ولكنه كان بالتأكيد مبالغا فى كرهه لناصر.

هذا الظلم الذى عانى منه أنيس منصور جعل النقاد لا يعطون أدبه وفكره حق قدره. فعلى مستوى الأدب كان للأستاذ ترجمات كثيرة، منها مثلا قصص البرتو مورافيا، وهو أستاذ فى الترجمة، يعطى لنا نصوصًا جديرة بالقراءة، كما لو

أن المؤلف الأجنبى كان قد كتبها باللغة العربية. وكانت له مؤلفات كثيرة أيضا، فى الرواية وفى المسرح، لكن أحدا لم يدرسها الدراسة الكافية، من وجهة النظر الأدبية، وهذا خطأ كبير وقع فيه النقاد المصريون والعرب، فهم يهملون بعضا من الأدب بسبب الموقف السياسي. إن الاختلاف السياسى لا يصح أن يكون سببا فى حكمنا على إبداع كاتب، ولا يجوز أن نهمل إنتاجا أدبيا لا ينسجم صاحبه مع آرائنا.

لا أجاوز القول عندما أؤكد أن كتابا مثل «حول العالم فى مائتى يوم» هو كتاب أساسى فى أدب الرحلات العربي، فقد قرأته وقرأه أبناء جيلي، والجيل الذى سبقني، وبعض الأجيال اللاحقة. قال لى عمر دبوس وهو مترجم سورى يعيش فى روما إنه قرأ هذا الكتاب وعمره ١٤ عاما. وقال لى الدكتور محمود جاران وهو أستاذ جامعى أردنى إنه أحب القراءة عندما كان أول ما قرأ فى حياته هو هذا الكتاب بعينه. قد لا يكون هذا الكتاب هو النموذج الأكثراكتمالا لأدب الرحلات، ولكن من المؤكد أن له فضل على الأدب بصفة عامة وأدب الرحلات بصفة خاصة: فقد جذب إليه جمهورا وجعل له قارئا وأعلى سمعته لكى يتساوى مع باقى أجناس الأدب.

وكما كان لأنيس هذا الدور الرائد فى أدب الرحلات كان له فضل أيضا فى نشر الفلسفة وجعلها قريبة من ذائقة الناس جميعا، فهو قدم الفلسفة الوجودية فى مصر، وشرح المفاهيم الفلسفية العميقة بأسلوب يسير مبسط، وهذا أيضا دور لم يؤده غيره، وكان له أثر كبير فى تطوير وتنوير الفكر، وفى إعلاء كلمة العلم، وجعله مقياسا وحكما فى كل أمورنا.

أدب الصورة الذاتية، وليس السيرة الذاتية، هو مضمار آخر يصح أن نكتبه باسم أنيس منصور. ففى «صالون العقاد كانت لنا أيام»، سرد وروى وحكى وفصل وفسر ورسم صورة يحسبها القارئ أنها للأستاذ العقاد، والحقيقة أنها كانت محاولة شديدة الدقة فى رسم صورة لنفسه، لشخصيته، لعصره، لبيئته. إذا أردت أن تعرف من هو أنيس منصور، وإذا أردت أن تستمتع بالقراءة أسلوبا وفكرا وعمقا فاقرأ ذلك الكتاب.. رحمك الله يا أستاذ.

بعد أن استعرض الرئيس السادات كل المجلات المصرية والعربية بعين الصحفى القديم وبمنطق السياسى الكبير - كلفنى بأن أصدر مجلة جديدة اسمها ٦ أكتوبر..

وأسعدنى الرئيس السادات بأن اختارنى وتوجنى بهذه المهمة الصعبة جدًا. فليس من السهل إصدار مجلة جديدة فى مصر ولا فى غيرها من البلاد العربية. فالسوق مليئة بكل أنواع المجلات السياسية والاجتماعية والمصورة والعلمية. وإصدار مجلة جديدة فى مصر، معناه أنها سوف تكون الأولى فى عشرين عامًا. فلم تصدر فى هذه الفترة مجلة كبيرة لأى سبب ومن أية جهة. وأنا أعرف صعوبة أن يكون الإنسان رئيسًا لتحرير مجلة تحتاج إلى تطوير. أما إنشاء مجلة جديدة الشكل والمضمون فهذه هى قمة الصعوبة.. وقد كنت رئيسًا لتحرير مجلة الجيل ورئيسًا لتحرير مجلة هى مع المرحوم على أمين ثم رئيسًا لتحرير آخر ساعة..وقد أدرك الرئيس السادات بسرعة صعوبة هذه المهمة فوعد بأن يساعدنى، وأنه عندما يجد الوقت فسوف يقترح أبوابًا وموضوعات. لأنه حريص على أن تنجح مجلة ٦ أكتوبر..وصدر القرار الجمهورى بأن أكون رئيسًا لتحرير مجلة ٦ أكتوبر ورئيسًا لمجلس إدارة دار المعارف.. كبرى دور النشر فى العالم العربى وأكثرهم احترامًا..

وفى دار المعارف لم أجد مكانًا لهيئة تحرير المجلة. وهنا برزت الروح الطيبة للعاملين فى دار المعارف.. وأفسحوا لنا غرفة وراء غرفة.. حتى أعطونا طابقًا واثنين..

وكان لابد أن يأتى المحررون من كل المؤسسات الصحفية الأخرى. من كانوا تلامذتى فى الجامعة.. ومن كانوا أصدقائى وزملائى.. واحدًا وراء واحد حتى أصبحنا ثمانين محررًا وسكرتيرًا فنيًا ومصورًا ومراجعًا ومصححًا وفنيين فى المطابع..

لقد تكونت أسرة ٦ أكتوبر وسط خوف وفزع من التجربة الجديدة.. وتحت وابل من الشائعات تطلقها بعض المؤسسات الصحفية. وكلها تؤكد أن هذه المجلة قد ولدت لتموت - مع أنها لم تكن قد ولدت.. وأن عددًا واحدًا سوف يصدر.. وسوف يعود المحررون والمصورون جميعًا إلى المؤسسات التى

جاءوا منها.. وأننا سوف نندم على أننا أصدرنا هذه المجلة الجديدة من مكان آخر - أى مكان آخر غير هذه المؤسسات الأخرى.وكانت نظرة شامتة - كأننا دار أجنبية تصدر مجلة معادية لمصر. وليست مؤسسة مصرية تصدر مجلة قومية.. والذين أحسنوا الظن قالوا: إنها الغيرة الصحفية والحقد الشخصى.. والذين أساؤوا الظن قالوا: إن الذين احتكروا النجاح يومًا لا يريدونه لأحد آخر..

مع أن هذا الأحد الآخر.. ليس شخصًا ولكن عشرات من الشبان الذين لهم الحق فى أن يساهموا فى كل ما هو جديد فى مصر ومن أجلها. وفى مبنى دار المعارف بدأنا نتجمع واحدًا وراء واحد. وكانوا سعداء، وكنت أقلهم سعادة وأكثرهم حيرة.. وبدأ العاملون فى دار المعارف يشكون - وبمنتهى الرقة والأدب - من أننا قد أحدثنا نوعًا من الفوضى. فنحن نسهر حتى ساعة متأخرة من الليل. وقد اعتادوا أن يغلقوا أبواب الإدارة فى الثانية بعد الظهر. ومع الأبواب: المصابيح والمصاعد والحنفيات. ولم يعتادوا على الضوضاء والسهر وعلى الكلام بصوت مرتفع وعلى الضحك الصارخ أو الراديوهات التى تدوى فى بعض الغرف..وعلى أن ينام المحررون على مكاتبهم.. ولكننا جميعًا اعتدنا على هذا الأسلوب المختلف.. حتى تعايشنا. ولم يكن ذلك هو الفضل الوحيد للعاملين فى دار المعارف. ولكن لهم فضل الصبر علينا والتعاون معنا، والتشجيع المستمر حتى نجحنا معًا.. والحمد لله..

ولكنى حائر فى شكل المجلة وحجمها ولونها وتبويبها وقلبت فى جميع المجلات التى تصدر باللغات الأوروبية، وكانت لى علاقة قديمة بقراءة المجلات الإيطالية وبعدد من محرريها وكتابها وخصوصًا مجلات الأوبروبيو التى عرفت من كتابها الأديب الكبير البرتومورافيا الذى قدمته إلى القارئ العربى منذ خمسة وعشرين عامًا. وترجمت له عشرات القصص القصيرة.. ثم إنه أصبح صديقى هو وزوجتاه الأولى والثانية..وكنت أعرف الكاتبة الإيطالية البادى شيدس المحررة الأولى فى مجلة «أبوكا».. وقلبت فى بقية المجلات الإيطالية..

وحارت عينى وعقلى فى صحفات المجلات الألمانية شترن وكويك ويونته ويوردا.

وفى المجلات الفرنسية: لوواان وبارى ماتش.. ونشرنا هذه المجلات بالعشرات أمام أعيننا.. وتوقفت أيدينا عند تبويبها وموضوعاتها وألوانها وصورها وأغلفتها.. وكذلك المجلات العربية وكان لابد أن نخرج بتصور واحد من كل هذه الأنواع - أى من كل تجارب الشعوب الأخرى واجتهاداتها فى أن تكون مجلتنا الجديدة ذات طابع خاص. وفى نفس الوقت ليس شاذًا عن الذوق العام للمجلات الأسبوعية.

***

وتنوعت أشكال وأحجام كلمة «٦ أكتوبر» فى أيدينا. ثم اخترنا شكلًا للاسم من بين عشرات الأشكال والألوان والأحجام. وجاءت خطابات من البلاد العربية تعيب علينا أن نسمى هذه المجلة «٦ أكتوبر» دون أن نسميها «١٠ رمضان» ووجدناها فرصة لكى نسميها «٦أكتوبر - ١٠ رمضان» وبحثنا نوع الورق وحجمه.

وبحثنا فى حجم الحروف ونوعها.. واخترنا نوعًا منها ثم عدلنا عنه وغيرناه فى الأعداد التجريبية..

ولم يكن لهذه المجلة: مكتبة ولا أرشيف للموضوعات ولا أرشيف ذاكرة. لأنه ليس لها تاريخ فما تزال جنينًا فى علم الغيب.وكان لابد أن أستغل سماحة الرئيس السادات وتشجيعه. فذهبت إليه وعرضت عليه تجاربنا الأولى. عشرين عددًا كتبناها وصورناها قبل أن يصدر من المجلة عدد واحد.

وأبدى الرئيس السادات ملاحظات نافذة على صفحات المجلة. وقدّم أبوابًا.

ولم يفته أن يقول كلمة لتشجيعى وزملائى. قال: لست متعجلا، الوقت لا يهم. خذ وقتك. المهم أن تنجح وأن تستمر..

وكان ذلك زادًا لنا فى هذه الرحلة الشاقة.. إذن فليس من الممكن أن تنجح المجلة من أول عدد - وإن كان هذا هو ما حدث - ولكن يجب أن نصبر على أعدادها الأولى واحدًا بعد واحد. وأن نتلقى ملاحظات القراء والصحفيين المحترفين وأن نجمع هذه الملاحظات وأن ندرسها وأن نعدل مسار المجلة أولًا بأول.

وذهبت إلى السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء، وليس بين الذين عـرفتهم فى حياتى رجل يعطيك الأمل فإذا أنت تطير.. ولـيس بـين النـاس واحـد يخفـف عنك مصائب الدينا ويهونها عليك مثل هذا الرجل. ومن خلال كلماته الرقيقـة وأخوته وصداقته يبدى الملحوظـة والنـصحية.. وهـو لـذلك يـستحق عظـيم الشكر وعميق الامتنان.

وعرضت النتائج النهائية لشكل المجلة واسمها ونوع الخط والأبواب على الرئيس السادات واختار صورتها الأخيرة وهو يؤكد أنه ليس متعجلًا مطلقًا إنما المهم أن تنجح وأن تستمر..

****

وفى مؤتمر صحفى فى فيينا سأله أحد الـصحفيين المـصريين متـى تـصدر مجلة ٦ أكتوبر؟

وكان السؤال مفاجأة لى، وكان رد الرئيس السادات قبـل أكتـوبر القـادم إن شاء الله.

إذن فقد تحدد الموعد نهائيًا.. وعلينا أن نوفر الورق والمطبعة وآلات جمـع الحروف.

ولم يكن عندنا من ذلك كله شىء.. أما آلة جمـع الحـروف التـصويرى فقـد استعنا بمؤسسة الأهرام.. ولولا زملاؤنا عمال الأهرام، ولولا صداقة الأسـتاذ يوسـف الـسباعى لوجـدنا صـعوبة هائلـة فى إصـدارها فى موعـدها. فقد رأى الأستاذ يوسف السباعى أن إصـدار مجلـة مثـل «٦ أكتـوبر»: واجـب قومى.

وبهذه الروح الصادقة، تلاشت صعوبات كثيرة أمامنـا.. وسـاعدنا الأهـرام أيضًا فى توزيع المجلة.

وساعدنا أيضًا فى الإعلانات، وسوف نعتمد على آلات الجمع عندنا ابتـداء من الشهر القادم وسوف يكون لنا إلى جانب إعلانـات الأهـرام إدارة إعلانـات خاصة بنا.. وإدارة توزيع أيضًا.. وهنا نـشعر تمامًـا أننـا نمـشى عـلى أرجلنـا.. ونطير بأجنحتنا.

وقد ساعدنا المهندس مشهور أحمد مشهور عندما قدم آلة للطباعة هى أحدث ما اخترع العقل الإنسانى.

وقدمها بنفس راضية وسماحة تامة.. وقد أدت هذه المطبعة إلى تخفيف أعبائنا.. وهو لذلك يستحق منا كل تقدير وكل عرفان بالجميل.. ثم زودنا المجلة بمطبعة ثانية وثالثة..

واختار الرئيس السادات أن يكون لمجلة «٦أكتوبر - ١٠ رمضان» اسم نهائى هو مجلة «أكتوبر».

وعقب مؤتمر صحفى فى مدينة الرياض استدعانى الرئيس السادات.. وأخرج من تحت المخدة فى غرفته ورقة مكتوبًا عليها: عدد من الأبواب التى يرى إدخالها فى المجلة.

وعاد مرة أخرى يقول: إنها مهمة شاقة. أعرف ذلك. لكن يجب أن تنجح وسوف أساعدك.

وكانت أكبر وأعظم مساعدة لنا هى أن الرئيس السادات قد خصنا «بأوراقه» التى نشرها بمنتهى الاعتزاز منذ العدد الأول. وأصبحت هذه الأوراق أهم معالم مجلة «أكتوبر». ففى هذ الأوراق يتحدث الرئيس السادات عن أخطر الإنجازات فى حياته السياسية، وفى حياة مصر والأمة العربية والسياسة الدولية.

وقد جعل عنوان هذه الأوراق « الجليد يذوب بين موسكو والقاهرة».. وقد رأى الرئيس السادات أن ينشر الحقيقة كاملة.. وينتظر أن يراجعه أحد فى واقعة واحدة. فلم يفعل ذلك أحد. فقد آمن الرئيس السادات بأنه من الأفضل أن يعلن أسرار سياسته بنفسه.. فقد كثرت المذكرات والذكريات الكاذبة فى الصحف العربية.. وقد أطلق الرئيس السادات على أكثر هذه المذكرات أنها اتخذت معناها من أغنية فريد الأطرش التى تقول: « ما قال لى وقلت له».. أى أن هذه المذكرات تدور فى الغالب بين شخصين فى جلسة خاصة. أحد هذين الشخصين قد مات - فأين الحقيقية وأين الخيال؟!

ثم إن الرئيس السادات قد توجه بتجاربه الخطيرة فى السياسة إلى شباب مصر وشباب الأمة العربية حتى لا يضلوا فى متاهات السياسة. ثم إن الرئيس السادات نفسه كان شابًا وكان غاضبًا وكان ثائرًا. وعرف السجون والمعتقلات. ونام فى الظلام على البلاط.. وعرف الجوع وعرف البطالة.. وعرف الضياع. لولا أن عصمه الله ولولا أن شاءت إدارة الله أن تدخره لمصر.. ليشارك فى ثورتها.. ثم يثور على ثورتها.

والرئيس السادات فى كل ما كتب وسوف يكتب لم يرفع عينه عن مصر. فمن أجلها هان عليه كل شىء.. بل الهوان من أجل مصر عزة وكرامة، والجوع فى سبيلها شبع. والقيود فى حبها حرية مطلقة.. وهو يقول للشباب: (اصبروا وصابروا وثابروا.. فمن كان يصدق أن شابًا مثلى فى سنة ١٩٥٠ ليس فى جيبه إلا أربعون قرشًا وبلا عمل. سيكون رئيسًا لجمهورية مصر.. إن هذا ممكن لأى أحد.. ولكن بشرط أن يكون قويمًا وأن يكون مخلصًا وأن يكون على استعداد للتضحية.. لأنه لا يصح إلا الصحيح!).

ولم يكتف الرئيس السادات بأن خصنا بهذه (الأوراق) بل سمح أيضًا بنشرها فى البلاد العربية.. فنشرتها معنا فى نفس الوقت صحيفة (الرياض) السعودية.. ونشرتها صحيفة (السياسة) الكويتية..

ونشرتها الصحف اليوغسلافية فرفعت توزيعها بعشرات الآلوف. ونشرتها الصحف الصينية.. ثم عادت فنشرتها فى كتاب..وطلبت ست دور نشر ألمانية وإيطالية أن تترجمها إلى اللغات الأوروبية وكان ذلك ممكنًا، وسعدنا، لولا أن هناك عقودًا بين الرئيس السادات ودور نشر أمريكية على نشر كتابه الذى ألفه عن حياته بعنوان (البحث عن الذات) باللغة الإنجليزية.

ولكن سوف تنشر الأوراق فى مجلدات باللغة العربية..وأكثر من ذلك أن الرئيس السادات كان حريصًا على قراءة هذه الأوراق وتصحيحها بقلمه.. وإبداء الملاحظات على حجم الحروف وعلى أوائل السطور.. وموضع العناوين الفرعية. فكان بذلك، وبرغم أعبائه الهائلة، نموذجًا للكاتب القلق على عمله والمتفانى فيه أيضًا.

والذين شاهدوا الرئيس السادات فى أحاديثه الممتعة فى التليفزيون يرونه فى كامل لياقته النفسية والعقلية.. فهو صاحب ذاكرة غير طبيعية.. وهو يعرف التواريخ والأيام والأرقام.

قال لى ممدوح سالم: كنت أتصور أننى صاحب ذاكرة قوية جدًا، حتى عرفت الرئيس السادات عن قرب فوجدت أن ذاكرته أقوى بمراحل. وفى أحاديث الرئيس السادات أيضًا لديه هذه القدرة الهائلة على أن يكون لحديثه (سياق) متين - فهو يجيب عن السؤال بتوسع. ويدخل فى تفاصيل كثيرة جدًا، ثم بسرعة يعود إلى النقطة التى بدأ منها هذا السرد.. ثم يربط الحديث من أوله لآخره.. مهما طال بالساعات، فى خيط متين.. وفى أحاديثه المسجلة يستطيع أن يتذكر تمامًا من عشرين عامًا. كيف كان يجلس فلان وأين كان يجلس فلان وما الذى كان يرتديه.. ولون بشرته.. وحركة عينيه وبحة صوته بمنتهى الدقة!

أذكر أن الرئيس السادات عندما كان يروى مقدمات ثورة يوليو.. أشار إلى واقعة غريبة.. أن جمال سالم قد جاءه فى المطار واقترب منه وأبلغه رسالة.. ثم ذهب إلى السيد حسن إبراهيم، وقال له شيئًا. ولكن الرئيس السادات لم يعرف ما الذى قاله لحسن إبراهيم فلا جمال سالم أخبره، ولا حسن إبراهيم أخبره، ولا هو تذكر أن يسأل أحدهما.

ولكن بعد ٢٥ عامًا تمامًا تذكر الرئيس السادات هذه الواقعة، ثم طلب منى أن أسأل السيد حسن إبراهيم عن الذى قاله له جمال سالم فى ذلك اليوم. ولكن السيد حسن إبراهيم أدهشه جدًا أن الرئيس السادات مازال يذكر ذلك. رغم ملايين الأحداث التى وقعت فى مصر وفى العالم! ولما قلت للرئيس السادات: إن السيد حسن إبراهيم لا يتذكر شيئًا من ذلك مطلقًا.

كان تعليق الرئيس السادات: غريبة!

أى غريبة جدًا أن السيد حسن إبراهيم لا يذكر ذلك الذى حدث لمدة نصف دقيقة من ربع قرن؟!

ولما علم الرئيس السادات بحملات التشكيك فى إصدار هذه المجلة. أو

بتعقيد الأمور أمام محرريها الشبان، بعث بكلمة مسجلة إلى محررى مجلة أكتوبر.

وجمعت المحررين جميعًا وأسمعتهم تحية الرئيس السادات لهم.. ثم إن هذه الكلمة التى نعيد نشرها فى الصفحة الأولى لهذه المجلة. قد نشرتها الصحف فى صفحاتها الأولى فى يوم صدور العدد الأول من مجلة أكتوبر يوم ٣١ أكتوبر ١٩٧٦..

وجاءت هذه التحية التى كانت موجهة إلينا. وإلى كل المؤسسات الصحفية من ورائنا. فى مقدمة نشرات الإذاعة والتليفزيون. فلم يكن المقصود مجلة أكتوبر. إنما كل الصحف والصحفيين وضمير الصحافة المصرية، أو السلطة الرابعة فى مصر.

***

وكان يزورنى أحد الوزراء السودانيين وقد أقمت له حفلة شاى فى مكتبى، عندما دق جرس التليفون، وكان المتحدث الرئيس السادات يتوجه بالتهنئة لجميع العاملين فى مجلة أكتوبر على العدد الرائع من المجلة الذى صدر يوم ١٥ مايو - عن ثورة التصحيح.. والذى كتب فيه الرئيس السادات بخط يده اليوم الكبير من ثورة التصحيح.

وأتمنى لو أذن لى الرئيس السادات أن أعرض ما كتبه وما صححه فى كل سطر وكل صفحة من هذه الأوراق. والخطوط التى وضعها تحت الكلمات، والإشارة إلى إبراز العبارات والمعانى - أتمنى لو يأذن لنا فنعرض هذه الأوراق على طلبة الصحافة ليروا مدى دقته وحرصه على كل كلمة يقولها.. وكيف أنه نسى أنه رئيس جمهورية. وتذكر أنه صحفى وكاتب ومؤرخ، وأن أمانته العلمية اقتضته أن يتابع بالاهتمام الشديد كل كلمة كتبها - منتهى الأمانة التاريخية والثقافية فى العمل والصبر على هذه المشقة مع أعبائه الكثيرة العنيفة.. ودهش الوزير السودانى بهذا الاهتمام من رئيس الجمهورية، ولهذا التشجيع العظيم لهذا المشروع الجديد.

فقد شجعنا الرئيس السادات كثيرًا، وخصنا بأشجع وأجرأ مذكرات سياسية فى العصر الحديث. ولكنه لم يكتف بهذا.. بل ذهب إلى تشجيع المحررين بنفسه

وبصوته.

وكل سنة وأنتم طيبون يا قراء أكتوبر فى مصر وفى العالم العربى. نشرت هذه المقالة فى العدد ١٥٦٧ بتاريخ الأحد ٥ نوفمبر ٢٠٠٦.

***

رحم الله أستاذنا الكبير أنيس منصور الذى كان طرازا فريدا من بين كل رؤساء التحرير الذين عملت معهم منذ أن بدأت خطواتى الأولى فى الطريق الطويل فى شارع الصحافة.. حيث عُينت فى مجلة «آخر ساعة» بعد تخرجى فى كلية الإعلام- جامعة القاهرة عام ١٩٧٥.. وكنت أسعد حظا من زملائى فى مؤسسة «أخبار اليوم» أن يكون رئيس تحريرى فى ذلك الوقت هو الأستاذ أنيس.. الذى كان نجما لامعا فى عالم الأدب والفكر وعميدا لمدرسة الصحافة فى أخبار اليوم.. بجانب مؤسسيها الأستاذان مصطفى وعلى أمين. وعندما أصدر الرئيس السادات قراره بتعيينه رئيسا لمجلس إدارة دار المعارف، ورئيسا لتحرير مجلة أكتوبر فى يونيو ١٩٧٦ انتقلت معه بعد استقالتى من «آخر ساعة» لأننى كنت لا أتخيل فى يوم من الأيام أن يكون لى رئيس تحرير غيره.. أو أحرم من هذا الأستاذ الذى كان يحرص دائما على أن يأخذ بأيدى خريجى الدفعتين الأولى والثانية من كلية الإعلام.. وكان يتابع أعمالنا وخطواتنا- بأبوته المعهودة- ويفتح لنا صفحات مجلتنا.. وأبواب الأمل.. ويردد لنا دائما أن العمر أمامكم لتحقيق ما تصبون إليه.

***

ولا أنسى أبدا كلماته لى عندما رشحنى للذهاب إلى مجلس الشعب لأول مرة فى بداية عام ١٩٧٧ للعمل مع الكاتب الكبير زهير الشايب- رحمه الله- صاحب ترجمة وصف مصر لتغطية أحداثه ومتابعة جلساته ولجانه. وقال لى يومها: إن مصر كلها تحت عينيك وبين أصابعك.. وأنك سوف تذهب إلى كنز صحفى لا يتاح للكثيرين من المحررين.. فحاول أن تمدنا بكل ما فى المجلس من أخبار وتحقيقات وتقارير برلمانية ومقالات.

وأكد لى أنه غير متعجل فى أن أبدأ العمل فى البرلمان، ولكن قال لى أدرس وتابع أولا وكون شكبة علاقات مع الأعضاء.. وتابع اللجان بكل دأب ونشاط،

فهى المطبخ الرئيسى لأى برلمان فى العالم.. ثم ابدأ الكتابة.

وكانت هذه هى مدرسة أنيس منصور الصحفية القائمة على العلم والدراسة والعلاقات والبحث والتنقيب وراء الخبر.. فهو لا يرفض أى فكرة تعرض عليه، حتى ولو كانت «محروقة أو بايته» بالتعبير الصحفى.. ولكنه كان يطورها لنا ويرشدنا إلى المصادر الجديدة التى يمكن الاستفادة منهما.. سواء كانت مصادر حية أو دراسات أو كتب أو حتى نسافر إليها فى شمال مصر أو جنوبها.. وكان لا يجد غضاضة فى أن يتصل لنا بالمصدر ويقدمك له بأفضل كلمات.. وربما يحجز لك موعدا معه.

وأذكر أنه قال لى: اذهب إلى د. فؤاد محيى الدين رئيس لجنة الشؤون العربية فى مجلس الشعب فى ذلك الوقت: تحدث معه، تعرف على أفكاره واتجاهاته واجرى معه حوارا صحفيا.. ونفذت ما قاله لى، وبعد أيام عين السادات د. فؤاد محيى الدين نائبا لرئيس الوزراء.. وعرفت منه أنه التقى بالأخ أنيس عند الرئيس السادات على حد تعبيره، وفهمت بعد ذلك لماذا قال لى الأستاذ اذهب إلى د.فؤاد محيى الدين– رحمه الله.

***

ورغم أن أنيس منصور كان أستاذا متميزا وفريدا فى عالم الصحافة.. وصاحب أرشق عبارة فى الصحافة المصرية والعربية وأجمل عناوين يكتبها قلمه.. إلا أنه كان برلمانيا قديرا فى نفس الوقت.. فقد اختاره الرئيس السادات من ضمن الأعضاء المعينين فى أول مجلس للشورى فى عام ١٩٨٠ ووصل عددهم إلى ٧٠ عضوا.

وكان هذا المجلس يضم عددا كبيرا من رموز السياسة والصحافة والأدب والفن ورجال الدين.. أذكر منهم إبراهيم سعده وتوفيق الحكيم وثروت أباظة وأمينة السعيد والشيخ الباقورى ومحمود المليجى وهمت مصطفى وغيرهم كثر.

وقد أثرى الأستاذ أنيس هذا المجلس خلال عضويته التى امتدت على مدى ٢٤ سنة وبالتحديد من ١٩٨٠ حتى ٢٠٠٤ بأفكاره وآرائه واقتراحاته.. وكان عضوا فى لجنة الثقافة ومشاركا فى جميع اللجان.

ورغم كل أعماله ومهامه ومشاغله إلا أنه كـان يحـرص عـلى الحـضور إلى مجلس الشورى.. والمساهمة فى المناقشات التـى كانـت تجـرى تحـت القبـة. وكان بعض النواب فى مجلسى الشعب أو الشورى يستشهدون فى كلماتهم عنـد تعرضهم لبعض المواقف السياسية أو القضايا المصرية بما يكتبه على صفحات مجلة أكتوبر أو فى عموده «مواقـف» فى جريـدة الأهـرام.. فقـد كانـت مقالاتـه ودراساته تمثل لهم كنزا ثقافيا وسياسيا واجتماعيا يقتبسون منه أو يستـشهدون به ليؤكدوا كلامهم أو يدللوا على أهميته.

ولم يقتصر دور الأستاذ على عضوية مجلس الشورى فقـط.. ولكـن كانـت عيناه على ما يحـدث فى مجلـس الـشعب أيـضا ومتابعـا لجلـساته ومناقـشاته. وأذكر أنه فى إحدى المرات كان حاضرا فى مجلس الشورى ولم يصبر حتى يعود إلى مجلة أكتوبر لتكليفى بعمل تحقيق عن سرقة الآثار المصرية، وكانت هنـاك حادثة شهيرة تمت فى الأقصر.. ولكنه اتصل بى من مجلس الشورى ليقـول لى: اذهب إلى الأقصر فورا بالطائرة ومعك مصور.. وحقـق الموضـوع واسـتكمل الجانب القانونى فى مجلسى الشعب والشورى، وهل نحن فى حاجة إلى تعـديل القانون لمواجهة مافيـا الآثـار، وتهريبهـا للخـارج أم لا؟..ونفـذت مـا قالـه لى بالحرف الواحد وخرج التحقيق الصحفى بعنوان :»ولا أثر للـصوص الآثـار»، وأضاف عنوانا آخر «.. ومازال لصوص الآثار يخرجون لنا ألسنتهم»!

لقد كان حقا أستاذا.. ولكنه الأستاذ المتواضع بعلمه وثقافتـه الموسـوعية وخلقه.. وكان يتعامل معنا- رغم أننا كنا فى بداية الطريق- كأننا زملاؤه ولـسنا تلاميذه.. ولم يغضب منى فى يوم من الأيـام إذا راجعتـه فى عنـوان أو معلومـة.. ولكنه كان يقول لى دائما: اقترح مـا تريـد.. وكـان يبـدل ويعـدل حتـى تخـرج موضوعاتنا فى أفضل وأجمل صورة تحريرا وإخراجا..

لقد كان الأستاذ أنيس رغم نجوميته التـى وصـلت إلى الآفـاق.. لكننـا كنـا نفاجأ فى لحظة من اللحظات أنـه بيننـا فى صـالة التحريـر ويجلـس فـوق أحـد المكاتب.. ويسأل كل واحد منا: ماذا عنده؟.. ولماذا لم ينته من موضـوعه عـن «... ...» ويسأل آخر إذا كان يعرف نمرة المصدر الفلانى.

رحمه الله.. كان فى قمة التواضع مع كل جيلى.. ولم يكن يرتدى ثوب الكبرياء

الكاذب والغطرسة والتعالى مثل بعض رؤساء التحرير على المحررين الذين يعملون معهم!

رحمك الله «يا أستاذ» عشرات الأجيال- الذين وضعت أقدامهم على أول الطريق.. فشكرا لك وغفر الله لك ولنا حتى نلقاك عند مليك مقتدر

كيف تقرأ أنيس منصور

قريت أنيس النهاردة؟

«عنوان مقال شهير للكاتبة الكبيرة سناء البيسى لخصت وأوجزت فيه خير إيجاز قيمة ومكانة وإنجاز الراحل الكبير أنيس منصور، الذى كان أعجوبة فى قدرته الفذة والمدهشة – طوال رحلته مع الكتابة والصحافة – فى أن يحتل المكانة الأولى دائمًا فى متابعة القراء لأكثر من ٦٠ عامًا.

الكارهون والمحبون.. العاشقون والمريدون والمناوئون .. لهم جميعا رأى فى "أنيس منصور".. ولهم مواقفهم المتباينة بتباين مواقعهم منه.. قربا أو بعدا.. مودة أو بغضا.. تملقا ونفاقا أو إعجابا وافتتانا.. لكنهم لا بد فى النهاية توقفوا عند عمل من أعماله أو رأى من آرائه أو غريبة من غرائبه وما أكثرها!

لا أحد يمكن أن يمر على أنيس منصور دون أن يتوقف عنده ولو قليلا، أو ينتبه إليه أو يستلفته رأى أو مقالة أو كتاب أو موقف من مواقفه المثيرة للجدل والغضب أيضا.. (رغم أن هذا العصر خصوصا فى عقوده الأخيرة يحمل فى جوفه العديد من الذين يكتبون ويتناقشون وينتفخون ويصرخون ويحتجون ويثرثرون دون أن ينتبه إليهم أحد أو تصغى إليهم نملة!

وتظل تعانى كى تتذكر منهم واحدا دون جدوى.

ولا أظن أن أحدا يختلف حول قيمته وأدواره المؤثرة إيجابا أو سلبا فى السياسة والصحافة المصرية والعربية على السواء، ولا على تأثيراته الممتدة العريضة فى أجيال عديدة من الشباب والنشء الذين تفتحت عيونهم على قراءة أنيس منصور ودلفوا إلى عوالم القراءة المدهشة من خلال كتبه ومقالاته..

وما بين كتاب أنيس منصور الأول "وحدى مع الآخرين" وكتبه الأخيرة التى ما زالت فى المطبعة ولما تخرج بعد إلى الناس، توالت وتتابعت كتبه الغزيرة فى معظم فروع المعرفة: صحافة.. سياسة.. أدب.. تاريخ وتراجم.. دراسات نقدية.. قصص ومسرحيات ..مترجمات.. رحلات.. دراسات نفسية..

إلخ. ففى كل كتاب من كتب أنيس منصور لن تجد كتابا واحدا فى الحقيقة، بل هو مكتبة حافلة ودنيا كاملة من المعارف والفنون والآداب والحكايات والنوادر والطرائف والمعلومات.. والخوارق والخرافات والخزعبلات أيضا ! ساعيا وباحثا عن ذاته وعن الحرية والعلم وكل ما يرى أن له قيمة فى الحياة أو يمكن أن يعود بالنفع والفائدة المعرفية على قرائه ومتابعيه.

براعة أنيس منصور:

برغم أن كثيرين قد يختلفون معه فى مواقفه السياسية كثيرا جدا أو أفكاره التأملية التى تصل إلى الشطح فى أحيان أو انحيازاته الشخصية إلا أنه لا أحد يختلف على أن أنيس منصور كان صاحب قلم نادر وبديع، وكان يستطيع أن يصل إلى قارئه عن طريق أبسط الكلمات وأكثرها تكثيفا، فأسلوب أنيس منصور كان جميلا للدرجة التى يمكن فيها ألا يقول شيئا ومع ذلك تتابعه وتقرأه حتى النهاية، وكان أستاذا بارعا فى وضع العناوين الصحفية.. مبتكرا حقيقيا قادرا على الإدهاش والإمتاع وإثارة إعجابك بعناوين مقالاته أو تحقيقاته أو كتبه..

ومقالات أنيس منصور ممتعة خفيفة.. سريعة.. موجزة.. تثقيفية شارحة.. وكانت هذه غاية الغايات لأنيس منصور فى كل ما كتب.. وكان شديد الحرص على أن تكون كتابته يسيرة بسيطة سهلة تصل إلى أقل مستوى بين القراء ثقافة وفكرا.. وكان له ما أراد، وظل طوال أكثر من ستة عقود متربعا على عرش صاحبة الجلالة، وصاحب نصيب الأسد فى الظفر بلقب "كاتب المقال الأول فى العالم العربي" والأكثر انتشارا وجماهيرية.

مفاتيح للقراءة:

أنيس منصور من الشخصيات التى حددت طفولتهم مسار حياتهم، وشكلت مستقبلهم. كانت الكتابة لديه علاجا نفسيا من تعقيدات وتناقضات شخصيته المتراكبة، ومتنفسا لإخراج شحناته الذهنية والعصبية الزائدة.. واستخدم الكتابة للكشف والتعرى النفسى والعلاج أيضا من القلق والحيرة الدائمة والتوتر التى لازمته طوال حياته. العالم النفسى لدى أنيس منصور عالم شديد الأهمية والثراء والسعة، فالعالم كله.. إدراكه ووعيه وإحساسه بما حوله..

يمر من خلال نفسه هو، فكان يرى العالم والناس والأشياء كلها من خلال ذاته.. وربما لهذا السبب لم يكن أنيس منصور كاتبا روائيا عظيما رغم إسهاماته الثرية فى الكتابة القصصية والمسرحية.

وفى كل ما كتب أنيس منصور، كان يكتب عن نفسه هو ومن خلالها فقط ولا يكتب عن شيء آخر.. فنفسه أولا ونفسه أخيرا حتى وإن بدا أنه يكتب عن آخرين غيره أو أن مسافة تفصله عن الموضوع الذى يكتب عنه.. وهو ما لم يكن حقيقيا!

وفى كتابه (عاشوا فى حياتي) مثال واضح وكاشف، لتكوينه النفسي، واستعراض للمؤثرات والمكونات والمحددات الأولى التى وجهت مساراته وشكلت حياته كلها، وكذلك فى كتابه (فى صالون العقاد كانت لنا أيام)، تتبع لتكوينه العقلى ومثالا واضحا على تحولاته وتقلباته التى كانت فى ذات الوقت كشفا وترجمة لجيل كامل من المثقفين المصريين، جيل ما بين الثورتين (١٩١٩-١٩٥٢)، أو جيل الثلاثينيات والأربعينيات، كما يحلو للبعض أن يطلق عليه هذه التسمية، جيل الصخب السياسى والتحولات الاجتماعية والفكرية الكبرى.

مرآة جيل:

قراءة أنيس منصور من هذه الزاوية، تكشف لنا بجلاء ووضوح سر عبقرية هذا الجيل وسر أزماته ومتناقضاته ومشكلاته الكبرى أيضا، تناقضات جيل بأكمله فكريا وسياسيا واجتماعيا..

ورغم أنه تخصص بالأساس فى الفلسفة، وظل لعدة أعوام معيدا بكلية الآداب قسم الفلسفة جامعة عين شمس، يقوم بدراستها وتدريسها للطلبة وتبسيطها لهم، إلا أن إسهامه الفلسفى فى جوقة كتبه ومؤلفاته التى تخطت الـ ٢٥٠ كتابا، كان ضئيلا جدا بالنظر لاهتماماته الفلسفية، واعتبار نفسه مفكرا ودارسا للفلسفة ومدرسا لها.

وباستثناء كتابه الصغير عن "الوجودية"، وهو أول كتبه، الصادر عام ١٩٥١م، وبعض الكتب الأخرى التى ضمت مقالاته التأملية ذات الصبغة الفلسفية، أو التى عالجت بعض الموضوعات والقضايا العامة فى السياسة أو

التاريخ أو الأدب من منظور فلسفي، فإننا لن نجد كتابا آخر مخصصا بأكمله للفلسفة وتاريخها وقضاياها العامة.. وكان منتظرا منه فى نظر الكثير من قرائه والشغوفين بمتابعته أن يكتب لهم عدة كتب أو على الأقل كتابا جامعا، مسهبا، عن تاريخ الفلسفة وتطورها، أعلامها ومذاهبها وتياراتها الكبرى.

ويمكن أن نأخذ كتابه «معنى الكلام» نموذجا على تناوله الفلسفى لأفكار وقضايا متنوعة، حيث يحاول الكاتب خلال كتابه الغوصَ فى معانى الكلمات والجمل، بطريقة تبتعد عن المعانى الظاهرية، فكل صفحة تحمل عنوانا مختلفا يقوم بشرحه باستفاضة لبيان المعانى الحقيقية والفلسفية من ورائها، فى الوقت الذى يشعر فيه القارئ رغم ذلك أنه يقرأ قصة أو رواية متواصلة مترابطة الأركان، خاصة وأنها تبحث فى كلمات مأثورة لعدد من العظماء على مر التاريخ، ومن خلال ترحاله بين كلمات من البلدان والأمم والشعوب. وفى كتابه «فى انتظار المعجزة» المكمل للكتاب السابق، يبحث أنيس منصور الإجابة عن التساؤل والحيرة التى تنتاب الشعوب، خاصة فى الشرق، وكأنهم دائما فى انتظار معجزة لحل مشاكلهم، والنظر إلى الإنسان الأجنبى على أنه الحل أو المخلص لكل المشكلات، ويعطى الكثير من الأمثلة على ذلك، فى محاولة لتكريس فكرة أن "الحل لا بد أن يسبقه إيمان وعزم وفكر وجهد لتحقيقه."

***

لا أعتقد أن فرداً واحداً من جيلنا لم يقرأ «أنيس منصور» ولم يقع أسير أسلوبه الساحر السلس، كما أن جيلنا بأكمله مدين له بدخول ذلك العالم المدهش، دنيا القراءة والكتابة، دخَلَتْ مجلة «أكتوبر» بيتنا مع عددها الأول الذى حمل صورة الرئيس «السادات»، ودخل معها «أنيس منصور» بمقالاته الممتعة، بدون أدنى مبالغة فإننى قرأت لأول مرة أسماء الكثير من الأدباء والمفكرين فى الغرب والشرق فى مقالات «أنيس منصور». هل هو أسلوبه الذى يبدو بسيطاً مع أنه نتيجة لجهد هائل؟ أم أنه التنوع الكبير فى الموضوعات من المقال السياسى إلى سلسلة «القوى الخفية التى فى أعماقك وأنت لا تدرى» إلى السلسلة الأدبية المذهلة «فى صالون العقاد كانت لنا أيام» إلى حواراته التى لا

تُنسى مع السادات؟، كل ذلك بالتأكيد جحلة مع مجموعة قليلة من كبار الصحفيين، نموذجًا نحاول أن نحتذى به، ونجتهد فى أن نكون مثله، ونصيحته الذهبية منقوشة أمامنا «القراءة مفتاح المعرفة».

من الصحافة انتقلنا معه إلى الكتب، هناك ظاهرة غريبة جداً هى أنه قد يكرر الكثير من الأفكار التى تؤرقه فى كتاباته، ولكنك لا؟تستطيع أبداً أن تترك كتاباً يحمل اسم «أنيس منصور» قبل أن تنهيه، لا حظت أيضاً أن هذا الأمر ينطبق على حواراته التليفزيونية، مهما كانت ثقافة المذيع أو المذيعة أو المحاور فإن «أنيس منصور» يلتقط خيط الحديث ليقول ما يريد، فى أحد حواراته الأخيرة منذ شهور، اندهشتُ لأننى جلست أكثر من ساعة ونصف الساعة أمام «أنيس منصور» وهو يحكى قصصاً سمعتها وقرأتها منه عشرات المرات سواء فى كتب أو مقالات أو فى برامج سابقة، ما هو السر؟

السر فى أن الفنان داخل هذا الكاتب الكبير كان حاضراً باستمرار، هذا الفنان هو الذى يُعيد بناء حكاياته فى شكل وصورة جديدة، كان هو أيضاً شديد الاعتزاز بميوله الفنية والغنائية التى جعلته يقوم بالغناء بالأفراح ويحلم بالحصول على الاعتراف من «محمد عبد الوهاب»، كان «أنيس منصور» يسعد جداً كلما تحولت له قصة إلى مسلسل تليفزيونى مثل حلقات «من الذى لا يحب فاطمة»، أو كلما عرض التليفزيون مسرحيته المعروفة «حلمك ياشيخ علام»، ظل الفنان بداخله يتحاور مع الفيلسوف والمفكر دون أن يهزم أحد منهما الآخر، بل أصبح لدينا هذا المزيج الفريد، كسبنا صاحب المفاتيح السحرية التى فتحت لنا كل الأبواب. لولا هذه الذائقة الفنية الرفيعة لما كانت لكتاباته هذه الهالة السحرية، كثيرون يكتبون عن الفلسفة والأدب والغناء والشعر والسياسة والغرائب والعجائب والأفكار والأمصار، وينسون بصمة الفن والفنان، فلا يتركون ما ترك أستاذنا الراحل الكبير رحمه الله الفنان الذى ألقى بنا فى بحر الحياة على متن سفينة من الحروف والكلمات.

نقاد : مؤشر الدرامى دائمًا مضبوط على موجة النار

قدَّم أنيس منصور العديد من الأعمال المسرحية والدرامية التى لا؟يمكن أن ننساها مهما مر عليها من زمن، وتخليدا لهذا العملاق الأدبى، حاورنا عددا من النقاد لمعرفة آرائهم فى تلك الاعمال الدرامية؟ وهل بإمكاننا تحويل العديد من كتاباته الآن إلى دراما؟ وهل ستحقق نفس النجاح الذى حققته أعماله فيما سبق؟ هذا ماسوف نتعرف عليه من خلال هذا التحقيق..

تقول الناقدة ماجدة موريس: فى الحقيقة أنيس منصور كان له العديد من الروايات التى كان من الضرورى أن تحول إلى أعمال درامية وذلك فى حقبة السبعينات والثمانينات، وجميع الأعمال التى حولت إلى أعمال درامية مثل «من الذى لا يحب فاطمة» و «غاضبون وغاضبات» كانت تقدم فكراً خاصًا للأسرة المصرية فكرا متميزا جدا، وكنا نرجو أن تستمر الاستعانة بأعماله إلا أنها توقفت وهذا يعد خطأ كبيراً وقعت فيه كل قطاعات الإنتاج، فجميع كتاباته تعد تجربة حقيقية ومهمة فى تطوير المجتمع المصرى، وعدم تحويلها لدراما خسارة كبيرة للمشاهدين وصناع الدراما.

أما بالنسبة لكتاباته فهو كاتب قادر على تحويل الفلسفة المعقدة إلى كلمات سهلة للقارئ، وهذا يعد مقدرة نادرة أن يصل إلى كافة قطاعات القراء بمختلف ثقافاتهم، فكلماته تصل إلى القارئ البسيط بمنتهى السهولة وهذا شيء نادر أن يحدث..

ويقول الناقد نادر عدلى: جميع أعمال أنيس منصور التى حولت إلى دراما تليفزيونية كانت حلقات ضعيفة، ولكن التى تحولت إلى دراما مسرحية تعد اضافة حقيقية، لأنها كان بها جزء قام بترجمته دراميا أنيس منصور، لكن الدراما التليفزيونية مثل «من الذى لا يحب فاطمة» و«غاضبون وغاضبات» كانت ضعيفة ولم تعد إضافة حقيقية لمشوار أنيس منصور الأدبى.
أعمال «أنيس منصور» أعمال متميزة للغاية.. هكذا بدأ الناقد «أبو العلا

السلامونى» حديثه عن أديبنا الراحل، ويواصل قائلا: يعتبر أنيس منصور أحد رواد الحركة الثقافية فى حقبة الخمسينات والستينات، ويعتبر له دور مهم فى تحديث الأدب وتحويله من أدب النخبة إلى الأدب القريب من الناس، فكان متعدد المواهب، وكان يكتب فى جميع المجالات، ومن المجالات التى أبدع فيها مجال المسرح، فجميع الأعمال التى كتبها وحولت إلى أعمال مسرحية ساعدت على نهضة المسرح المصرى والتى تعتبر أهم حركة ثقافية فى مصر فى تلك الفترة وبالطبع مع عدد كبير من رواد الحركة الثقافية بمصر. وبالنسبة للأعمال التليفزيونية فمثلما ساعد فى تطوير المسرح ساعد أيضا فى إدخال شكل جديد من الدراما التليفزيونية وتطوير الدراما فى مصر ومثلما أبدع مسرحيا أبدع تلفزيونيا فأعماله جميعها خالدة لا تنسى..

وتعقب الناقدة د. أميرة أبو الفتوح، على أعماله قائلة: أول تعارفنا على أعمال أنيس منصور الدرامية من خلال الشاشة كان من خلال مسرحية «حلمك ياشيخ علام» التى تعد من أنجح المسرحيات التى قدمت فى ذلك الوقت وتعتبر من المسرحيات المهمة فى مكتبة التليفزيون وحتى الآن عندما تعرض يحبها المشاهد ويندمج معها على الرغم من أنها قديمة ، وأيضا هذا الأمر ينطبق على الأعمال الدرامية فمسلسل «من الذى لا يحب فاطمة» كان من الأعمال الناجحة جدا حيث ناقش قضية مهمة للغاية وهى قضية هجرة الشباب وسفرهم للخارج والمشاكل التى كانوا يتعرضون إليها خلال سفرهم وتأثير ذلك على الأسرة ككل، حقق هذا العمل نجاحا غير عادى قدم بعده أنيس منصور عملا آخر متميزا وهو مسلسل «غاضبون وغاضبات» حيث كان أول المسلسلات ذات الحلقات المنفصلة التى يندمج معها المشاهد ويتابعها بكل شغف وحب، حيث كان المشاهد فى ذلك الوقت لا يعرف تلك النوعية من الأعمال الدرامية ولا يندمج معها فقد كان المشاهد يفضل الأعمال الدرامية المتصلة، ولكن مسلسل «غاضبون وغاضبات» حاز على إعجاب المشاهدين جميعا وهذا يعد تميزا ونجاحا فى حد ذاته...

وتقول الناقدة ماجدة خير الله: أعمال أنيس منصور الدرامية والأدبية قبل الدرامية كانت جميعها أعمالا متميزة للغاية لما فيها من فكرة تتم مناقشتها، فالمهم فى الأعمال الدرامية أن تحمل فكرة وقضية تناقش وتقدم بشكل مميز

وأيضا جميع أفكاره كانت أعمالا جديدة بمعنى أنها لم تكن متكررة وهذه الأعمال الفريدة كنا نأمل فى استمرارها وأعتقد أن هناك العديد من الأعمال التى كتبها من الممكن أن تحول إلى أعمال درامية وأعتقد أنها ستحقق أيضا نفس مستوى النجاح الذى حققته مسلسلاته، أيضا لا يمكن لأى مشاهد أن ينسى أحداً من هذه الأعمال لأنها لمست الأسرة المصرية، والدراما التى تلمس الاسرة المصرية والشعب المصرى لابد أن تنجح لأن المشاهد يشعر معها وكأنها تحاكى حياته ومشاكله، أيضا هناك شئ فى غاية الأهمية وهو أن هذه الأعمال الدرامية كانت تقدم بشكل بسيط تستطيع أية فئة من المشاهدين أن يندمجوا معها حتى الفلاح البسيط تصل إليه أفكارها بمنتهى البساطة والوضوح.

***

المطرب الشاب تامر حسنى من المطربين القلائل جدا الذين التقى بهم الكاتب الكبير الراحل أنيس منصور، بعد أن كتب عنه الأستاذ مقالا كاملا فى عموده اليومى بالأهرام «مواقف»، حيث اتصل به تامر، وطلب منه أن يتشرف بزيارته فى منزله ليشكره على المقال.

ويستعيد تامر ما حدث فى هذا اليوم، ويقول: «أنا فخور للغاية لأنى التقيت بهذا الكاتب الكبير والإنسان الجميل وجها لوجه، عندما طلبت أن أزوره فى بيته لكى أشكره على المقال الذى كتبه عني وأشاد فيه بموهبتى وشخصيتى، وعلمنى درسا لن أنساه، وما زلت وسأظل أعتبر هذا المقال وساما على صدري، وأهم من أى جائزة نلتها فى حياتي، ووجدته إنسانا بسيطا ومتواضعا، وخفيف الظل، فالابتسامة لم تفارق وجهه طوال لقائى القصير به، وأدهشنى بمتابعته لكل ما يدور فى عالم الموسيقى، سواء فى مصر أو فى الخارج، ونصحنى أن أخلص لفنى وأعطيه كل وقتى واهتمامى، حتى يظل مخلصا لي، وقال لى إن برى بأمى وعلاقتى الجيدة بها هى من أهم اسباب نجاحى وتوفيق الله لى ..وحين سألته..هل صحيح يا أستاذ أنيس أن صوتك جميل وأنك كنت مشروع مطرب واعد.. ضحك كثيرا.. وسألنى من أين عرفت هذا الكلام؟ فقلت له إننى قرأته فى إحدى المجلات، فوافق على كلامي، وقال لى :إن

الموسيقار الراحل محمد عبدالوهاب شخصيا أشاد بصوته، وكاد أن يغير مجرى حياته ويتجه للغناء، لكن الله سلم.

وقال تامر إنه يحتفظ بالمقال الذى كتبه العبقرى الراحل عنه وكتب فيه أنيس منصور: «عندما سمعت ورأيت الفنان تامر حسنى قلت للفنان الاستعراضى سمير صبرى، اهتم بهذا الشاب فهو موهوب. ثم بالأمس رأيت جانبا من اعترافاته فى (مصر النهاردة) مع الأستاذ خيرى رمضان، وأعجبنى اعترافه بأنه جاء من تحت جدًا .. وقد ساعده كثيرون على أن يظل فى نفس الجامعة وأن يكمل دراسته الموسيقية وأن يلعب على البيانو والجيتار وأن يظل مرتبطا بأمه حبا لها. هو يخطو وأمه تلاحقه بالدعاء أن يحبب فيه طوب الأرض.

أردت أن أعرف ما هو ومن هو الفنان الشاب الذى يحبه الشباب .. ماذا يحبون فيه .. هل لأنه فى حاله.. هل لأنه مجتهد فى الكلام واللحن والأداء؟ هل لأن الوسط الفنى حريص على تعكير المياه بين الفنانين وأنه أمسك لسانه؟ وكنا زمان نقول: يجب أن تكون روحك رياضية .. أى متسامحة .. وفوجئنا بأن الوسط الرياضى فاسد من فوق لتحت. وأنه رياضة بلا روح ولا أخلاق .. وظهور تامر حسنى لا يغير من الواقع الذى هو: بعد عبدالحليم حافظ لم يأت أحد لا مثله ولا قريب منه..

إذن ما الذى نسمعه من الأصوات الصغيرة. أكثر الأصوات الجميلة من المغرب وتونس ولبنان، أما الأصوات المصرية فقليلة، وبعد أم كلثوم جاءت أم كلثوم وسوف تبقى إلى أن يرزقنا الله بمثل صوتها أو قريب منه. وقد رضينا باللاتى يقلدنها .. أما هى وعبدالوهاب وعبد الحليم فلا نظير لهم. ولا يدعى الفنان تامر حسنى أنه بديل عن كل هؤلاء. إذن الشباب يحب أن يكون مثله الأعلى فنانا مجتهدا متواضعا بسيطا محبا لبلده ولأمه مؤمنا بأنه مازال صغيرا وأن الطريق أمامه طويل».

الكاتب الكبير أنيس منصور له العديد من الأصدقاء الفنانين والفنانات الذين ارتبط معهم بصداقات قوية وكان من بينهم سيدة الغناء العربى أم كلثوم. وفى أحد الأيام ذهب إليها أنيس منصور فى فيلتها الواقعة فى الزمالك لإجراء حوار صحفى فكان الحوار متبادلا بينهما فى حديقة الفيلا وكان هذا آخر حوار لأم كلثوم والذى تم نشره فى عدد خاص من مجلة آخر ساعة عن أم كلثوم بعد وفاتها فى ذكرى الأربعين بتاريخ ١٢ مارس ١٩٧٥..

***

أم كلثوم أذابت الناس فيها أو ذابت هى فى الناس فهى تغنى أو هم يغنون لها أو هى تصفق لهم وهم يغنون، إن صوتها سيبقى لمئات السنين متعة شرقية ووثيقة تاريخية فهى السيدة الوحيدة فى العالم التى تغنى الأغنية الواحدة فى ساعة أو ساعتين ، إن الأوبرا التى يشترك فى غنائها العشرات من المطربين المختلفى الاصوات لا تزيد على ساعة ونصف ساعة وأحيانا ساعتين تتخللها استراحات قصيرة أو طويلة ولكن أم كلثوم بفستان واحد ومنديل واحد ووقفة واحدة ومنظر واحد ولحن واحد وأوركسترا واحد وفى ليلة واحدة تستطيع أن تذيب الناس فى عرق ودموع...

فى بداية الحوار ضحكت أم كلثوم وسألتنى: أنت كنت تغنى.. والله غنى ياشيخ ..غنى والنبى خلينا نضحك شوية .

وأقسم وقتها أنيس منصور أنه قد تغنى لها.. وأقسم أن يروى لها كيف حدث ذلك؟!

قال أنيس: كنت فى فيينا من عشرين عاما وهناك سمعت أن مهرجانا للشباب قد انعقد وسألونى. قلت: مصرى. وسألونى طالب؟ قلت: نعم.. مع أنى كنت مدرسا للفلسفة بكلية الآداب.. ولكن شكلى فى ذلك الوقت بدا كطالب ودفعونى إلى الميكرفون وسألونى عن الحياة فى مصر وعن حرية الفتاة وعن الأدب والفن وإن كانت هذه زيارتى الأولى للنمسا فقلت الرابعة وأنها أعجبتنى وسوف أتردد عليها كلما جئت إلى أوروبا، ثم جاءت اللحظة الرهيبة وأحسست أننى أحد رجال السيرك وإننى يجب أن أقفز من فوق إلى حوض ماء بارد على ظهر حصان عندما قيل لى: هل تسمعنا النشيد القومى لمصر وفى هذه

اللحظة نسيت كل شيء ونشطت غريزة البقاء فى وجه العاصفة وانفتح فمى يقول: هلت ليالى القمر يحلى بنا السهر وقلتها بصوت شديد الحماس أو توهمت ذلك وأنزلونى ولا أقول أننى نزلت من فوق المنصة وجلست فى مكان لا أرى فيه أحداً إنما كل ماحولى أصوات غامضة ووجوه مبهمة وانا لا أعرف هل أنا موجود أو غير موجود...

أم كلثوم: أحب أسمع كيف فضحتنا عند الخواجات والله لازم أسمعك.. أنيس منصور: وقفت وقلت متحمسا كأننى أهتف فى مظاهرة «هلت ليالى القمر».

ضحكت أم كلثوم: لما أنت خوفت القمر بهذا الشكل طلع القمر؟ فقلت لها موقف آخر: غنيت فيه لها وقلت حدث ذلك فى اليابان فى جلسة ضمت عدداً من الصحفيين منهم الأمريكى والإيطالى والفرنسى والهندى وكان الذى دعانا رجل صينى وغنى كل واحد منا أغنية ولم تكن الأصوات جميلة ومطلوب من كل واحد أن يترجم لزملائه وتحشرجت الأصوات وتبعتها الضحكات، وإحنا معانا قرد ..

نظرت أم كلثوم مندهشة: ما هذا ؟

قال أنيس: صبرك.. وقلت: واحنا معانا قرد طالع فى ليلة برد وقبل أن تقاطعنى أم كلثوم قلت لها: لقد نظرت إلى جوارى فوجدت صاحب الدعوة كالقرد تماما وغير معقول أن أردد ورائك واحنا معانا بدر طالع فى ليلة قدر .. فضحكت أم كلثوم ضحكة عالية لم أر مثلها من قبل وأتصور أنها لم تضحك فى حياتها كمثل هذا الضحك..

انتقل الحوار بعد ذلك حول رأيها فى مطربات فى ذلك الحين..

* مارأيك فى سعاد محمد؟

** تلميذة فى مدرستى.

* وشادية؟

** صوتها ظريف.

* نجاة ؟

** صوتها حنون.

* وماذا عن فيروز؟

** صوتها فريد وهى محبوبة فى مصر تماما كما هى فى لبنان وفى كل البلاد العربية..

* لقد غنت فيروز أغنية يا جارة الوادى التى لحنها عبد الوهاب وسألنى عبد الوهاب عن رأيك فى الأغنية فما هو رأيك؟

** عبد الوهاب على رأسنا من فوق..

وبهذا السؤال انتهى الحوار المتبادل الذى جمع بين الكاتب الكبير أنيس منصور وكوكب الشرق أم كلثوم.



هذا حوار نادر جدا بين عملاق الصحافة والأدب، وقيثارة الطرب شادية، يكشف عن مدى ثقافة وذكاء وبساطة وخفة ظل، اثنين من نجوم الزمن الجميل..وإلى نص الحوار..

شادية: بداية أحب أن أتساءل هل أنت صحفى أم أديب؟

أنيس: وأنا أيضا عايز أسألك انت مطربة ولا ممثلة؟

شادية: أنا اللى بسألك ؟

أنيس: أديب مشتغل بالصحافة وانتى؟

شادية تضحك كثيرا وتقول: ممثلة اشتغل بالغناء.

شادية: سمعت أنك لم تذهب إلى السينما إلا عندما تخرجت من الجامعة هل هذا صحيح؟

أنيس: فعلا، كانت أول مرة اذهب فيها الى السينما فى عام١٩٤٧.

شادية: ماهو أول فيلم شاهدته؟ وما هو شعورك وأنت فى ذلك العمر وأول مرة تدخل سينما؟

أنيس: أنا كنت فى المنصورة وكنت تلميذا مجتهدا وكان كل تفكيرى عن التلميذ هو ذلك الطفل الذى يذهب إلى المدرسة ومن المدرسة للبيت وفى وقت فراغه يقرأ ويستذكر دروسه ولابد أن يكون الأول على المدرسة ، ولم يكن هناك من يخبرنى أنه من الممكن أن يلعب كرة أو يتفسح..

شادية : معنى ذلك أنك لم تقم باللعب وأنت صغير؟

أنيس: أبدا، فقد كنت مثل من يؤدى واجبه أو عمله فقط ، ولما ذهبت الجامعة كنت أيضا مشغولا بأن أتفوق وأكون الأول، وبعد تخرجى عام ١٩٤٧، قررت أن أذهب للسينما وكان شعورى وقتها مثل الشخص الذى يرتكب جريمة، ودخلت فيلم اسمه «غراميات كارمن» وحدث لى انبهار غير عادي ودخلته ثلاث مرات كل يوم أدخل لأشاهده، وكتبت عنه كثيرا، لأننى كنت مبسوطا منه جدا ومازلت مبسوطا حتى الآن، فهذا الفيلم كان بمثابة «الحب الأول» بالنسبة لى..

شادية: أنت كانت لك أفعال غريبة للغاية من ضمن هذه الأفعال أنك كنت قبل الجامعة تغنى فى أفراح اصدقائك فهل هذا صحيح؟

أنيس يضحك كثيرا ويقول: بالفعل فقد أحييت فرحين على السطوح، وأخذت مقابلا زهيدا وقتها للغاية لا يتناسب مع جمال صوتى!

شادية: كنت تغنى بمفردك أم معك فرقة تعزف لك؟

أنيس: لا.. كان معى صديق لى وهو مستشار حاليا.

شادية: مستشار؟!!

أنيس: نعم.. كان يعزف على العود!!

شادية: ماذا كنت تغنى؟

أنيس: أغانى عبد الوهاب مثل «ياوبور قولى» و«انت وعزولى زمان».

شادية: أعلم أنك تعشق عبد الوهاب.. ماذا كان شعورك عندما شاهدته أول مرة؟

أنيس: أول مرة كنت مع مأمون الشناوى فقد كانت هناك فتاة ريفية ترغب فى الغناء فذهبنا معا لعبدالوهاب ، عندما ذهبت له رأيت عبد الحليم حافظ يمسك عودا ويغنى «عاشق الروح» وكان وقتها «عبد الحليم» غير معروف، وعبد الوهاب كان أمامه يقول «ياسلام»، وبعدها دخلت الفتاة الريفية وغنت نفس الأغنية «عاشق الروح» وكان صوتها جميلا جدا ، وللعلم سبب ذهابى لعبد الوهاب هو أننى كتبت عنه مقالة هاجمته فيها..

شادية: يااااه.. على الرغم من عشقك له هاجمته!!

أنيس: نعم كالشخص الذى يهاجم نفسه!!، فمأمون قال لى أنا هاعرفك على عبد الوهاب. فقلت له: ياريت فأنا أتمنى أشوفه، وبعد ما جلست معه وانبهرت به وبشخصيته لم يمر أسبوعا حتى كتبت مقال آخر أطلب الغفران من عبد الوهاب لكتابتى المقال الأول الذى هاجمته فيها..

شادية: لماذا لم تستمر فى الغناء؟

أنيس: هاحكيلك موقف، مرة كان هناك فرح وتخيلت أنى معزوما به ودخلت أنا وصديقى وبدأت أغنى ووقتها كانت المعازيم مشغولة بالأكل ولم يلتفت أحدا لنا، وفوجئت بالمعازيم يحدفونا ويضربونا وطلعنا نجرى أنا وصديقى هذا، وبعدها قررت أن أترك الغناء..

شادية: سافرت لليابان؟

أنيس: نعم عام ١٩٥٩.

شادية: كنت تبعث مقالاتك من هناك وكانت فى منتهى الروعة، لأنك وصفت كل بلد زرتها وصفا دقيقا، لدرجة أننى عندما ذهبت أنا لليابان لم أشعر أنها بلد غريبة نتيجة لوصفك الصادق لها، قرأت لك مؤخرا وصفا للزواج أنه كالأكل المسلوق ليس به ملح أو فلفل وليس له طعم، فهل هذا وصفا صادقا؟
أنيس: لا.. لم أقل كذلك.. أنا قلت أن الزواج كالأكل الصحى.. صحى ولا طعم له.

شادية: قلت أنك عندما تكون بمفردك تغنى ما هى آخر أغنية غنتها؟

أنيس: أغنية فايزة أحمد «غلطة واحدة».

شادية: أكيد صادفك مواقف أثناء سفرك وتجوالك حول العالم إحكى لنا موقف ما تتذكره جيدا؟

أنيس: أتذكر موقف يهمك شخصيا، فى «جاكرتا» عاصمة إندونيسيا كان هناك امتحانا للطلبة الإندونسيين الذين يلتحقون بالأزهر، ولجنة الامتحان كانت مكونة من الملحق الثقافى ومنى ومن السفير، وكان الملحق الثقافى يسأل الطلبة مثلا هل تحفظ شيئا من القرآن فيتلو الطالب بعض الآيات ، والطالب

الآخر هل تحفظ شيئا من الأحاديث فيجيب الطالب، حتى صادفنا طالب تم سؤاله هل تحفظ شيئا من التواشيح؟ فقال: نعم ثم بدأ يغنى «خمسة فى ستة بتلاتين يوم.. أغنيتك».

شادية: والطالب نجح؟!

أنيس: نجح لأنهم اعتقدوا أنه يغنى تواشيح!!

***

أنيس منصور - والملقب بفيلسوف الكلمة- كان مادة خصبة للباحثين بالجامعات لبصماته الفكرية والثقافية وحسه المرهف وكان من أهمها تقديمه لمجلة مصرية مختلفة الشكل والملامح والإخراج وهى مجلة أكتوبر والتى حققت شهرة وانتشارا واسعا ليس فى مصر فقط بل فى الوطن العربى والعالم. فقد تصدرت أعمال الكاتب الكبير أنيس منصور العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه خلال الـ ٣٠ عاما الماضية ليس فقط فى الجامعات المصرية بل تناولته رسالة دكتوراه من جامعة السوربون بباريس.

وكان من أهمها الرسالة العلمية والتى تقدمت بها تلميذته «سميحة إدريس» الصحفية بمجلة أكتوبر حول الإخراج الصحفى لمجلة أكتوبر والتى خصصت فيها فصلا كاملا عن أنيس منصور لتحصل بها على درجة الماجستير.

فقد كشفت نتائج هذه الدراسة أن أنيس منصور كان يشترك فى تحرير ١٨.٩٪ لكل ما يكتب فى مجلة أكتوبر وأنه كان يحرر بنفسه ٧.٥٪ من موضوعات المجلة.

كما كشفت الدراسة عن الكاتب الراحل أنه ظل يكتب افتتاحية مجلة أكتوبر بنفسه لمدة ٩ سنوات كاملة.

وأكدت الدراسة التى قامت بها تلميذته سميحة إدريس أن أنيس منصور نجح منذ العدد الأول لصدور مجلة أكتوبر- ككاتب مصرى وعربى بشهرته الكبيرة وثقافته المتعددة فى مختلف المجالات - أن يحقق الذيوع والانتشار لمجلة أكتوبر ليس فقط فى مصر بل فى العالم العربى والأجنبى كله. وأثبتت الدراسة أن أنيس فتح صفحات مجلة أكتوبر للعديد من الكتاب

البارزين من خارجها من التيارات الفكرية المختلفة مثل توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف إدريس وجلال كشك وعبد الله الجبرى وغيرهم.. وهذا يحسب له.

واستطاعت الدراسة أن تلمح بصمات أنيس منصور الفكرية والثقافية والفنية وكذلك حسه الفنى المرهف فى تقديم مجلة مصرية مختلفة فى الشكل والمضمون والملامح الإخراجية وهى مجلة أكتوبر.. وقد ساعده على ذلك خبرته الطويلة فى عالم المجلات، حيث شغل رئاسة تحرير العديد من المجلات وعمره ٣٠ سنة فقط. فقد شغل رئاسة تحرير مجلة «الجيل» ثم مجلة «هى» التى كان يرأس مجلس إدارتها الكاتب الراحل الكبير على أمين ثم رئاسة تحرير مجلة آخر ساعة ثم مجلة أكتوبر ثم رئيس تحرير مجلة وادى النيل ثم رئيس تحرير جريدة مايو.

وقد ساعدته هذه الخبرة الطويلة فى رئاسة تحرير العديد من المجلات أن يقدم أسلوبا جديدا متحررا (مودرن) فى إخراج مجلة أكتوبر بعيدا عن الأساليب الكلاسيكية التقليدية وهذا لم يكن رأى الدراسة فقط، بل كان رأى العديد من كبار رجال الإخراج الصحفى فى المجلات المصرية.

وكشفت الدراسة أن الكاتب الكبير أنيس منصور يتميز عن غيره من الكتاب بأنه صاحب أسلوب خاص كان مزيجا بين الفلسفة والسياسة والفكر والأدب والثقافة الراقية.

وكان يقدم فى مقالاته الافتتاحية كل أسبوع معرضا فنيا رائعا بأسلوب شائق وعبارات سهلة راقية فى كل مجالات المعرفة امتزجت فيها السياسة بالفلسفة والأدب والثقافة.. عكست سعة اطلاعه وثقافته الواسعة فى كل المجالات. وقد تعرضت مقالاته الأسبوعية فى مجلة أكتوبر لكل المشاكل والقضايا على الساحة السياسية والثقافية والاجتماعية بل العلمية ليس فقط فى مصر، بل وفى العالم العربى والأحداث العالمية.

وكان من خلال الافتتاحية الاسبوعية يعرض وجهة النظر المصرية الوطنية الخالصة، حيث تحولت هذه الافتتاحية فى الكثير من الأحيان إلى أحاديث صحفية ساخنة مع الرئيس الراحل السادات بلغت ١٢ حديثا، بالإضافة إلى

أحاديث ساخنة مع العديد من الشخصيات السياسية العربية والعالمية. وقد خص الرئيس السادات الكاتب الكبير أنيس منصور بكثير من الأخبار والمعلومات التى انفردت بها مجلة أكتوبر عن غيرها من المجلات والصحف اليومية، حيث أراد الرئيس السادات أن يقدم بمجلة أكتوبر وقتها عام ١٩٧٦ صحافة عربية مصرية جديدة تقدم الثقافة إلى جانب التغطية الإعلامية الصادقة لما يجرى فى مصر من أحداث، حيث أحاطت مجلة أكتوبر القارئ بها بلا «روتوش»!

وكان الرئيس السادات قد كلف أنيس منصور رئيس تحرير مجلة آخر ساعة- وقتها- بمهمة إصدار مجلة جديدة اسمها «٦ أكتوبر» وقام بتعيينه رئيسا لتحريرها وأسند إليه رئاسة مجلس إدارة دار المعارف وذلك فى ١٦ أبريل ١٩٧٦. وكان فى ذهن السادات أن تقوم مجلة أكتوبر بدور كبير فى السوق الصحفية العربية والمصرية بدلا من الصحف والمجلات اللبنانية التى كانت تغزو الاسواق الصحفية فى مصر والعالم العربى فى ذلك الوقت وبالتحديد مجلة «الحوادث» اللبنانية!

وكان السوق فى ذلك الوقت مليئا بأنواع كثيرة من المجلات وبالتالى كان الأمر ليس سهلا أن تخرج مجلة اخرى.

وعندما خرجت مجلة أكتوبر كانت هى الأولى فى ٢٠ عاما حيث لم تصدر أى مجلة عربية كبرى من عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٧٦. وقد وجدت الدراسة أنه خلال هذه الفترة الكبيرة لم تصدر فى مصر مجلة جماهيرية تجمع بين المضمون السياسى والاجتماعى وتكون فى نفس الوقت فى مستوى المجلات الراسخة ذات التاريخ مثل مجلات «المصور» و «آخر ساعة» و«روز اليوسف» باستثناء مجلة «صباح الخير» التى صدرت خصيصا عام ١٩٥٥ لتخاطب الشباب.

وبالتالى كانت مهمة إصدار مجلة أكتوبر صعبة جدا ولكن السادات دعمها أدبيا ومهنيا واقترح أبوابا وخص مجلة أكتوبر بالعديد من المقالات كان أهمها «الجليد يذوب بين موسكو والقاهرة»!

واشترك السادات مع رئيس تحريرها أنيس منصور فى اختيار اسم المجلة

حيث وقع الاختيار فى البداية لتكون اسمها «٦ أكتوبر و١٠ رمضان» لكن إسماعيل فهمى وزير الخارجية وقتها اقترح أن تكون اسمها «أكتوبر» ووافق السادات على هذا الاقتراح ليصير اسمها «مجلة أكتوبر».

وقد اختار أنيس منصور أسرة تحرير مجلة أكتوبر كما تقول سميحة إدريس فى دراستها اختار حوالى ٨٠ محررا وسكرتير تحرير ومصورا ومراجعا. وقد بلغت الغيرة الصحفية والحقد الصحفى وقتها كما جاء على لسان أنيس منصور أن البعض أكد أنها ستفشل ولن يصدر منها إلا عدد واحد فقط ثم ستتوقف.. وعلق أنيس منصور على هذا فقال كأننا نصدر مجلة من دار أجنبية معادية رغم انها مجلة قومية !!

وكانت ميزانية مجلة أكتوبر وقت صدورها لا تتعدى مليونى جنيه (٢ مليون جنيه)

وقد صدرت أكتوبر بعد ٦ أشهر فقط من الأعداد التجريبية وهذه المدة تعد غير كافية لإصدار مجلة كبيرة مثل مجلة أكتوبر. وقد قام أنيس منصور – وفقا لما تقوله الدراسة – بالاطلاع على العديد من المجلات العالمية مثل مجلتى «الأوبروبيو» و«أبوكا» الايطاليتين ومجلتى «الدسيبلنج» و«اليورتا» الألمانيتين وتوقف بين أبواب وموضوعات هذه المجلات وكان لمجلة أكتوبر أن تكون ذات طابع خاص.وقد كان تشكيل مجلة أكتوبر.. أنيس منصور رئيسا لمجلس إدارة دار المعارف ورئيسا لتحريرها وفؤاد ابراهيم العضو المنتدب ود. صليب بطرس المدير العام ثم ٣ مديرين للتحرير وهم المرحومون حامد دنيا وعبد العزيز صادق وجميل عارف، بالإضافة إلى إقامة ٥ أقسام وهى التحرير والتصحيح والمعلومات والخطوط والسكرتارية الفنية.

وأكد أنيس منصور أن المجلة استطاعت أن تضع قدميها وسط الصحافة المصرية والعربية لأنها قامت على احترام عقل القارئ لأن القارئ لا يحب الكاتب الساخر او الحاوى لأن القارئ يريد أن يفهم وتقدم له الحقيقة وهذا ما حرصت عليه مجلة أكتوبر من العدد الأول لصدورها.وقد فتح أنيس منصور صفحات مجلة أكتوبر لكل الكتاب فى مصر والعالم العربى لتكون شاهد عيان على كل القضايا المصرية والعربية وكل هموم العصر.. فكانت مجلة إيجابية.

وقال أنيس منصور وقتها وفقا لما ترصده الدراسات إننا بمجلة أكتوبر نثقف الصغير ونناقش الكبير ونسلى المراهق ونعطى الأمل لليائس. وكان يعمل على أن تقدم «أكتوبر» أحدث ما تقدمه دور النشر من أحدث الكتب وما تقدمه الملاعب للعبة الملايين «كرة القدم».. فقد حرص أنيس منصور أن تكون مجلة أكتوبر معبرة لكل أفراد الأسرة.

وقال أنيس منصور عندما صدرت مجلة أكتوبر: كانت كالفتاة الجميلة الصغيرة التى تخرج للحياة وقد ارتدت أكثر من فستان فى آن واحد ووضعت المجوهرات فى أصابعها وأذنيها فإنها أرادت أن تكون الكمال والجمال معاً. وقد تعلمت الفتاة الجميلة أن الجمال والبساطة فى الألوان والاقتصار فى المجوهرات مع الوضوح والحرص على الصدق والإخلاص طريقها لأن تدخل قلوب الملايين.

وقد أثبتت الدراسة أن مجلة أكتوبر عندما صدرت فى ذلك الوقت كانت سبباً فى إشعال المنافسة بين كل المجلات المصرية مما ترتب على ذلك أن كل المجلات قامت بالتغيير فى شكلها ومضمونها.

وقد بلغ توزيع مجلة أكتوبر خلال أول سنتين من صدورها (١٩٧٦ إلى ١٩٧٨) ٢٠٠ ألف نسخة أسبوعية، حيث خرجت فى ٩٢ صفحة من الورق الفاخر فى ذلك الوقت.

وقد أثبتت نتائج الدراسة التأثير الكبير لشخص الكاتب الكبير أنيس منصور رئيس التحرير فى ذلك الوقت فى الشكل والمضمون والأسلوب والصياغة والعناوين الجذابة وحتى فى كلام الصور.

دكتوراه من السوربون:

ولم تتوقف الرسائل الأكاديمية عند ذلك بل تناولته رسالة دكتوراه من جامعة السوربون بباريس حملت عنوان هل ساندت مجلة أكتوبر سياسة الحكومة والتى نالت بها د. زهيرة البيلى درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف عام ١٩٨٤ لتصبح مجلة أكتوبر عالميا أول مجلة بعينها على مستوى الدراسات العليا من أكبر جامعة فى العالم.

وقد اختصت الدراسة فصلاً كاملاً عن أنيس منصور، حيث تقول: إنه بعد أن أصدر الرئيس أنور السادات قراراً جمهورياً بإنشاء مجلة جديدة لمواجهة التحديات التاريخية والعالمية التى تشهدها الساحة السياسة وبعد أن اختار أنيس منصور ليصبح أول رئيس تحرير لهذه المجلة وأحد أهم الكتاب الصحفيين كان عليه مواجهة تحديات كبرى بدءا من كونها أول مجلة مصرية تصدر من حوالى ٣٠ عاماً وانتهاء باختيار المحتوى الشكلى والمضمون ولصعوبة وظروف المناخ العام السائد من حيث أن كل الصحف والمجلات كانت رسمية حرص الكاتب الكبير أنيس منصور منذ الأعداد الأولى ألا تنحاز المجلة إلى السلطة على حساب الشعب والقارئ حيث تولى بنفسه دراسة نوعية المقالات بحيث أصبحت المجلة ذات وزن وتقلدت مكانة خاصة رسخت حواراً قائماً ومستمراً بين القارئ والسلطة السياسية خاصة بعد حرب أكتوبر وبذلك يكون قد نجح «أنيس منصور» فى بلورة تلك العلاقة بين المجلة والرأى العام لذا تميزت مهمة رئيس التحرير بالمهمة الخطيرة خاصة عندما يتعلق الأمر بمسؤوليته امام سياسة الحكومة .. وان يتوافق فى نفس الوقت مع طبيعته الإنسانية من حيث الصدق والاخلاص فى نقل الحقيقة.

وقد اتضح من خلال الدراسة والبحث لمقالات أنيس منصور أنه يساند الحكومة ولكنه فعل هذا ببراعة الكاتب والمفكر الذى وجه كل ذلك فى بؤرة الحرية واللامحدودية.

وفى مقال بعنوان « إنهم أعداء المجتمع الحر» هاجم بشدة الحكومة والوزراء قائلا: «هؤلاء الوزراء لايتمتعون بروح الفريق.. وأنهم أشخاص عظام وجدوا أنفسهم فى قاعة اجتماع واحدة .. وكل وزير تكون مهمته أن يقلب وزارته رأساً على عقب دون مراعاة لما تم من انجاز قبل توليه الوزارة.. فإما أنهم ثوريون وإما أنهم يؤمنون بالفردية ولهذا السبب هم بعيدون عن الجماهير .. وغير مقربين من الشعب .. إنهم عاجزون عن الإحساس بالناس ولا يسعون إلا إلى تغيير واجهة الوزارة التى طالما حلموا بها».

كان أنيس منصور يعرف جيداً إن الصحفيين يكتبون لتظل ردود الفعل ملكاً للشارع ولذا فتح أنيس منصور صفحات مجلة أكتوبر للعديد من الأقلام المعروفة من مفكرين وأدباء وباحثين ليشاركوا أسرة التحرير فى صياغة نوع فريد من التناغم ارتبط وحقيقة الأمر ارتباطاً غير مباشر مع إمكاناته الأدبية والفكرية والفلسفية لتصبح مجلة أكتوبر بفضل حاسته الصحفية من كبرى مجلات الشرق الأوسط والعالم العربى.

***

أنيس منصور عرف بقربه من العديد من الفنانين وأهل الفن،وخاصة من العمالقة ونجوم زمن الفن الجميل، وتحول العديد من مؤلفاته إلى مسرحيات وأعمال تليفزيونية، ومن أشهرها مسلسلات «من الذى لا يحب فاطمة» بطولة أحمد عبد العزيز وماجدة زكى وشيرين سيف النصر وجيهان نصر وإخراج أحمد صقر، و«غاضبون وغاضبات» بطولة صلاح ذو الفقار وشريف منير وشيرين سيف النصر، و «حقنة بنج»، و«اتنين اتنين»، و«هى وغيرها»، و«هى وعشاقها»، «العبقرى»، و«عريس فاطمة»، و«يعود الماضى يعود». فى البداية قال النجم الكبير محمود ياسين: شهرته وتاريخه وزحام الحياة الثقافية والفنية والإعلامية ومساهماته عبر الصحافة وتاريخه الكبير العظيم لاشك أنها تركت أسى شديد فى قلوب أجيال كثيرة».

وأضاف قائلا: «تعاملت معه على المستوى الشخصى، وكنا نتقابل ونتنقل بين المهرجانات سويا، والعلاقة بيننا بدأت فى مهرجان العراق ببغداد، وتوطدت العلاقة كثيرا، أما على المستوى الفنى، فلم نلتق فى أى عمل، لكن كانت علاقتى به طيبة للغاية من خلال الثقافات والنشاطات والمهرجانات، فمن خلال منصبى السابق كمدير للمسرح الفنى لمست كيف كان أنيس منصور متابعا جيدا للحركة المسرحية، وكان متابعا لكل العروض وحضوره كان مهمًا بالنسبة لنا».

أما النجم عزت العلايلى فقال: «أنيس منصور» كان إنسانا بمعنى الكلمة، وفيلسوفا بمعنى الكلمة أيضا، وأديبا له تاريخ عريض فى الأدب والعلم، وتاريخه يغنيه عن التعريف، فمنصور قيمة أدبية وفلسفية لا تعوض ومايقال لن

يوفيه حقه ولا تاريخه.. أنيس المفكر والأديب والفيلسوف كان «كشكول رهيب» من الإنسانيات، وكانت له نظرة فنية جميلة، اقتربت منه فوجدت فيه خصال إنسانية عظيمة.

وقال نجم الكوميديا محمد سعد، أحد أبطال مسلسل «من الذى لا يحب فاطمة»: هذا المسلسل كان «وش» السعد على ممثل اسمه محمد سعد، ومن يومها عرفنى الجمهور، واختارونى بعدها لأشارك فى فيلم «الطريق إلى إيلات»، وأنا أقدم أحر التعازى للشعب المصرى كله، بل وللعرب وللعالم أجمع، فى وفاة أديب وصحفى لن يتكرر مرة أخرى،وكاتب بحجم أنيس منصور، ومصر فقدت أهم كتابها، والأهم من ذلك هو أن الراحل يعتبر ورقة اخرى تسقط من شجرة العباقرة والكبار فى مصر والعالم العربى، لذلك نحن نعزى أنفسنا ونطلب له الجنة والمغفرة.. أنيس منصور ذلك الأديب الغنى عن التعريف كان له فى الأدب والتاريخ والفلسفة والفنون المختلفة باع طويل قدمه فى كتابات وأعمال بجانب أدب الرحلات الذى كان له باع كبير فيه، بجانب كتبه التى استحوذت وشكلت وجدان وثقافة كثير من الأجيال القديمة والشابة.

من جانبه تحدث الفنان أحمد عبدالوارث قائلا: شاركت فى روايته «من الذى لايحب فاطمة» وهى عمل فنى ناجح تطرق إلى موضوع لم يتم تناوله من قبل، وهو قضية الهجرة للخارج ومدى المعاناة التى يعانى منها الكثيرون فى الخارج، وهذا كان موضوعاً شائكاً وقتها وحقق نجاحا باهرا وقت عرضه..وعلى المستوى الشخصى تقابلت معه مرات قليلة وأشاد بأعمالى وهذا كان وسامًا على صدرى وحزنت كثيرا لفراقه.

ومن المخرجين الذين تعاملوا مع إبداعات الراحل الرائع فى أكثر من عمل درامى، المخرج أحمد صقر، والذى يحكى عن تجربته معه فيقول : رحم الله كاتبنا الكبير أنيس منصور الذى سنفتقده كثيرا، فهو صاحب القلم الذهبى، وقد قدمت له قصتين من أروع ما كتب وهما «من الذى لا يحب فاطمة»، و«غاضبون وغاضبات»، حققتا نجاحا ليس له مثيل، وأنا أميل بشكل عام إلى تقديم هذه النوعية من الأعمال، وأقصد الدراما الاجتماعية المغلفة بالكوميديا.. وقد كان كاتبنا العظيم أنيس منصور بارعا جدا فى كتابة هذه

النوعية من الدراما ، والعملان قدما العديد من الممثلين إلى الشاشة ، ولذلك فهو كاتب سنخسره جميعا لأنه صاحب مدرسة خاصة به فقط. وتقول الفنانة ماجدة زكى:أنيس منصور صاحب مدرسة خاصة لم ولن تتكرر، فهو كاتب عبقرى للغاية، له العديد من المؤلفات الرائعة التى لا يمكن أن ننساها وستظل خالدة ، قدمت له عملا من الاعمال المميزة التى كانت لها فضل فى رسم طريقى الفنى، وهو مسلسل «من الذى لايحب فاطمة» وطبعا لا يمكن أن أنسى هذا العمل الذى حقق نجاحا غير طبيعى عند عرضه! أما الفنان أحمد عبد العزيز فيقول :بداية أقدم التعازى لشعب مصر كله لفقدان أنيس منصور، فهو إحدى أشجار مصر المثمرة، وقد كان له لون مميز فى الأدب، فهناك جيل كبير من الشباب تربوا على كتاباته الأدبية، ولا يمكن أن أنكر فضله فى تقديمى لجمهورى بشكل مميز، فمسلسل «من الذى لا يحب فاطمة» ، كان من المسلسلات التى قدمتها فى تلك الفترة وحققت نجاحا كبيرا، ويعد دورى فى هذا العمل إضافة لى ولمشوارى الفنى، وأعتز به جدا، فقصة العمل كانت مميزة للغاية وأحدثت ضجة عند عرضها دراميا، أيضا لكاتبنا الكبير العديد من الأعمال التى لا يمكن أن ننساها مثل مسلسل «غاضبون وغاضبات»، والذى حقق نجاحا مدويا عند عرضه، وكان لكاتبنا اعمال كثيرة مميزة .

ويقول المطرب الفنان محمد ثروت: إنه كاتب من العيار الثقيل، لا يعوض أبدا ، وقدمت له مسلسل «هى وغيرها»،الذى شاركتنى بطولته الفنانة صابرين، وكنت أستمتع كثيرا بالتمثيل فيه، لأن القصة كانت مميزة للغاية، وهو صاحب قلم خاص به وحده لن يتكرر، لانه كان له أسلوبه المميز، وبشكل خاص كنت أقرأ العديد من مؤلفاته، والعمود الذى اعتاد على كتابته وهو «مواقف» فى جريدة الأهرام، مصر ستفتقد أحد روادها فى عالم الثقافة والأدب، رحمه الله.

عمر هاشم.. بات مغفوراً له

عقب انتهاء صلاة الجنازة بمسجد عمر مكرم تدافع أحباب وعشاق الأستاذ أنيس منصور لكشف الغطاء، وتقبيل الوجه، وتوديعه إلى مثواه الأخير بمقابر الأسرة بمصر الجديدة، عندها سارع العارف بالله فضيلة الشيخ د. أحمد عمر هاشم – الذى صلى عليه بمضاعفة الدعاء ، ورجاء الرحمة والمغفرة ، وقراءة الفاتحة سرًا وعلانية طالبًا من المصلين الإخلاص فى القول والعمل، خاصة أن المتوفى أصبح وديعة بين يدى الله سبحانه.

انتظرت حتى خرج جثمان الفقيد الراحل، وانتحيت بالعارف بالله جانبًا ، وسألته عن سر مشاركته، وإمامته المصلين فى جنازة الأستاذ أنيس منصور ، فقال كلمة واحدة تسمرت عندها أقدام كل من سمعها أو كان موجودًا فى باحة المسجد ، وهى أن الأستاذ أنيس منصور كان مخلصًا فى عمله، ولم يكن عالة على أحد، ورغم كبر سنه ظل يأكل من عمل يده حتى آخر يوم فى حياته، ومن أكل من عمل يده بات مغفورًا له.

أنيس منصور الفنان

لم يترك أنيس منصور شيئا عن نفسه إلا كتبه فى حياته، ولذلك فمن الصعب أن تجد شيئا جديدا تقوله أو تكتبه عنه، فقد كان يتنفس كتابة، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة عن عاداته أو اهتماماته أو قراءاته أو علاقاته بالرؤساء والأدباء العالميين والمحليين إلا وكتبها.

وعن علاقته بالفن والفنانين، تحدث الأديب والصحفى الكبير الراحل فى أكثر من برنامج إذاعى وتليفزيونى وحوار صحفى عن هوايته للغناء، ولقائه الشهير بموسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب، وإصراره على الغناء أمامه، ورد فعل عبد الوهاب المجامل، وإشادته بصوته، لدرجة أنه فكر أن يترك الجامعة والصحافة ويحترف الغناء.

وحكى أيضا عن مغامراته فى الغناء فى أفراح الأصدقاء، مقابل بعض المال، وكيف طرده المعازيم وضربوه لرداءة صوته، وهى رواية تذكرنا بحكاية تكاد تكون متطابقة مع رواية شبيهة حكاها العبقرى الراحل د.مصطفى محمود عن نفسه، حين قال إنه كان يغنى ويعزف على الطبلة فى الأفراح، عندما كان ما؟يزال طالبا فى كلية الطب.

والفحوى أن كلاً من هؤلاء العمالقة، كان يحمل فى داخله عقل مفكر وروح فنان تلهمه، وتجعله يترك كل شيء ويجرب نفسه فى الإبداع الفنى، وهكذا قدم لنا العقاد روايته الوحيدة التى لم تتحول بعد إلى فيلم أو مسلسل، وكتب طه حسين رواياته الخالدة الاجتماعية والدينية التى تحولت جميعها تقريبا إلى أعمال فنية، وخاض مصطفى محمود هو الآخر تجربة الكتابة الدرامية من المسرح إلى التليفزيون وحتى السينما، وهو نفس ما فعله أنيس منصور، الذى كان أقلهم حظا مع السينما، حيث لم يتحول أى عمل له إلى فيلم، وأكثرهم توفيقا فى التليفزيون، حيث حققت رواياته وأعماله القصصية التى تحولت إلى مسلسلات نجاحا كبيرا، وخصوصا مسلسلى «من الذى لا يحب

فاطمة»، و«غاضبون وغاضبات»، فيما لم يقدم له المسرح سوى عمل واحد هو «حلمك يا شيخ علام» بطولة نجم الكوميديا الراحل أمين الهنيدى. أما ما لا يعرفه الكثيرون عن أنيس منصور، فهو أنه كان أيضا ناقدا فنيا من الطراز الرفيع، ومقالاته فى نقد وتحليل بعض الأعمال والظواهر الفنية، والموجودة فى عدد من كتبه، تستحق أن تقرأ وتدرسّ.

لقد كان الراحل المبدع موسوعة ثقافية وفكرية وفنية وصحفية وإنسانية متحركة على قدمين، وكان صحفيا يهوى الأدب، أو أديبا يحترف الصحافة، كما قال لسيدة الشرق أم كلثوم، معرفا نفسه، فى حوار له معها..أما أصدق ما قيل فى وصفه، فهو ما قاله لنا الكاتب الصحفى الراحل صلاح الدين حافظ، حين كان يدرس لنا المقال الصحفى بكلية الإعلام..وقال عن عمود أنيس «مواقف»..أنت تستطيع أن تختلف معه، لكنك لا تستطيع أبدا أن تتخطاه أو تتجاهله أو تمنع نفسك من قراءته..

مجذوب يبحث عن أنيس منصور

فى عزاء الأستاذ أنيس منصور دخل مجذوب من مجاذيب السيدة زينب والحسين ، وقاطعنا قائلًا: ما شفتوش الأستاذ أنيس منصور، وعندما رأى المجذوب علامات التعجب والغرابة تطل من العيون قال: «إنتم مش عارفينه» الأستاذ أنيس الكاتب الكبير «بتاع» مواقف العمود المعروف فى الأهرام.

عندما قلنا له: البقية فى حياتك.. الأستاذ تعيش أنت،

فقال: يعنى إيه؟ يعنى إيه تعيش إنت؟

قلنا له: مات.

فقال : مات ليه؟

فتعجبنا ورددنا له: من غير ليه.

فقال: حاجة غريبة ، إنتم عالم مجانين بصحيح، الأستاذ أنيس يموت معقول؟

وتركنا المجذوب، وانصرف إلى حال سبيله، ليؤكد للجميع أن فناء الجسد ما هو إلا بروفة عملية أو امتحان حقيقى لقيمة الإنسان.

المجنون قدم رسالة مفادها – كما أكد عليها الحضور – أن هناك من يموت بجسده، ولكنه يظل باقيًا بأعماله وكتاباته ، فتحيا الأجيال على ذكراه ، من باب أن الذكر للإنسان عمر ثان، وهناك من يعيش ويترك ويدعى أن له دورًا ويملأ الدنيا ضجيجًا ، وهو فى الحقيقة فى عداد الأموات ، وعجبي!!

رئيس مجلس الادارة
عبد الفتاح الجبالى



رئيس التحرير
محمد عبد الهادى علام

عدد الجمعة

٢٠ من ذى القعدة ١٣٤٢هـ - ٢٨ أكتوبر (تشرين أول) ٢٠١١م



أنيس منصور
ذلك الإنسان

أنيس منصور هو آخر أهرامات الصحافة المصرية منذ ميلاد الأهرام أقدم الصحف المصرية والعربية الذى خرج إلى الحياة قبل١٣٥ سنة.. ومن عنده قول آخر فليتفضل..

ومهما قلنا وعدنا وزدنا.. كم كتابا كتب؟

كم مقالا سطر بقلمه؟

كم زعيما سياسيا رافق وعاش معه بفكره وقلمه؟

كم رحلة إلى كل بقع الأرض سافر وعاش وكتب؟

كم كتابا ترجم إلى العربية؟

كم مسرحية سياسية وكوميدية وتراجيدية كتب؟

كم مؤتمرا ثقافيا كان هو النجم الأول على منصته؟

كم صحيفة أو مجلة رأس تحريرها فى حياته؟

كم عمودا صحفيا كتب وسطر فى الصحف العربية وآخرها عموده الذى عاش معنا أكثر من نصف قرن على صفحات الأهرام؟.. إلى جانب عموده اليومى فى جريدة الشرق الأوسط التى تصدر من لندن؟

كم صحفيا صغيرا أخذ بيده.. وكم كاتبا وكم كاتبة دفع إلى الأمام فى أول

كتاب أو قصة أو ديوان شعر؟

لو حاولت أن تحصى ذلك كله ..لفشلت فشلا ذريعا لأنك سوف تجد نفسك لن تحصى فى ليلة مقمرة عدد نجوم السماء!

أنيس منصور عاش من أجل كلمة حق.. ومات دفاعا عن مداد كلمة وسطور فكره الحر الذى لا يميل ولا يلين..

آخر كلماته لى قبل رحيله بأيام كن نفسك.. ولا تكن غيرك.. ولا تعرض قلمك فى سوق النخاسة!

وعندما سألته: وما هى سوق النخاسة هذه؟

قال: إنها سوق يبيع فيها الخلق كل شيء.. وأى شيء.. بداية من الحق والخير والجمال ونهاية بالضمير!

وعندما سألته: أين تقع هذه السوق؟

قال: البس نظارتك لتراها.. فأنت تعيش فيها.. ومن لا يراها فهو أعمى القلب والإحساس والضمير!

رحم الله أنيس منصور الذى كان وسيظل أنيس القراء

***

شأن البحارة الذين يستشعرون الخطر ويصارعون الموت عندما يشتد التيار ويتعالى الموج ساعة الخطر، فيقومون بوضع أسرارهم فى زجاجة.. فماهى رسائل البحر التى كتبها أنيس منصور حينما استشعر النهاية.

فهو دائما كان يردد عبارة شكسبير الخالدة لا يوجد ملك أمام حاشيته، والمعنى أن كل إنسان مهما علا شأنه وفرضت عليه قيود لابد أن يتحرر منها أمام رجاله الأقربين.

فعلاقته بنبيل عثمان سكرتيره الخاص استمرت خمسة وأربعين عاما. كان خلالها موضع أسراره وسكرتيره الأمين الذى ينتمى إلى عهد التقاليد المرعية بين الاقتراب من صاحب المنصب إنسانيا والابتعاد بالمسافة التى لا تسمح

بتجاوز مهام المنصب، وربما كان الوحيد فى مصر القادر على قراءة خط الكاتب الكبير وفك طلاسمه. أما حارساه الخاصان فكان لهما شأن خاصا.. حيث كان يعتبر شبل وأشرف من أفراد أسرته. يحسن معاملتهما ويتبسط معهما فى مودة وأبوة، ويرصد هذا الحوار اللحظات الأخيرة فى عمر الأستاذ، ويؤكد المقربون الثلاثة أنه لم يكن يهدف إلا الوضوح.. ظل أسلوبه فى الصحافة والحياة متسما بالنضارة والحيوية المستمدة من شخصيته. رصدوا أبلغ لحظات الصدق فهو القائل فى إحدى قصصه أنا اليوم على فراش الموت والميت لا يكذب، لم تكن حياته بالطبع صوابا بلا خطأ، فهو لا يحب المزايدة والعنتريات، لكنه كان يختلط بالمحامين والشهود والمتهمين ثم يصوغ حيثياته فى العلن على مسمع من الجميع.غالبه القدر فهو الرحالة الذى جاب الآفاق بفكره وسافر إلى معظم دول العالم ففرضت عليه الإقامة الجبرية فى المستشفى ومنعت عنه الزيارة، فهو شأن كل أصحاب الهامات الكبيرة يحملون على كواهلهم وفى رءوسهم طاقات عقلية يشق على أجسادهم النحيلة تحملها.. كان آخر حوار له فى ملحق الجمعة فى رمضان الماضى نصحنا بعدم الانقياد للأحداث. بل صنعها، لكنه لم يمد ذراعه لكى يبعد الموت بالمقاومة والعلاج المستمر. كان يقول لقد قضى العقاد الطبيب على العقاد الأديب، وما أشبهه بأستاذه ومعظم الكبار الذين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم. أستاذى العزيز قلت إن الذين صنعوا التاريخ لم يتسع وقتهم لكتابته لكنك كتبت الفصل الأخير بنفس القدر من الإمتاع والمؤانسة، وكشفت لنا عن المسافة الفاصلة بين حياة الكاتب وأعماله، وكأنك كنت تستمع لهاتف من هواتف الغيب ويبقى من المرء الأحاديث والذكر.

فى إحدى المرات شاكست الأستاذ لأنه كان يتندر من أن العقاد كان يحدثهم فى صالونه عن أحدث الاكتشافات العلمية فى الوقت الذى كان يعلو فيه صوت وابور الجاز فى مطبخه وقلت له: إن الآلة الكاتبة العتيقة التى يستخدمها سكرتيره الخاص تشبه وابور الجاز قياسا على الكمبيوتر ومشتقاته من الأجهزة، فضحك هو والأستاذ نبيل عتمان وقال لي: المهم الهدف والجوهر ومحتوى المقال.. هذا ما يصل للقارئ.. والأمر كذلك بالنسبة لنبيل فهو إنسان دمث الخلق يتصف بالأمانة والدقة فى عمله.. والصدق وأمنت على

كلام الأستاذ فنبيل عثمان بالفعل له من اسمه نصيب فهو مستودع أسراره.. ذكرته بهذه الواقعة فابتسم وسألته عن بداية علاقته بالأستاذ فأجاب: عملت معه منذ عام١٩٦٦ حيث كنت أعمل فى قسم الشيكات بحسابات أخبار اليوم وكان رئيسا لتحرير مجلة آخر ساعة وكان مفترض أن أعمل معه بصفة مؤقتة لمدة أسبوعين فقط لكن العلاقة استمرت ما يقرب من خمسة وأربعين عاما.. كنت منذ صغرى مأخوذا بشخصيته.. أتعمد مشاهدته حين يدخل بهو الجريدة وأصعد معه فى الأسانسير وفى البداية صدمنى خطه حين أعطانى مقالاته مواقف لمدة أسبوع لكتابتها وكانت تنشر فى الأخبار فى العمود المقابل لعمود مصطفى أمين فاكتشف أن الحروف عبارة عن طلاسم وكلها مجردة من النقاط والهمزات وأحيانا تكون متشابكة لكن حبى لشخصه وإعجابى بكتابته دفعانى لفك شفرة كل حرف. وعلمت فى مرحلة مبكرة من عملى معه أنه يكتب بسرعة فائقة وينزلق قلمه على الورق كالريح إذا راودته فكرة ما لأنه يخشى انفلاتها وكان يردد أمامى عبارة الأفكار شوارد أى تتسرب وتلاشى إذا لم يقم الإنسان بتسجيلها وفى بعض الأحيان كان لا يستطيع قراءة كلمة بخطه عند المراجعة فيستعيض عنها بكلمة مرادفة..

وقد اعتدت أن أطلب منه مقالات قبل أن أستنفذ الرصيد المطلوب.. لأننى كنت أتحسب الظروف الطارئة غير المتوقعة كالمرض أو السفر المفاجئ وأحيانا كانت تخونه الذاكرة فى اسم شاعر فيترك مكانه شاغرا ويطلبنى فى التليفون لاستكمال أى شئ مطلوب الاستفسار عنه من طرفى أو من طرفه ثم يغلق الخط على الفور فهو أسرع من يغلق التليفون.. كانت أجواء العمل بأخبار اليوم تتسم بالجلسات الفنية وكان مكتبه دائما عامرا بالفنانين والمطربين الذين كانوا يحرصون على إسماعه ألحانهم وكلماتهم بدءا من عبد الحليم وسعاد حسنى حتى كبار الأسماء اللامعة فى مجال الفن.. كان يأتى إلى مكتبه بآخر ساعة مرتين يوميا قبل أن تستفحل الأزمة المرورية من التاسعة صباحا حتى الثالثة ظهرا ومن السادسة حتى التاسعة والنصف مساء كان قليل الكلام بطبعه لا يبيح بأسراره الشخصية أبدا لكنه يضحك فى جلساته ويطلق النكات.. أصدقاؤه الحقيقيون لا يتعدون أصابع اليد.. ومفتاح شخصيته على المستوى الاجتماعى كان يتجلى فى حرصه على ترك مسافة ما بينه وبين الناس مهما

وصلت العلاقة إلى أقصى درجات الأريحية.. ومن يتجاوز هذه المسافة كان يسقطه من حياته ويلغيه ويخبرنى بعدم السماح له بالدخول مرة أخرى والتعلل بأى عذر.. لديه فراسة غير عادية وحدس صادق فهو يستطيع فهم الإنسان الذى أمامه دون أن ينطق بكلمة واحدة وكانت قرون استشعاره لا تخطئ أبدا فيتنبأ لبعض الصحفيين بالتألق ويقول عن البعض الآخر إنهم فاشلون.. ذهبت معه إلى المقابر فى أرض الجولف لأول مرة منذ عشرين عاما وشاهدته وهو يبكى كالطفل الصغير على والدته وكان يقرأ لها القرآن ويحرص على زيارة قبرها كل خميس.. وفى هذه المقبرة دفنت والدته وشقيقه عبد العزيز وشقيقته إخلاص التى كانت تعمل مرشدة سياحية(لغة فرنسية) وبسؤالى عن تشخيص مرض الأستاذ يجيب الأستاذ نبيل وفقا للتقرير الطبى الصادر عن المستشفى أن الكاتب الكبير دخل المستشفى يوم ١٤-١٠-٢٠١١وكان يعانى من التهابات رئوية حادة واضطراب بوظائف الكلى وزيادة فى سيولة الدم فوضع على جهاز التنفس الصناعى منذ ١٨-١٠-٢٠١١ونتيجة لحرصه على استمرار كتابة عموده مواقف ومطالبتى له بالمزيد فقد توافر لدى مخزون أفادنى كثيرا عندما مرض بشدة فى الفترة الأخيرة.. كان يزور المنصورة كثيرا ويمكث لمدة يومين ويحرص على زيارة شوارعها متفقدا أطلالها القديمة التى عايشها فى صباه بعد مرور هذه السنين.. فهو حساس للغاية دموعه حاضرة وأخلاقه رفيعة لا يغلط فى إنسان أبدا.. متواضع إلى حد أدهشنى البعض ولكنه لديه قدر من الكبرياء والاعتزاز لا تخطئهما العين.. ابتسامته كانت من أجمل فضائله لكل المحيطين به ودائما يشعر بالامتنان إزاء زوجته فكانت تقوم بتهيئة المناخ العام له لكى يبدع ويكتب فهى حبه الأول والأخير.. عمله كان أهم شئ فى حياته ويستأثر بمعظم وقته.. سألته يوما عن الحب وهو أكثر من كتب عنه فقال لى عبارة استشعر معناها الآن إلى أقصى درجة الحب به جانب كبير من الاعتياد وهو يصل إلى مداه إذا اختلط بالعادات.. وشرح لى أن العادة تطبع الإنسان وتستوقفه والحب هنا يصبح جزءا من كيان الإنسان إذا فقده فقد جزءا من نفسه وهذا ما أشعر به الآن تماما بعد وفاته.. رحمه الله فقد استثمر كل لحظات حياته وحولها لوقود فنى وأدبى فكتب عن أحزانه وآلامه والأهل والأصدقاء والسياسة.. كان دائما على أهبة السفر والترحال بعقله قبل جسده وكان لديه ما

يقرب من خمسين جوازا للسفر.. حاسة الشم لديه كانت قوية جدا.. فهو مرهف الإحساس بصفة عامة.. وفى إحدى زياراته لملجأ أيتام تعلق بيديه طفل صغير ولم يتركه بدوره وحين علم أن اللقطاء يقيدون فى شهادة الميلاد بدون اسم الأب وفى أماكن تواجدهم(تحت الكوبرى مثلا) سعى لتغيير اللوائح بكافة الطرق وكان سعيدا للغاية بهذا الإنجاز الإنسانى الذى سيحسب له بإذن الله فى ميزان حسناته.. كان قريبا من المواطن العادى وكان عشقه للوضوح من أجله وظل مؤمنا بأن رجل الشارع لديه حس صادق بفائدة الثقافة أكثر من المثقفين لأنه يبحث عن كل ما هو واضح ومفيد وهذا هو جوهر الثقافة من وجهة نظره وبعد أن انصرف المنظرين والمتفذلكين عن عموم الناس كان يهتم برسائل القراء ولا يستهين بالنقد أو الانطباعات ودائما كان يقول لى القارئ على صواب دائما شأن الزبون تماما.. وكثيرا ما كتب عن أشخاص يرسلون إليه أعمالهم ولم يشاهدهم فى حياته بينما يتعمد عدم الكتابة عن شخصيات معروفة إذا لم يكن العمل يستهويه أو شعر بإلحاح من قبل صاحبه.. تركته يوم الخميس بصحة جيدة وشعرت بنظرات الرضا فى عينيه وأنا أخبره عمن سألوا عنه لأن الزيارة أصبحت ممنوعة.. رحمه الله كان يحب سورة الرحمن وقد قرأت على قبره أثناء مراسم الدفن.. أما نعشه فكان يسير بسرعة ذكرتنى بخطواته السريعة حينما عاصرت عنفوانه وأسأل الأستاذ نبيل عتمان.. ماذا تعلمت من هذا الرجل العظيم ؟ أجاب: أشياء عديدة فقد عملت معه لمدة خمسة وأربعين عاما تثقفت من خلال كل ما كتبت.. وتعلمت منه ثقافة حياتية لا توجد فى بطون الكتب.. وعرفت كيف وصل لهذه المكانة التى تبوأها طوال هذه السنين.. والسبب أنه لم ينزلق يوما إلى أية معركة تستنفذ طاقته جزافا فكان لا يرد على مهاجميه ويعمل فقط.. ولكن آخر معارك العمر كانت مع المرض واستسلم فيها أيضا لقضاء الله وقدره.. رحمه الله بقدر ما أسعد الملايين ويقينى أن مصر ستشعر بفقدانه وستتضاعف عظمته كلما مر الزمان.

محمد شبل كان يعمل معه منتدبا من الحراسات الخاصة بوزارة الداخلية منذ خمسة عشر عاما وأشرف طايع منذ أحد عشر عاما ويستهل الأخير حديثه قائلا: كل منا كان يعمل معه بالتناوب يوما بعد يوم.. وبمرور السنين ارتبطنا به للغاية وكان يعتبرنا من أفراد الأسرة فهو إنسان رائع من النادر أن يتكرر فأنا

صعيديا وكنت سريع الانفعال.. فتعلمت منه التأنى فى الغضب ومراجعة النفس.. وأسأل شبل عن اللحظات الأخيرة لأنه كان معه وقت حدوث الوفاة فيقول: ورديتى معه كانت تبدأ بالمستشفى من الثامنة صباحا حتى الثامنة مساء وكان عبده الطباخ يبيت معه ليلا وفجر الجمعة منذ الساعة الثالثة صباحا طلب من عبده الاتصال بى لكى أحضر إلى المستشفى فتلكأ عبده فى تنفيذ الطلب دون أن يشعره لكى أخذ قسطا أكبر من النوم.. وفى الخامسة والنصف صباحا طلبني.. فأخبرته أننى سآتى على الفور.. كان وجهه هادئا وكان فى كامل وعيه وأنبوب التنفس الصناعى فى فمه فجلست بجواره وبدأت القراءة فى المصحف وبدأت بسورة الكهف لعلمى بفضل قراءتها يوم الجمعة ثم سورة ياسين وأخيرا سورة مريم.. وكان من عادته منذ أن اشتد عليه المرض أن يمسك بيدى أنا أو شبل وبمجرد أن بدأت القراءة شعرت أنه أكثر سكينة وهدوءا وظهر الارتياح على قسماته وابتسم ابتسامة جميلة ثم أغمض عيناه واستسلم للنوم الذى جفاه طوال الليل وبعد مرور نصف ساعة بدأ جهاز النبض يسجل انخفاضا بمؤشرات مرتفعة.. فهلعت إلى التليفون وطلبت الطبيب المعالج وجاء د. جعفر رجب وطلبا منى الخروج من الغرفة ولم تكد تمر ثوان وكان قضاء الله نافذا.. رحمه الله لم يكن يرغب فى الذهاب إلى المستشفى منذ أن اعتلت صحته وحدث ذلك تدريجيا فمنذ عدة سنوات سقط فى باريس على الأرض وانفجرت إحدى الكليتين إضافة إلى شكواه من متاعب العمود الفقرى وكان يحقن علاجيا فى باريس ولا يخبر زوجته خوفا عليها من القلق على صحته لأنها كانت أيضا مريضة فيقول لها: أنه ذاهب للسعودية مثلا لحضور مناسبة أو مؤتمر.. يضيف أشرف: حين بدأت المتاعب تظهر على أحباله الصوتية وبدأ صوته يضعف كثيرا لم نكن نسمع جيدا إلا إذا اقتربنا منه.. وجاء طبيب التخاطب ولقنه بعض العبارات التى كان يجب أن يتمرن عليها يوميا ما لا يقل عن ثلاث مرات لكنه لم يكن لديه صبرا وكنا نضحك معه على هذه الكلمات وهو أولنا ويقول:(اسى يسي) كانت ثقته تامة ولأقصى حد بدكتور جعفر رجب والذى حاول المستحيل معه لكى يذهب إلى المستشفى وكان الأستاذ يرفض رفضا قاطعا.. ربما كان يستشعر قرب النهاية ويريد أن يموت فى بيته ويستكمل شبل الحديث قائلا: حين جاءت سيارة الإسعاف يوم دخوله

المستشفى قال لى فى غرفة نومه: أنها النهاية.. أنا حموت يوم الأربعاء قبل وفاته بثمانية وأربعين ساعة طلب منى إحضار ورقة وقلم وكتب كلمة سجن وكانت آخر كلمة يكتبها.. فحاولت أن أعرف ماذا يعنى بها فهز رأسه وأشار بعينيه بصورة شبه دائرية إشارة للمكان وللغرفة ويوضح أشرف هذه الكلمة الأخيرة بصورة أكبر قائلا: حينما وضع على جهاز التنفس الصناعى وضعوا شريطا لاصقا على فمه وكان يحاول نزعه فاضطروا لربط يديه وكان ينظر إلى ويستحلفنى بعينيه أن أفك هذا الرباط وكنت أكاد أبكى وأنا أقول له: لم أرفض لك طلبا ولكننى لا أستطيع وقلبى يكاد يتمزق من هول الموقف لعن الله المرض وتنساب دمعة من عين أشرف.. ويحاول شبل أن يعيدنا لجوهر هذا الإنسان النبيل الذى كان يتبسط معهم فى الطعام والحديث ويشاركهما الهموم وفى أحلك لحظات حياته كان هو الذى يداعبهم ويضيف شبل: وهو فى المستشفى كان يطلب منى الاتصال ببعض الشخصيات.. وكأنه يريد أن يودعهم ولم يكن صوته مسموعا والطرف الآخر لم يكن يسمع بوضوح.. وكثيرا ما كان يقول لى ونحن فى المستشفى يللا نروح وحين أصبت بالتهاب فى اللوز طلب منى أن أنام على السرير المجاور له.. منذ عام تقريبا كان يفاجئنا ويستدعينا لكى نتصور معه ويقول صور قبل الوفاة ونرد عليه أطال الله عمرك لم يكن يحب النكد وحين كان بكامل صحته يشاهد المحطات الكوميدية والأفلام العلمية وكان حريصا جدا فى مواعديه.. إذا ذهبنا إلى مكان ما قبل الموعد المحدد.. يطلب منا اللف بالسيارة بعض الوقت لكيلا يفاجئ الضيف بقدومنا المبكر ولو خمس دقائق.. وكنا لا نغيب عن فكره إذا دعى إلى مأدبة طعام ويخبرهم بوجود حراسه معه خاصة فى رمضان. وأسألهما: متى انقطع عن متابعة الأخبار ؟

أجاب أشرف: حين تدهورت صحته فى الآونة الأخيرة كنا نخبره بالأحداث إذا كان هناك ما يستحق وعندما أخبرته بنبأ اغتيال القذافى اندهش وأشاح بيده وشعرت أن لديه تعليقا هاما على هذا الخبر يود الإفصاح عنه وكان يقول عن بشار الأسد إنه(سفاح) ويوم الأربعاء حين أخبرته بفوز الزمالك على المحلة رفع يده وهى موصولة بأنبوبة الأكسجين وصافحنى وابتسم بالرغم من أنه أهلاوي.. كان مرتبطا بكلبه ريكو ويقون ساخرا: ربما كان الوحيد الذى

سيحزن على موتى بصدق ثم يبتسم ويداعبه.. ويوم السبت الماضى حين ذهبت إلى المنزل بمجرد أن شاهدنى الكلب أخذ يقفز فوق أكتافى بصورة عجيبة لم يفعلها من قبل وكأنه يريد التأكد من حدسه وهل توفى صاحبه بالفعل وسبحان الله بمجرد أن ربت عليه بحنان بالرغم من عدم حبى للاقتراب من الكلاب إلا أنه شعر بالهدوء واستسلم للقضاء والقدر.. وأود الإشادة بدور الأستاذ محمد عبد القدوس فهو أول من زاره بالمستشفى صبيحة يوم السبت وحين منعت عنه الزيارة كان دائم السؤال ويوم وفاته وقف معنا فى تجهيزات الدفن.. بل إنه دفنه بيده وكان اسبقنا جميعا.. فقد الأستاذ فى الآونة الأخيرة شهيته عن الطعام نتيجة لكثرة الأدوية لكنه لم يفقد أبدا إيمانه بالعلم وفعل الخير حتى الرمق الأخير ويلتقط شبل أطراف الحديث: كان يحرص على إرسال مساعدات شهرية لبعض معارفه بالقاهرة والمنصورة وكان على صلة ببعض أفراد عائلته ولم ينقطع عنهم كما يشاع فوالدته رحمها الله السيدة عديلة الباز من عائلة الباز بالمنصورة وله أقارب يصلونه.. لكنه كان حريصا كشخصية عامة على عدم وجود استثناءات تمس اسمه الذى حفره بالعرق والجهد والأرق عبر هذه السنين.. كان يقوم بعمل أرشيفه الصحفى بنفسه ولديه ملفات معنونة يعود إليها من آن لآخر.. كان متفائلا منشرحا بثورة يناير فى البداية ولكن عندما كثرت الاعتصامات والمليونيات ومهاجمة المجلس العسكرى بدأ يشعر بالقلق من انحراف مسارها وأسألها عن كتابه عن الرئيس السادات والذى يعد بمثابة وثيقة تاريخية والذى لم يصدر فى عهد مبارك لدواع سياسية فما هو مصيره أجاب شبل أنه موجود فى فيلته بالهرم وحين سألته لماذا لم يصدر بعد الثورة.. أجابنى الأستاذ: ربما اعتبرته الدولة تراثا ولم أفهم مغزى كلامه بصورة تامة.. رحمه الله تعلمنا منه التمهل وعدم التسرع فى الحكم على الأشياء.. والمرونة أيضا فمن الممكن أن تستمر حياة الإنسان فى أصعب الظروف ويتقبلها دون أن يفقد إيمانه بالله أبدا فكان رحمه الله لديه نزعة إيمانية قوية عصمته من اليأس فاستسلم لقضاء الله بنفس راضية مطمئنة.

جدى الحبيب و «بـاب اللعبة»

رثتك أقلام كبيرة كاتبًا وفيلسوفًا وأديبًا وبكتك صديقًا ومبدعًا وأستاذًا عظيمًا ، لكنى أرثيك أبا وجدًا ، وأبكيك قلبا فاض حبًا ، وحنانًا، وسندًا لنا جميعًا ، قلمى الصغير يأبى أن يطاوعنى ، وأنا أكتب عن رحيلك، فما زلت لا أصدق أننى سأدخل بيتك، فلا أجد ابتسامتك تستقبلني، ولا أسمع صوتك الحنون يسأل بحب عن أحوالى ويمنعنى بقصص وحكايات وتجارب ، تعلمت منها كثيرًا ، لقد كان بينك أنت وجدتى ملاذى الآمن وأنا طفلة صغيرة، أتذكر عندما كنت أتصل بك فى مجلة أكتوبر، وتخرج من اجتماع التحرير لترد علي، وأقل لك: «إن الدادا زعلتني» ، فتضحك وتقول لي: «لمى هدومك وأنا جاى أخدك» ، فألملم لعبي، وأنتظرك حتى تصطحبنى ، قبل أن أدخل المدرسة كنت أظن أن لى أبوين: رأفت جوهر، وأنيس منصور حتى دخلت المدرسة وصدمت بأن كلا منا له أب واحد، فقررت وكنت فى الرابعة من عمرى وقتها أنك ستكون لى «بابا اللعبة» ، وقلت لك ذلك ، فضحكت ، وقلت لى أنا راضى بذلك، فوداعًا أيها الأب والجد، والأستاذ والمعلم ، إن قلبى يعتصر ألما على فراقك ، لقد رحلت عنا ، لكنك ما زلت حيا فى قلبى أنا ، وفى قلوب أحفادك محمد ومحمود وأحمد وشريف وأنيس الصغير.

أنيس منصور على خشبة المسرح

لو كان أنيس منصور بيننا ، وسمع نبأ موتـه، لـسارع عـلى الفـور، وأمطـر محدثه بوابل من الفلسفة التى قامت على فكـرة المـوت ، وكيـف كـان أسـتاذه العقاد يخشى الموت، وكيف استقبل سقراط خبر موته بـشجاعة ، وراح يـسرد اللحظات الأخيرة فى حياة سقراط وهو يتجرع الـسم تنفيـذًا لعقوبـة الإعـدام ، حين قال لتلاميذه : لا تحزنوا وقولوا فقـط أنكـم تـوارون فى التـراب جـسدى فقط، وأن كلماته الأخيرة كانت غامضة وساخرة ، حـين أخبـر كراتيوانـا أحـد تلاميذه أنه مدين بدين لسيكييوس ، وأوصاه أن يدفع هذا الدين، وسوف يتذكر كتبه التى تتحدث عن الذين هبطوا مـن الـسماء والـذين عـادوا إليهـا ، وكيـف يموت الناس فى التبت والهند وقبائل أفريقيا ؟ وماذا يفعلون بجثـثهم؟ وسـوف يتساءل : هل يموت الناس حقًا ، وبالطبع سوف ينسى أنه مات.

هاجم الكثيرون أنيس منصور لعلاقته بالسلطة وخاصة بالرئيس السادات ، ولهم الحق دون شك ، ولكنى دائمًا أنسى مواقفـه الـسياسية، وأقـرأ مواقفـه فى الأهرام من خلال العمود اليومي.. ورأى البعض أنه سطحي، وأرى أنه مثقـف موسوعى اختار أن يكون كاتب الناس التى فى المقاهى والشوارع والمـدارس ، يحدثهم عن الفلسفة والأدب والفن والسياسة بأسلوب بسيط وسـهل، ويتـرك النخبة للنخبة ، ومنذ أن قرأت أنيس منصور فى سن مبكرة وحتى حين تجاوزت كتبه على المستوى المعرفى أرى أنه مرحلة مهمة وحالة خاصة فى الثقافة العربية ليست على صورة المثقف التقليدى الـذى نعرفـه وهـم كُثـر ، ولكـن المثقـف الشعبى الذى يريد أن يمنح معرفتـه للجميـع ، يحـدثهم عـن الوجـود والعـدم وسارتر وهيدجر.

ربما تشطح مخيلته فينسج الحكايات حول هؤلاء ، وهى حكايات شيقة ، وأذكر أننى قرأت له مقالًا عن هيدجر فى أخبار اليوم ، ووقتذاك كان يكتب عـن عظماء ١٨٨٩م بمناسبة أننا فى عام ١٩٨٩، وراح يتحدث عـن أبـى الوجوديـة

هيدجر ، وبدأ بالولد الصغير هيدجر الذى كان يعمل فرانًا مع أبيه ، وأنه دائمًا ما يحرق الخبز لأنه يفكر فى الوجود والعدم أمام الفرن ، ويسرح مع النار.

وبالطبع فيما بعد ذكر كتبه واهتم بنداء الحقيقة .. يومها كنت فى الجامعة ، وبحثت عن كتب هيدجر وقرأتها ، وما زلت أعيد قراءتها ، وبعد سنوات سافرت إلى ألمانيا ، وحدثت أصدقائى عن هيدجر الفران، فضحكوا جميعًا من القصة لأنها غير حقيقية ، واعتبروها نكتة، كذب أنيس منصور ورحبت أنا هيدجر الفيلسوف العظيم، الذى مازلت أعيد قراءته مرات ، ويحلو لى أن أتخيله الصبى الصغير الذى يحرق الخبز ويفكر بالوجود والعدم.

أنيس منصور شخصية درامية ، أو قل بطل مأساوى اختار أن يكون كما يجب أن يكون وليذهب العالم وقواعده إلى الجحيم، بطل مأسواى ولكنه يتحكم فى الأقدار، وكأنه يعيش على خشبة المسرح أو أن الدنيا بالنسبة له فضاء مسرحى ولزامًا عليه أن يؤدى كل يوم عرضًا مختلفًا للجمهور ، لقد مارس فى بداية حياته الغناء ، وظنى أنه لو استطاع الرقص لفعل، وسافر وقرأ وكتب، وفعل كل شيء، فالحياة بالنسبة له أفعال والثقافة أيضًا ، وأذكر ما كتبه عنه أستاذه لويس عوض حين تحدث عن هذا التلميذ فى كلية الآداب قسم الفلسفة أنيس منصور والذى كان الجميع فى انتظاره ليكون أستاذًا فى الفلسفة لنبوغه ، وخاصة بعد أن عين معيدًا فى نفس القسم، وكان لويس عوض قد سافر إلى بريطانيا فترة طويلة ، وعاد ليجد أستاذ الفلسفة رئيس تحرير وصحفيًا مشهورًا ، وقرر أن يلتقيه ويسأله لماذا هذا التحول؟

وأثناء اللقاء الذى كان فى وسط المدينة التف الشباب حول أنيس منصور ليوقع لهم على الأوتوجراف ولم يعرف أحد لويس عوض.. الذى قال بالطبع : لم أسأله لماذا ترك الجامعة؟ وعرفت أنه اختار طريقه ، ليس هناك أنيس منصور واحد بل مجموعة.. منها عاشق الفلسفة الذى حولها إلى خبز يومي، وقارئ التاريخ والرحالة، وكاتب القصة والناقد والمؤلف المسرحى والمترجم أيضا لعدد من كتاب المسرح الكبار ، كل هذا صنع أسلوب أنيس منصور الخاص فى الكتابة، فلو حذفت اسمه من كتابته ستعرف دون عناء أنه هو . وكان غرام أنيس منصور بالمسرح لا يقل عن عشقه للفلسفة حيث كتب خمس مسرحيات ،

أشهرها : حلمك يا شيخ علام ، وقُدمت على خشبة المسرح من بطولة أمين الهنيدى وعقيلة راتب، وهى كوميديا تجمع بين الواقعية والفانتازية من خلال الشيخ علام الذى يغفو فيرى المستقبل ، بالإضافة إلى أربع مسرحيات أخرى هى (الأحياء المجاورة.. من قتل مين؟ جمعية كُل واشكر ، كلام لك يا جارة) ، وترجم للكاتب المسرحى السويسرى فريدرش دورينمات ، هى وعشاقها، الشهاب، رومولوس العظيم ، هبط الملاك فى بابل ، وزارة فى سويسرا ، وأجرى معه حوارًا طويلًا ، ويدين القارئ العربى لأنيس منصور بمعرفة أعمال دورينمات ، وأيضًا مواطنه السويسرى ماكس فريش الذى ترجم له مسرحية أمير الأراضى اليوم ، وترجم للفرنسى جان جيرودو مسرحية من أجل سواد عينيها ، وللأمريكى تنسى وليامز مسرحية فوق الكهف ، وأخيرًا لأرثر ميللر مسرحية ما بعد السقوط الذى يتناول فيها حياة زوجته مارلين مونرو وقصة انتحارها وترجمها أنيس منصور باللهجة العامية المصرية ، ووضعها فيما بعد فى كتاب ما بعد السقوط لجيردو ، والشهاب لدورينمات تحت عنوان كلهم سقطوا، ووضع مقدمة توضح فكرة السقوط فى المسرحيات الثلاث: ناهيك عن كتاب كرسى على الشمال ، وهو دراسات ومشاهدات ، ولم يكن غريبًا اهتمام أنيس منصور بالمسرح إلى حد الهوس به، لأننى كما ذكرت هو نفسه شخصية مسرحية ، يعيش دائمًا على خشبة المسرح مع الأضواء وتصفيق الجماهير ، ولكنه مسرح دون ستار يعمل دائمًا ، ولم يسدل هذا الستار إلا برحيله.

عزيزى أنيس منصور

نص الخطاب السرى من مصطفى أمين إلى أنيس منصور

عزيزى أنيس:

إنك ستتولى رياسة تحرير مجلة «الجيل» ، ولا تتصور أننى أكتب لك خطاب تهنئة.. إننى أعرف أكثر من غيرى ما هو منصب رئيس التحرير.. إنه أكبر «خازوق» فى الصحافة ، ولا أريد أن أهنئك بالجلوس فوق الخازوق ، إن رياسة التحرير هى عرق يبذل ، ودم يسكب ، وأعصاب تحترق ، إنه منصب لا يعرف العطلة الأسبوعية ، ولا الأجازة السنوية ، ولا ساعات محددة للعمل.

إن رئيس التحرير هو صحفى لمدة ٢٤ ساعة .. يأكل وهو صحفي، وينام وهو صحفى ، ويعلم وهو صحفى أيضًا.. إنه مزيج من مخرج السينما وقائد فرقة أوركسترا ، واستاذ فى جامعة ، ومتردوتيل فى فندق وبواب فى عمارة ، وترجمان للسياح وبهلوان.

فكما أن مخرج السينما يجب أن يوزع أدوار القصة على عدد من الممثلين الممتازين ، ويختار لكل شخصية الوجه الذى يصلح لها، فكذلك يجب على رئيس التحرير أن يوزع على المحررين أدوارهم وأن يحرص على أن يغير الوجوه ويبدلها ، فإن القارئ مثل جمهور السينما لا يمل أن يرى كوكبًا واحدًا يتولى البطولة.

مصطفى أمين

قرية الأستاذ .. على العين والراس

فى الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضى كانت قرية نوب طريف التابعة لمركز ومدينة السنبلاوين مسقط رأس أنيس منصور منسية كغيرها من القرى ولكن بعد اهتمام محافظة الدقهلية بقرى المشاهير تم تطوير الأبنية التعليمية فيها بإنشاء مدارس الابتدائى والإعدادى والثانوى بنين وبنات، كما يوجد بها ٩ مساجد ووحدة صحية وسنترال وجمعية خيرية لتنمية المجتمع وتشتهر القرية بصناعة صناديق السيارات المفتوحة والنصف نقل. إبراهيم الطنطاوى رئيس الوحدة المحلية التابعة لها القرية أكد لأكتوبر أن قرية أنيس منصور على العين والرأس كغيرها من القرى ولكن ستكون لها منزلة خاصة لكونها قرية الأستاذ أو فيلسوف البسطاء، وتعهد بأنه سيرفع تقريرا إلى السيد رئيس مجلس المدينة لإطلاق اسم الأستاذ على مراكز الإنتاج فى المحافظة.

كُتاب الشيخ سيد..

«سربون» أنيس منصور

وفى رحلة بحثنا عن شيخ الكتاب الذى حفّظ الأستاذ القرآن قابلتنا شقيقته الحاجة كريمة محمد السيد سيدة كبيرة فى السن فتحت لنا الكتاب الذى وصفه الأستاذ فى إحدى لقاءاته التليفزيونية بأنه جامعة السربون وقالت: أنا عارفة أنيس كويس وكان أشطر واحد فى الكتاب، وأخى قال عنه كلاما كثيرا قبل موته، وأكد أنه حفظ القرآن فى أقل من سنتين ولكن أنيس كان ولد شقى وبيعمل مقالب فى «العيال» الصغيرة وبكت قائلة: الكتاب مغلق بعد وفاة شقيقى وأتمنى أن يعود كما كان ولكن العين بصيرة واليد قصيرة.

أما البيت الذى تربى فيه الأستاذ فمازال على حاله حتى الآن وهو يعد من البيوت القليلة التى مازالت بالطوب اللبن، وهو عبارة عن طابقين ومن الحقائق الثابتة أن محمد منصور والد أنيس منصور اشترى البيت بالطوب اللبن وأعاد بناءه بالطوب اللبن أيضا، وفى النهاية تركه وذهب إلى القاهرة.

الرئيس يمازح أنيس قائلًا : لو كنت مكان عبد الناصر كنت قتلتك لكن ممكن ألفقلك قضية حشيش!

كيف تم أول لقاء بين رئيس الجمهورية وأنيس داخل مصعد أخبار اليوم؟!!

أكبر صحفى إنجليزى يطرده السادات من مصر لأنه هاجم أنيس منصور!!

إسرائيل تقدم أربعة احتجاجات رسمية ضد ما يكتبه أنيس فى مقالاته!!

الرئيس السادات لا يرتاح فى المجالس الخاصة إلا لوزيره وصحفى واحد.. عائشة راتب وأنيس منصور!!

****

الكاتب الكبير أنيس منصور كان أبرع من يكتب الحكايات عن غيره.. لكنه أبخل من يكتبها عن نفسه! رغم العديد من الأسرار والخبايا التى تمتلئ بها حياته، وصداقاته وعلاقاته بوجه عام!

علاقته بأنور السادات ـ مثلا حكاية مثيرة! من بدايتها وحتى نهايتها.. منذ التقيا لأول مرة داخل "أسانسير "أخبار اليوم.. وحتى التقيا آخر مرة داخل غرفة عمليات مستشفى المعادي.. كان أنيس منصور فى أول لقاء طليق اللسان.. لكنه فى اللقاء الأخير فقد القدرة على الكلام.. صعب أن ترى رئيس الدولة الذى كان منذ لحظات ملء الأسماع والأبصار فى العالم كله جثة هامدة.. ممزقة ..استباحها الرصاص.. وأكل من لحمها!

وما بين اللقاءين حكايات وخبايا أذاع أنيس منصور القليل منها ..بينما الكثير لم يزل فى مخزن ذكريات الأستاذ الكبير!.. بعضه تفوح منه رائحة الحشيش!.. وبعضه يؤكد أن ما جمع بين السادات وأنيس منصور كان حبا وإعجابا متبادلا!!.. وهذه بعض الأسرار والحكايات!!

الرئيس والوزيرة والصحفي!

جمع اللقاء بين الثلاثة ..السادات وأنيس منصور والدكتورة عائشة راتب وزيرة الشؤون الاجتماعية.. وطالما أن اللقاء يضم أنيس منصور فلابد من وقفات وقفشات وتصحيحات تاريخية وفلسفية وأدبية!.. أما الدكتورة عائشة فقد كانت تتميز برصانة الأسلوب.. وإيجاز المطلوب.. وتركيز الحوار.. وما أحلى أن يتوسط الاثنان ـ الصحفى الكبير والوزيرة المعروفة ـ رئيس الدولة بروحه المرحة وذكائه المتقد ولهجته الريفية التى تشعرك بأن عاصمة الريف هى التى تتحدث!

والذى لا يعرفه القراء أن اختيار الدكتورة عائشة راتب للوزارة كان يحمل فى طياته مفاجأة وسرا لا يعلمه سوى رئيس الجمهورية.. فعندما اختار عبدالناصر حكمت أبوزيد لتتولى أول وزارة فى تاريخ المرأة المصرية.. كان قصد عبدالناصر هو تكريم المرأة بوجه عام.. أما السادات فقد كان اختياره للدكتورة عائشة راتب تكريما لها شخصيا فى المقام الأول!

فمنذ ديسمبر ١٩٥١ وقضية الآنسة عائشة راتب فى مجلس الدولة دون حسم!.. أقامت الآنسة عائشة حينئذ دعوى لتعيينها بمجلس الدولة.. لكن الدعوى أقلقت الحكومة المصرية!.. فليس من حق المرأة أن تتولى مناصب القضاء.. ولم تجرؤ فتاة أو سيدة على مجرد التفكير فى العمل بالقضاء.. إلا أن الآنسة عائشة خريجة الحقوق وبأعلى التقديرات قررت أن تخوض التجربة.. وتقاضى الحكومة.. بل تقاضى قضاء مجلس الدولة ذاته!.. لم تيأس.. لم تلتفت للنصائح التى طاردتها بالتنازل عن الدعوى الخاسرة ..والأمل الذى لا مكان له إلا فى خيالها.. دافعت عائشة عن طموحاتها.. وعن حقها كامرأة.. وعن خيالها الذى وصفوه بالمرض!.. لفتت إليها الأبصار.. شدت انتباه الرأى العام.. وكان السادات ضابطا صغيرا.. إنسانا فقيرا.. لكنه يعشق القراءة وقضايا الرأى العام.. شغلته قضية عائشة راتب أمام مجلس الدولة.. وضايقه عدم الفصل فيها عشرات السنين!.. وعندما تولى السادات رئاسة مصر.. كانت الدكتورة عائشة راتب قد تبوأت مقعد الأستاذية بالجامعة.. مازالت متألقة..

فهى عضو مجلس إدارة الجمعية المصرية للقانون الدولي.. والجمعية المصرية للعلوم السياسية ..والمجلس الأعلى للإذاعة والتليفزيون.. والمعهد القومى للبحوث الجنائية.. وأستاذة القانون الدولي!.. كانت شخصية الدكتورة عائشة تلفت نظر الرئيس السادات بشدة.. فهى أول مصرية تحصل على الدكتوراه.. وأول مصرية تحصل على دكتوراه القانون.. وأول معيدة فى تاريخ الجامعات المصرية.. وهى صاحبة أول قضية من نوعها فى القضاء المصري.. ووجد الرئيس السادات الفرصة سانحة لإبداء رأيه فى عائشة راتب.. خاصة وقد أصبح رئيسا للدولة.. فاختارها لتكون وزيرة فى أول حكومة بعهده!

السادات معجب بأنيس!

أما أنيس منصور فكان فى قلب وعقل الرئيس السادات منذ أكثر من ربع قرن!.. كان اللقاء الأول فى مصعد مؤسسة "أخبار اليوم" عندما تولى السادات مهمة الإشراف على صحفها.. الصدفة وحدها جمعت بين الاثنين داخل كابينة المصعد.. نظر السادات إلى أنيس منصور طويلا.. ثم سأله فجأة: أنت الأستاذ أنيس منصور «صح» ؟

وأجاب الشاب الصحفى أنيس منصور" ..صح يا أفندم".. ويلتقط السادات الإجابة السريعة ثم يستطرد.. "على فكرة أنا معجب جدا باللى بتكتبه.. ودايما بقرالك.. هايل يا أنيس .."ولم يجد الصحفى الشاب ما يسعفه من الكلمات ليرد بها على أحد كبار الثوار البارزين ..لقد سبق أن اكتوى بنار زعيمهم جمال عبدالناصر.. لقد فصله عبدالناصر بكلمة واحدة ..خرب بيته وشرده وكاد يدفعه للهجرة من مصر كلها بسبب مقال "حمار الشيخ عبدالسلام ..!"أوهموا عبدالناصر بأنه هو المقصود بمقال أنيس منصور ..فقرر أن يؤدبه ..ويطرده من أحضان حبيبته التى لا يطيق البعاد عنها لحظة.. الصحافة!

كان السادات يعلم ما فعله عبدالناصر بأنيس منصور ورغم ذلك أعلن عن رأيه فى أنيس داخل المصعد وفى وجود شخص ثالث كان يمكن أن ينقل ما دار

للرئيس عبدالناصر.. وكان أنيس منصور قد تعلم الدرس ووعاه فوجد أن أفضل جواب هو الصمت!

لكن اللقاءات تكررت داخل أخبار اليوم.. ويتأكد الصحفى الشاب أن السادات لم يكن يجامله.. ولا يناوره.. ولا يقامره.. فإعجابه بكل ما يكتبه أنيس منصور كان واضحا لكل العاملين بالدار.. أما السادات نفسه فقد كان إعجابه الشديد بالصحفى الشاب يتجاوز كتاباته إلى حديثه الشيق.. ومعلوماته الجديدة ..وثقافته الواسعة.. ودرايته بتاريخ اليهود أكثر من اليهود أنفسهم!

ودارت الأيام.. وأصبح السادات رئيسا لمصر.. ومنذ اليوم الأول شعر بحاجته إلى أنيس منصور ..ليس باعتباره صحفيا لامعا.. وليس بهدف جعله الصحفى الأوحد فى عصره.. إنما كان السادات بحاجة إلى شخصية أنيس منصور لتكون إلى جواره، خاصة فى الأوقات التى يتغلب فيها "الفنان" داخل أنور السادات على "الرئيس ..!"كلاهما الرئيس والصحفى ـ سيضيف إلى شخصية الآخر.. كلاهما يفيد الآخر ويستفيد منه ..علاقة متوازنة رغم اختلاف المنصبين.. ومنذ اللقاء الأول بعد التغييرات التى طرأت على كليهما .. السادات رئيسا للدولة وأنيس صحفيا كبيرا.. كان كل منهما حريصا على ألا ينتقص من أهمية الآخر!.. فلا أنيس يشعر ثمة لحظة بأن السادات "ديكتاتورا".. ولا السادات يلمح مجرد ميل من أنيس ليصبح الصحفى الأوحد.. أو هيكل السادات!

لمع أنيس منصور أكثر مع عهد السادات!

تألق الصحفى الكبير فى كتاباته "المدروسة" عن الصهيونية والإسرائيلية!.. وبلغ الأمر أن شكت منه إسرائيل.. قدمت أربعة احتجاجات رسمية للحكومة المصرية من مقالات أنيس منصور ..!وتجاهلت الحكومة المصرية احتجاجات إسرائيل.. ورفض السادات أن يحدد لأنيس منصور ما يكتبه وما لا يكتبه!.. رفض أن يدلل إسرائيل على حساب صحفى مصرى وصديق شخصي.. بل وصل الأمر لأبعد من ذلك!!

ذات مساء ألقى السادات خطابا هاما!

أعلن السادات فى خطابه أنه قرر طرد الصحفى الإنجليزى مندوب الـ «M.A.B» فى القاهرة.. شتمه السادات وأهانه على مسمع من العالم كله.. وكان قاسيا فى الحديث عنه لأبعد الحدود.. ذكر السادات أن هذا الصحفى تهجم على مصر وعلى رئيسها فى وقاحة!.. وفى اليوم التالى صدرت الصحف المصرية كلها تحكى قصة طرد هذا الصحفى الذى هاجم مصر ورئيسها.. لكنها لم تنشر حقيقة غضب السادات من هذا الصحفي!!

لم تقل الصحافة المصرية لقرائها ما دار بين السادات وصديق له عتب عليه هجومه العنيف على الصحفى الإنجليزي.. وقتها رد عليه السادات بأنه شخصيا لم يغضب من هجوم الصحفى عليه، فهو رئيس دولة ومعرض لكل تلك الأمور.. لكن الذى ضايقه وأحرق دمه هو هجوم الصحفى الإنجليزى على أنيس منصور وفتحه للنيران عليه!.. قال السادات بالحرف الواحد..

أنيس صاحبى وواجبى أحميه..!!

هكذا لم ينس السادات شهامة ابن البلد المصرى حتى وهو فى قمة المسؤولية وفوق مقعد الحكم.. و هكذا كان أنيس منصور يزداد إعجابا بشخصية السادات ..!وكأى قصة حب تطورت اللقاءات بعيدا عن الرسمية والبروتوكول ومراسم المناسبات!.. ولعل أبرز تلك المظاهر تلخصه حكاية وقعت أحداثها فى استراحة القناطر.!

كلب العمدة:

كان أنيس منصور جالسا ينتظر وصول الرئيس باستراحة القناطر.. الجو حالم.. زقزقة العصافير تزيد المكان والزمان رومانسية نادرة.. ضباط وجنود الحراسة يصطفون كأن على رءوسهم الطير.. أحد الجنود يأتى بملابس الرئيس السادات بعد أن تم غسلها وكيها.. تقع عين أحد ضباط الحراسة على بدلة السادات فوق يدى الجندي ..يسارع الضابط برفع يده نحو رأسه ويقدم التحية العسكرية بينما قدمه اليمنى تدب الأرض تكاد تخرقها!

ويستغرق أنيس منصور فى الضحك!!

يدخل السادات فجأة ..يلمح أنيس منصور يضحك وهو يضرب كفا بكف.. يسأله الرئيس عما يضحكه.. يحاول أنيس منصور أن يقحم الرئيس فى حديث آخر. لكن السادات يصر على معرفة سر استغراق أنيس منصور فى الضحك.. فيروى له صديقه الصحفى الكبير ما شاهده من ضابط الحراسة أثناء مرور بدلة الرئيس.. يبتسم السادات ابتسامة لها معنى خاص ثم يروى لصديقه الصحفى "الحدوتة المصرية" التى تحكى عن تهافت أهل القرية وتسابقهم لتعزية العمدة فى وفاة كلبه.. وعندما مات العمدة لم يذهب أحدهم للتعزية فيه ..!"وسرح أنيس منصور فالحدوتة المصرية التى رواها السادات فى هذا الموقف تحمل معنى خطيرا وفهما عميقا من الرئيس السادات لفلسفة المنافقين!

فيروز:

وفى استراحة القناطر نفسها تم أطول لقاء جمع بين رئيس جمهورية مصرى وأحد الصحفيين.. استمر اللقاء خمس عشرة ساعة كاملة!.. كان السادات فى قمة حالاته النفسية.. الحديث جذاب.. والذكريات تتداعي.. وأسئلة أنيس منصور تلهب خيال رئيس الدولة الذى لم يعد يعر نداءات زوجته لتناول الغذاء أى اهتمام!.. ولأن السادات وافق على تسجيل حديثه على أشرطة كاسيت.. ولأن أنيس منصور لم يخطر بباله أن يتجاوز التسجيل ساعتين من وقت الرئيس المزدحم.. فقد استهلك الحديث كل الشرائط الفارغة فى استراحة الرئيس.. أصبحت المشكلة الوحيدة هى الحصول على شرائط جديدة للتسجيل عليها!.. وينادى الرئيس زوجته السيدة جيهان.. ويطلب منها إحضار بعض الشرائط.. لكن محاولات السيدة جيهان تفشل فى توفير ما طلبه زوجها .. ويحتد الرئيس.. ويطلب إحضار شرائط فورا.. وبأى شكل.. وتسرع السيدة جيهان وتعود ببعض الشرائط لكنها تخبر الرئيس بأن تلك الشرائط عزيزة لديها.. فهى تحمل أجمل ما غنته فيروز!.. ويصيح السادات" ..مش مهم!".. وتلبى السيدة جيهان طلبه.. ويستكمل أنيس منصور حواره المثير فوق أحلى الأصوات العربية وهى تشدو روائعها!

منى عبد الناصر!

وذات مساء دعا السادات أنيس إلى حفل خاص!

وفوجئ أنيس منصور بأن السيدة التى إلى جواره هى ابنة الزعيم الراحل عبدالناصر.. إنها "مني" أحب بنات عبدالناصر إلى قلبه.. وتسأل منى أنيس منصور سؤالا خبيثا" ..لماذا أطلقت على مجلتك اسم أكتوبر..

ويرد أنيس منصور بطريقته.. "أمال كنت أسميها إيه.. ٥ يونيو؟!".. وتثور السيدة مني.. وينفجر البركان وتعلو الأصوات.. ويحضر الرئيس السادات فورا لموقع الزلزال ..يسأل عما حدث.. تحكى له السيدة منى عبدالناصر رد أنيس منصور على سؤالها ..ويبدو أن السادات قاوم شيئا معينا.. انصرف بسرعة.. واختفى من بين الموجودين.. وبعد انصراف السيدة منى عبدالناصر يخبر السادات أنيس منصور أنه فوجئ بما رد به على ابنة عبدالناصر.. وأنه كاد ينفجر فى الضحك بصوت عال.. وهو ما حدث فعلا حينما اختفى فى مكان بعيد واستسلم للضحك!!

حشيش!

نعود إلى اللقاء الذى جمع بين الرئيس والوزيرة وأنيس منصور!

الحوار ينتقل على لسان السادات من نباهة الدكتورة عائشة وشخصيتها العنيدة إلى شقاوة أنيس منصور وقصته مع عبدالناصر وحمار الشيخ عبدالسلام.. ويضحك الرئيس السادات وهو يداعب أنيس منصور قائلا:

لو حدث معى لأدخلتك السجن!

ويرد أنيس منصور مداعبا للسادات.. "وهل يدخل صحفى السجن فى عصر الرئيس السادات"؟..

فإذا بالرئيس يؤكد له مازحا:

-ما أنت عارف يا أنيس.. أنا خريج سجون.. وأستطيع أن أضع فى جيبك قطعة حشيش وألفق لك قضية!!

-ويضحك الجميع.. ويستمر السادات فى مزاحه مع الكاتب الصحفى الكبير عن ذكريات عبدالناصر والصحفيين ومنهم أنيس منصور ..فيقول:

-عايز الصراحة يا أنيس.. لو كنت مكانه مكنتش فصلتك!

ويصمت الجميع برهة ثم يستطرد السادات:

-كنت قتلتك!!

يا ساتر!!

ينقطع الإرسال التليفزيونى فجأة!

يشعر أنيس منصور أن شيئا ما قد حدث أثناء العرض العسكري.. أنيس منصور يجيد فن الاحتمالات.. الاحتمال الأكبر وفقا لمنطق الأشياء عند الصحفى الكبير هو الاحتمال الوحيد الذى تمنى ألا يحدث!.. لكن الواقع فرض نفسه فى لحظات.. علم الصحفى الكبير أن السادات تعرض للاغتيال البشع فى منصة العرض.. وأنه نقل إلى مستشفى المعادي!

لم تمض دقائق إلا وكان أنيس منصور أمام باب حجرة العمليات.. وقتها كان حسنى مبارك نائب الرئيس ومعه سكرتيره يطلب له بعض الأرقام التليفونية.. إلى جوارهما جلس اللواء نبوى إسماعيل وزير الداخلية ثم كمال حسن على وزير الخارجية.. اللحظات تاريخية.. والمشهد مثير.. السيدة جيهان السادات تجلس متماسكة إلى مقعد مجاور لحجرة العمليات.. نظراتها زائغة تتنقل فى وجوه الحاضرين فى دهشة.. طاقم سكرتارية الرئيس واقفون وملابسهم غارقة فى الدماء!! ممدوح سالم مساعد الرئيس يبكى بصوت عال.. تنهار السيدة زينب السبكى وتجهش بالبكاء.. زوج ابنة السادات يفشل فى السيطرة على دموعه.. بينما أنيس منصور الصديق الأقرب إلى السادات يسأل

نائب الرئيس عن هوية الذين أطلقوا الرصاص على السادات فيـرد مبـارك بـأن أحدا لا يمكنه التكهن بذلك الآن.. ويصر أنيس منـصور عـلى دخـول حجـرة العمليات لرؤية السادات لآخر مرة.. إنه اللقاء الوحيد الذى لـن يتحـدث فيـه السادات إلى أنيس منصور ..!ويسمحون للصحفى الكبيـر بالـدخول.. وينـدم أنيس منصور على فعلته هذه ندماً بالغاً.. يقول:

"أكبر غلطة فى حياتى أننى تسللت إلى حجرة العمليات وشاهدت الـرئيس.. رأيت ما أعجز عن وصفه.. وأطلب من الله أن يعجزنى عن وصـفه وأن يهبنـى قدرة هائلة على نسيانه..!!"

ـ ويعلن طبيب الرئيس الدكتور محمد عطية على الموجـودين أمـام حجـرة العمليـات.. "لا أمـل"!!.. وينهـار الجميـع.. بينمـا أحـد كبـار الـصحفيين المعروفين بتعصبهم ونفاقهم للـرئيس الـسادات منـذ توليـه الحكـم وتعيـين السادات له رئيسا لمجلس إدارة وتحرير أوسع الصحف المـصرية والعربيـة.. يسارع رئيس التحرير هذا بسؤال زميل له بمجرد علمه بموت السادات رسميا:

-أمال فين سيادة النائب يا جلال؟

بعض رؤساء التحرير مقتنعون بأن الرئيس الحى أبقى من الميت!!

وقبل أن ينصرف أنيس منصور من أمام حجـرة العمليـات مودعـاً صـديقه للأبد.. وبينما هو غارق فى أحزانه ..تقع عيناه على مشهد يجذب انتباهه بشدة.. أحد الجنود يخرج من حجرة العمليات حاملاً بعض ملابس الـسادات تحـت إبطه الأيمن.. وحذاء الرئيس "البوت" تحت إبطه الأيسر.. ويسرع بهما هابطـا السلالم ..فتقع منه "فردة" البوت فلا يلتفت إليهـا!!.. ويتـذكر أنـيس منـصور مشهد ضابط الحراسة وهو "يعظم" لبدلة السادات ..ويسمع صوت السادات فى أذنيه كأنه آت من أسفار بعيدة يروى له قصة موت كلب العمدة ثـم صـاحبه العمدة!.. يهمس الكاتب الكبير لنفسه عدة مرات:

يا ساتر !!

وأخيرا:

رحـل أنـيس مـنـصـور صـاحـب القلـم الـذى لا ينـافس والأسـلوب غيـر المسبوق.. لكن سوف تبقى حكايته فى بلاط صاحبة الجلالة أجمل الحكايات.. وأكثرها عذوبة وعذابا.

أنيس منصور

بين الصحافة والسياسة



أنيس منصور تاريخ طويل، وعريض، يمتد إلى أكثر من ستين عاما من الإبداع والإمتاع، قالوا عنه إنه موسوعة فلسفية وأدبية وعلمية، وهذا صحيح، وقالوا عنه إنه «شلال» المعرفة وهذا أيضا صحيح. وقالوا إنه من أكبر «ظرفاء العصر» بما يحفظه من حكايات وأشعار ونكت بلا نهاية، وقالوا.. وقالوا.. ومع ذلك لا يزال هناك الكثير الذى يقال عنه، وأعتقد أنه دخل تاريخ الصحافة والثقافة واحتل فيه مكان الصدارة، وسيظل يلهم قراءه بأفكاره اللامعة وأسلوبه المتميز الجميل، ومعلوماته الواسعة.

إنه يكتب عن تولستوى، وهيدجر، وسارتر، والبرتومورافيا، وكيركجارد، وعبد الرحمن بدوى، كما يكتب عن العقاد والمتنبى وطه حسين وكامل الشناوى، وعن رحلته الرائدة فى الصحافة المصرية التى طاف بها فى العالم فى ٢٠٠ يوم، وكما يكتب عن أساطير التاريخ وعن الذين هبطوا من السماء وبنوا الأهرامات فى مصر ثم عادوا إلى السماء بعد ذلك.. و.. و.. مئات الموضوعات.. مقالات.. وكتب.. كتب.. ومقالاته هى الأكثر قراءة وفقا لاستطلاعات الرأى وكتبه هى الأكثر مبيعا، وفقا لأرقام التوزيع فى دور النشر.. كتب عن الوجودية، والخبز والقبلات، وشىء من الفكر، والبقية فى حياتى، و.. و.. مجموعات قصص مثل بقايا كل شىء، وعزيزى فلان، وغيرها.. وكتب فى الرحلات مثل حول العالم فى ٢٠٠ يوم، واليمن ذلك المجهول، وبلاد الله خلق الله، وأطيب تحياتى من موسكو، وأعجب الرحلات فى التاريخ، وغريب فى بلاد غريبة، ولعنة الفراعنة، وأوراق على شجر.. ومسرحيات مثل الأحياء المجاورة، وحلمك يا شيخ علام، ومين قتل مين، وجمعية كل واشكر، وكلام لك يا جارة.. وكتب فى السياسة مثل عبد الناصر المفترى عليه والمفترى علينا، وكتب ساخرة مثل الكبار أيضا يضحكون.. وكتب مترجمة مثل روموس العظيم وهبط الملاك من بابل، والشهاب، وهى للكاتب المسرحى دورينمات، ومسرحيات تنيس وليامز مثل الكهف، ولآرثر ميلر وبعد السقوط، و..و.. لا أستطيع أن أحصر كل الكتب..

أما المقالات فهى عشرات الآلاف.. فى الأخبار، وأخبار اليوم، ومجلة الجيل، وآخر ساعة، ثم مجلة أكتوبر التى أسسها وكان أول وأعظم رئيس تحرير لها، وأخيرا فى الأهرام التى ارتبط فيها اسمه بعنوان عموده اليومى «مواقف».

كان ترتيبه التاسع بين أحد عشر ابنا وابنة.. فى الكتاب قضى عامين ونصف العام لتعلم القرآن، وطفولته- كما قال- لم تكن فيها حوادث أو تقلبات، ولم يعرف أنها كانت طفولة تعيسة إلا بعد أن بدأ فى استعادة تفاصيلها.. كان والده مفتش زراعة لدى عائلة يكن باشا، وكانت الأسرة تنتقل من مكان إلى مكان، وكان الوالد شاعرا صوفيا، وأمه كان لها تأثير أكبر فى تكوينه، كما كان ارتباطه بأبيه شديدا.. ومات أبوه يوم تخرجه من الجامعة عام ١٩٤٧.
قال عن نفسه: إنه اكتشف أنه مخلوق يشاهد المجتمع دون أن يشارك فيه بسبب طبيعته الخجولة، المنطوية، ولم يخرج إلى المجتمع إلا بعد أن تزوج وشجعته زوجته إلى حضور المناسبات الاجتماعية، ربما كانت نزعته إلى الاستقلال والوحدة بسبب اعتناقه فى شبابه الفلسفة الوجودية بما فيها من تمجيد للفردية، والحرية والاكتفاء بالذات، وهى ملامح تتشابه مع شخصيته وتفكيره ورغبته فى التأمل وتحليل البشر، وهو يعترف بأنه فى بداياته الأولى كان يصاحب شيخا ضريرا يحفظ الشعر (الهلس) ويصاحبه فى الأفراح وفى الغناء فى بعضها، ويقول له: إن صوته صوت مطرب.

وأنيس منصور يعترف بكثير من أسراره فى مذكراته وأحاديثه الصحفية ومنها أنه فكر فى الانتحار مرتين: الأولى عقب حصوله على التوجيهية عام ١٩٤٢ وكان ترتيبه الأول، لكن والده كان مريضا وكذلك والدته، وأصيب بسبب ذلك بحالة شديدة من اليأس والإحباط فذهب إلى كوبرى طلخا ليلقى نفسه فى فرع النيل، ولكنه تراجع، أما المرة الثانية التى شرع فيها فى الانتحار فلم يشأ أن يتحدث عنها!

دخل الصحافة بالمصادفة - كما قال - فلم يكن يقرأ حتى الجرائد كما لم يشارك فى أية مظاهرة سياسية، ولم تكن له علاقة بالأحزاب السياسية، وكان طموحه أن يعمل فى إحدى الهيئات الدولية، لكن الدكتور عبدالوهاب عزام عميد كلية الآداب فى ذلك الوقت نصحه بالعمل فى الصحافة، وعرض عليه صديق أن يكتب القصص فى الصفحة الأولى من صحيفة «الأساس» التى كان يصدرها الحزب السعدى وكان يشرف على هذه الصحفة وقتها موسى صبرى، وهكذا دخل الصحافة من باب الأدب، وظل يعتبر نفسه أديبا يعمل فى الصحافة، ويقول: أنا لست مخبرا صحفيا وأصنف نفسى أديبا يكتب فى الصحافة.

دخل فى فلك العقاد، ثم طه حسين وعبدالرحمن بدوى ثم استقل بعد أن تبلورت شخصيته وتوصل إلى أسلوبه الخاص جدا فى الكتابة.

تجاوز الثمانين ولكنه ظل يتمتع بشباب الفكر وحيوية العقل.. بل كانت لديه أحيانا روح الطفولة التى تندهش لكل جديد، وتبحث دائما عن الجديد، وتلفت نظرها التفاصيل والأحداث الصغيرة العابرة.. قارئ نهم قيل إنه أعظم قارئ.. تلميذ العقاد وروى الكثير عنه وعن الحياة الثقافية والاجتماعية فى مصر فى كتابه العظيم فى صالون العقاد كانت لنا أيام.

له محبون كثيرون جدا.. جدا.. وله أيضا خصوم.. وهذا دليل على أنه كبير ومثير للجدل.. فى السياسة اختلف معه البعض ولكن اتفق الجميع معه فى آرائه فى الأدب والفلسفة.. شريط حياته طويل وأحداثه مزدحمة لا تكاد تصدق أن كل هذه الأحداث وقعت فى ثمان عاما فقط، أو أن إنسانا واحدا استطاع أن يقرأ كل هذه الكتب بالعربية والإنجليزية والإيطالية والألمانية التى يجيدها.. وإن إنسانا واحدا كتب هذه المقالات والقصص والمسرحيات والكتب.. لابد أنه لم تكن له فى الحياة إلا القراءة والكتابة، ولكنه يقول إن ذلك غير صحيح وأنه عاش حياته ككل الناس.. فيها الجد واللعب والحب والسفر، ولكنه يشعر بمعنى حياته حين يقرأ ويكتب فهذه أمتع لحظات حياته.

***

النبش فى ذاكرة أنيس منصور ليس سهلا، لأنه قال الكثير عن حياته وأفكاره ومواقفه، ولكنه لم يقل كل شىء، فلديه أسرار وحكايات خصوصا عن علاقته مع السادات الذى كان يلازمه فى ساعة المشى فى حديقة البيت ويتبادل معه الأحاديث، كما كان يقوم بمهام خاصة لنقل رسائل إلى قادة وزعماء فى الخارج وخاصة إسرائيل من السادات يريد أن يبعث عنها عن غير الطرق الرسمية. خط حياته الظاهر يمثل خطا صاعدا بلا توقف، ترك وظيفة مدرس فى كلية الآداب قسم فلسفة ليعمل فى الصحافة، وبعد مقالاته عن رحلته حول العالم فى أخبار اليوم، ومقالاته عن تحضير الأرواح بالسلة، كما رآها فى الهند، أصبح اسمه على كل لسان، مناصب عديدة سعت إليه.. نائب رئيس تحرير الأخبار.. ثم رئيس تحرير مجلة أكتوبر التى أسسها واختار لها صفوة من الصحفيين

لازال منهم عدد يحمل روح أنيس منصور، وبعدها استقر فى مكتب أنيق فى الأهرام كاتبا متفرغا ليكتب عموده «مواقف» وعموده فى صحيفة الشرق الأوسط السعودية التى تصدر فى لندن، ومقالات فى أخبار اليوم وفى أكتوبر.. وقبل رحيله كان عاكفا على إعداد ثلاثة كتب أعتقد أنه انتهى منها قبل أن يلزمه المرض بالذهاب إلى المستشفى فى الرعاية المركزة.. وأذكر أنه قبل ذلك بسنوات كان يجلس ساعات طويلة جدا لكتابة كتابين فى وقت طويل دون أن يشعر بالآلام التى بدأت تزداد فى ساقه.. وأخيرا تبين أنه أصيب بجلطة فى الساق، وعولج منها..

***

تختلف معه أو تتفق.. وهذا حقك، فلديه الكثير جدا من أسباب الاتفاق والاختلاف، ولكنك لن تختلف فى أنه كاتب عظيم تشعر بالاحترام لعقله وجهده وتجد لديه ما يجعلك تشعر بعظمة الفكر والمفكرين.

كان الأول على القطر المصرى فى امتحان التوجيهية، والأول فى ليسانس الآداب قسم فلسفة مع مرتبة الشرف.. موقفه من عبدالناصر يتأرجح بين الاتفاق والاحترام.. فى عهده تعرض للفصل وأيضا حصل على جائزة الدولة التشجيعية وتسلمها من عبدالناصر فى عيد العلم.. له كتاب يهاجم فيه عبد الناصر بعنوان «عبدالناصر المفترى عليه والمفترى علينا» وعند وفاة عبدالناصر كتب يقول: إن عبدالناصر كان سياسيا فريدا ووطنيا نزيها، وإن وفاته أكثر من نكبة ومن نكسة لأنه كان واجهة شريفة ومشرفة لمصر وللعالم العربى، وكانت مصر قبله صغيرة وأصبحت كبيرة، وظل يعمل إلى آخر قطرة فى دمه ونبضة فى قلبه، ولم يختلف أحد على أنه شخصية فريدة فى التاريخ الحديث، فقد نهض واقفا من الآهات ثم قام ورفع وعلا، وتحدى بنا ومعنا العالم كله.. هذا عن عبدالناصر.. أما عن السادات فكان يرى أنه من عظماء التاريخ، وأنه يملك موهبة القيادة والرؤية الصائبة دائما.. ولذلك ذهب معه فى رحلته الشهيرة إلى القدس، وقال فى حديث أخير إنه لا يهتم بما يقال من أنه من أنصار التطبيع مع إسرائيل، لأنه كان أول من بادر بعد نكسة ٦٧ بتنظيم معرض للصور لرفع الروح المعنوية وطاف به أنحاء العالم العربى، وكتب كثيرا عن

قدرة الشعب والجيش على استرداد الأرض وتحريرها.

***

هو من أخلص أبناء محافظة الدقهلية.. ولد فى المنصورة وقال إن الدقهلية أكثر محافظات مصر حضارة وأثرا فى الثقافة المصرية والعربية ومن أبنائها على مبارك باشا الأب الأول للتعليم فى مصر، ولطفى السيد الأب الأول للفلسفة والفكر، والشيخ متولى الشعراوى، والشيخ جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق، ومنها أيضا سيدة الغناء العربى أم كلثوم، وسيد الملحنين رياض السنباطى، وسيدة الشاشة العربية فاتن حمامة، وسيدة المسرح سهير البابلى، وسيد الكوميديا عادل إمام، وسادة الضحك: محمد صبحى، وأمين هنيدى، ويونس شلبى، والشعراء: كامل الشناوى، ومأمون الشناوى، وصالح جودت، وعلى محمود طه شاعر الجندول، وإبراهيم ناجى شاعر الأطلال، وحيرم الغمراوى، ومئات آخرون..

وكان حريصا على أن يشيد بالدقهلية وأبنائها من الكتاب والسياسيين مثل الدكتور محمد حسين هيكل، وأحمد حسن الزيات، والدكتور رشاد رشدى، ونعمان عاشور وسناء البيسى، وأول فيلسوف عبدالرحمن بدوى، ورائد الصحافة الحديثة محمد التابعى، والمثال العظيم محمود مختار وحتى العقاد الذى ولد فى أسوان كانت والدته من الدقهلية.

أما رؤساء تحرير الصحف والصحفيون من الدقهلية فيذكر منهم عبد العزيز خميس، ومحمود التهامى، ومحفوظ الأنصارى، ومصطفى شردى، ووحيد غازى، وحسن شاه، وزعيم المعارضة الراحل إبراهيم شكرى، وعالم الفضاء الدكتور فاروق الباز، وساحر الكرة محمود الخطيب، والوزير الأسبق ممدوح البلتاجى، ورؤساء التليفزيون: حسين عنان، وتماضر توفيق، وهمت مصطفى.. و.. و.. هل رأيت من يعتز بمحافظته مثل أنيس منصور؟ ومع أنه عقلانى وواقعى إلا أنه كان عاطفيا بدرجة كبيرة وصل إلى الثمانين ومازال يتحدث عن حبه لأمه وأبيه وأخته غير الشقيقة وعيناه ينديهما الدمع.. خصوصا أخته من أبيه التى كانت تعيش مع جدها وكان هو يعيش مع أبويه، ويلتقيان معا ليجلس كل منهما ساعات إلى جانب الآخر دون كلمة، ثم تنصرف

هى إلى بيت جدها وينصرف هو إلى بيت والديه، وماتت أخته فظل يذكرها ويبكى ويتساءل: لماذا لم يحتضنها ويقبل رأسها وكان يتمنى ذلك وهى أخته. ولماذا لم يتحدث معها؟ ولماذا لم يطلب من أمه أن تسمح له بالعيش معهم فى بيت واحد؟.

علاقة غريبة ظلت ذكراها تطارده وتؤرقه وتؤلمه.. مع أن ذلك كان وهما طفلان.. وغريب أن تجده يتحدث كثيرا عن أخته هذه ويكتب عنها كثيرا فى ذكرياته ومذكراته على الرغم من مرور عشرات السنين!

***

فى كتابه «عبدالناصر المفترى عليه والمفترى علينا» يقول: إنه نشره فى سلسلة مقالات فى مناسبة مرور ٢٥ عاما على قرار الرئيس جمال عبدالناصر بفصله من عمله بسبب مقال نشره فى «أخبار اليوم» بعنوان «حمار الشيخ عبد السلام» وفى هذه المقالات أراد أن يقدم دراسة عن عصر عبدالناصر الإنسان، الحاكم الفرد، وعن الأثر الاجتماعى والنفسى والأدبى والفلسفى لعمليات التعذيب لعشرات الألوف، وقد وجد أن أكثر معانى الفلسفة الوجودية قد تفجرت فى داخله، ويقول كيف درست الفلسفة الوجودية وقمت بتدريسها فى الجامعة وصدر لى أول كتاب عنها سنة ١٩٥٠ ثم لم أكن أدرى معانى القلق والموت والحرية، ومعانى العدم والانعدام، وكل ذلك عرفته والفضل للرئيس جمال عبدالناصر، ودراويش الرئيس جمال عبدالناصر قد صوروه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى- قالها د.محمود فوزى- فهو المعصوم من الخطأ، أما انكساراته وعثراته فخطوات على الطريق الصحيح، فالنصر خطوة كبيرة إلى الأمام والهزيمة نكسة إلى الأمام، فهو منتصر دائما حتى عندما انتصر الجيش المصرى فى سنة ١٩٧٣ كان هو الذى وضع الخطة، فكان انتصارا عسكريا وهزيمة سياسية أى أنه الذى مات انتصر عسكريا، والسادات الذى لم يمت انهزم سياسيا، فعبد الناصر إذا حضر انتكس، وإذا غاب انتصر، وإذا حضر انتصر قليلا، وإذا غاب انتصر كثيرا، وهذه التراتيل الكهنوتية التى يرددها مشايخ الطرق الناصرية استفزازية وتجاهل لويلات ملايين المصريين والعرب.

فى هذا الكتاب يثأر منصور لنفسه من عبدالناصر الذى فصله بسبب مقال، فيقول: عبدالناصر كان يريد أن يكون ماركسيا ولم يستطع، واحتقاره الظاهر بكل ما هو عربى ولكل رئيس على دولة عربية، وقضايا اليمن دخولا وخروجا ومائة ألف شهيد وعشرات البلايين من الجنيهات ذهبا، والوحدة ثم الانفصال، والهزيمة العسكرية، وكانت الهزيمة العسكرية هى النهاية! ويكشف محاولة اغتياله، وفى مؤتمر صحفى للرئيس حسنى مبارك قال له: يا أنيس أرجوك، فى عرضك، كفاية المقالات عن عبدالناصر، فهى تسبب لى صداعا، كفى، فكل رئيس له أخطاؤه، كفى، وكان رده: حاضر يا ريس.. ولكنى انتهيت منها، وبدأت سلسلة أخرى ثم عاد مبارك يقول: للأمانة، أنا كلمت أنيس فى بيته مرتين، وتناقشنا، ولكنه لم يستجب، والكتاب بعد ذلك ملىء بالهجوم- وليس النقد- على عبد الناصر شخصيا وعلى جميع أعماله.

***

أما السادات فله صفحات أخرى فى كتاب بعنوان «من أوراق السادات» يضم مقالات نشرها فى مجلة «أكتوبر» وهو رئيس تحريرها أراد بها إنصاف الرئيس السادات وإنجازاته العظيمة لبلاده، طرد الخبراء السوفيت، وتصفية مراكز القوى الناصرية، والانتصار فى حرب أكتوبر، وفتح قناة السويس، والأحزاب، ومعاش السادات، والتأمينات الاجتماعية، وانسحاب إسرائيل والسلام معها، والانفتاح الاقتصادى، وحرية الصحافة، وقطع رجل زائر الفجر، ثم يروى ما حدث يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٦١ يوم أبلغ بقرار وقفه عن العمل بسبب صورة حمار فى مقال له عن الطاغية نيرون، وقيل له: لا علاقة للحمار وما جاء فى المقال، ولكن لابد أنك قصدت شيئا يفهمه القارئ، ولكن السبب الحقيقى أنه كتب مقالا بعنوان «حمار الشيخ عبد السلام» فيه غمز ولمز وإيماءات وإسقاطات واضحة، وفى يوم رأس السنة الميلادية صدر قرار بفصل أنيس منصور مع جلال الدين الحمامصى، بعدها قال له حسن جلال العروسى مدير مكتب مؤسسة فرانكلين التى نشر أنيس منصور فيها عددا من الكتب: لا تؤاخذنى لا أستطيع أن أتعامل معك أنا رجل أعمال مدير مؤسسة أمريكية ولا أريد مشاكل مع الحكومة، فأرجو إنهاء كل ما بيننا، وقال له مدير الإذاعة المصرية عبدالحميد الحديدى، لا أستطيع الآن أن أذيع لك شيئا.. لا

مقالات.. ولا قصصا.. اعذرنى.. وكما انتهى عمله فى الصحافة انتهى فى نفس الوقت فى الجامعة.. وبعد سنوات تغيرت الأحوال ونشر سلسلة مقالاته فى كتاب «عبدالناصر المفترى عليه والمفترى علينا» قال فيه كل ما فى نفسه!

***

أما فى كتابه «أوراق السادات» الذى نشرته دار المعارف مؤخرا فقال: إن أهم الصفات التى يتحلى بها الرئيس السادات فهى: ذاكرة قوية، وإحساس بالتاريخ وبدوره هو فى التاريخ وينام بعمق.. وفى هذه السلسلة كان الرئيس السادات يملى وأنيس منصور ينقح العبارات ويستوثق من الوقائع والتواريخ، ولم يلجأ السادات إلى ورقة أو كتاب ينقل منه بعض ذكرياته.

وأمضى أنيس منصور سنوات استغرقه فيها العمل فى «مجلة أكتوبر» الوليدة ومجلة أخرى وليدة هى «وادى النيل» وما يكلفه به الرئيس السادات من مهام متعددة، ولم يكن مرتبه فى ذلك الوقت يزيد على ٤١٦ جنيها شهريا، بينما يوافق على علاوات لمن هم دونه تصل إلى ما يعادل مرتبه مرة ومرتين وزيادة، ولم ينتبه إلى حقه فى أن يتقاضى علاوة سنوية، وقد كان نائبه يتقاضى ثلاثة أضعاف مرتبه وبعد عشرين عاما سأل سكرتيره: لماذا لم تنبهنى إلى زيادة مرتبى أو تعديله.

فكان جوابه عجيبا: لقد ظننا أن سيادتك لا تريد فلوسا!وكانت نشأة «مجلة أكتوبر» بقرار من الرئيس السادات وقد نشر أنيس منصور فى مقدمة كتابه «أوراق السادات» صورة للسادت معه وهو يراجع بروفات الأعداد التجريبية الأولى، وكذلك نشر صورة لورقة بخط السادات بعد مراجعته للمجلة كتب فيها: عزيزى أنيس: لقد راجعتها وأجريت التصحيحات اللازمة مع استخدام أسلوبنا الصحفى فى أول السطر وغيره، ولكننى أريدك أن تراجعها بنفسك، فقد تكون هناك مواقف تحتاج لإبرازها إلى استعمال الفن الصحفى، ولا أدعى اليوم أننى صحفى، مع تحياتى.. توقيع: أنور السادات.
إن علاقة أنيس منصور بالرئيس السادات تحتاج إلى حديث طويل.

***

ومالا يعرفه كثيرون ما أعلنه أنيس منصور أخيرا من أنه انضم للإخوان فى بداية حياته، وصار أمين مكتبة فى مركز إمبابة، و كان يذهب ليؤم المصلين فى المساجد ويخطب فيهم يوم الجمعة، ولكن فى سنة ١٩٤٦ اكتشف عدد من الإخوان أنه وبعض زملائه فى الجامعة يتناقشون فى أمور ليست دينية لكنها موضوعات فى الفلسفة الوجودية والماركسية، فأبلغوا مكتب المرشد فجاء قراره بفصله هو وزملائه من الجماعة.. ويعلق على ذلك بقوله: قد يكون للإخوان فكر، ولكن لهم سوابق عديدة فى العنف تجعلنا غير قادرين على تبنى فكرهم أو الدفاع عنهم.

***

حياة طويلة.. ومشوار طويل.. الحديث عنه يحتاج إلى سلسلة مقالات وليس مقالا واحدا.. وهكذا عظماء الرجال يختلف الناس عليهم وعلى أفكارهم، ولكنهم يتفقون على أنهم عظماء.

اللقاء الأخير لأنيس منصور فى المدرج ٨٧

كان طلاب كلية الآداب - جامعة القاهرة - من المحظوظين، بعد أن جمعهم لقاء أخير بالكاتب الكبير الراحل أنيس منصور فى المدرج ٨٧ الذى درس فيه وحاضر به أيضاً من قبل، ولأن كل ما كان يخرج من بين شفتيه يعتبر تاريخاً، فقد ساد اللقاء جو من الود والحميمية رغم سنوات عمر الراحل التى قاربت السابعة والثمانين عاماً.

وأجاب أنيس منصور خلال اللقاء عن أسئلة الطلاب الذين أحاطوه بالحب عن حياته بالقرية، وعلاقته اللافتة بالرئيس الراحل أنور السادات، والعقاد وطه حسين، وسر ارتباطه بالمدرج ٨٧، ولماذا ترك تدريس الفلسفة بعد تعيينه معيداً بكلية الآداب جامعة عين شمس وأسئلة أخرى كثيرة نقرؤها معاً بالتفاصيل فى السطور القادمة.

سأله الطلاب عن سبب حبه الشديد للمدرج ٨٧ ولماذا أصر على أن يكون اللقاء به، فقال الكاتب الراحل: مجرد أن أقول:«مدرج ٨٧» تهتز مشاعرى وأركانى وأصاب بالغبطة لأننى قضيت فيه سنوات عديدة كنا نأتى إلى هنا أنا وآمال فهمى ونغنى، كنا حوالى أربعة فقط، بالإضافة إلى ٧ طلاب آخرين كانوا دائماً ينظرون من الشبابيك إلينا ونحن نغنى.

وقال الكاتب الراحل، أول مرة تكلمت من على هذه المنصة التى أجلس عليها الآن عندما زار الكلية الأديب الفرنسى «ألان ريجيه» والذى جاء به طه حسين وقال لنا: جاء الأديب الفرنسى حتى يعلم أن لدينا طلابا تدرس وتعرف اللغة الفرنسية، وقدمته، وقدمه بعدى طه حسين وكان تقديما رائعا، ثم جئنا بالعقاد بعد ذلك ليحاضرنا هنا.

وكان آخر عهدى بمدرج ٨٧ عندما ناقشت جيهان السادات رسالة الدكتوراه الخاصة بها.. كانت رسالتها تناقش هنا.. وكنا ٨ أفراد فقط حضرنا المناقشة بخلاف الدكاترة.. الرئيس السادات وأولاده وأنا فقط.

وكتبت عن هذا المدرج كثيرا لكنى لم أره من قبل بهذه الأناقة، كنا محظوظين جداً لأنه كان يدرس لنا أساتذة كبار من أمثال شوقى ضيف كان يدرس لنا اللغة العربية أو الأدب العربى وموسى عبده فى الأدب الإنجليزى وعبد الرحمن بدوى فى الفلسفة، هؤلاء من رموز فكرنا وأدبنا، وتشاء الصدفة البحتة أن أتنافس أنا وأستاذى شوقى ضيف على جائزة حسنى مبارك، فى المرة الأولى تعادلت الأصوات وألغيت الجائزة، وفى المرة الثانية أيضاً تنافست أنا وهو وفزت بها ولم يفز بها، وفى المرة الثالثة تم ترشيحه مع د. القطب وحصل عليها الدكتور القطب، وفى المرة الرابعة حصل عليها هو.

ويهتز أنيس منصور وذرفت عيناه بالدموع وقال: أتأثر كلما أتصور الآن كيف كنا وكيف أنتم الآن، لم يكن لدينا كهرباء ولا تقنيات ولا أدرى كيف كنا نعيش فى ظل تلك الصعوبات ومع ذلك كنا سعداء بما لدينا.

بلا طموح

سأله الطلاب عن مشواره الطويل وكيف أصبح أنيس منصور الصحفى الكبير والأديب الشهير؟ فقال: سأقول لكم حكاية لا يصدقها البعض لكنها صحيحة وهى أننى لم أكن نموذجا جيدا وكنت بلا طموح ولا أحلام، كنت مجرد شخص ريفى راض بحياته فى الكتاب الذى يقع تحت الأرض، مفروش بالقش والقش به براغيث، كانت «تقرص» فينا ولا نستطيع الشكوى فكيف نشتكى لمن يعلمنا القرآن، فهى شكوى غير مقبولة للآباء، لأن من علمنى حرفاً صرت له عبدا.. ذلك كان الاعتقاد السائد وقتها، لم نكن نعرف غير الكتاتيب، كان مجتمعا ريفيا مغلقا، وعندما دخلنا المدرسة الابتدائى لم نر شيئا أفضل إلا عندما جئت إلى القاهرة شوارع طويلة وسيارات وتروماى وأضواء حينذاك تغيرت الدنيا، كنت أذاكر فقط لكى أكون الأول على الدفعة فقط، ولم يكن لى حياة أخرى من أى نوع حتى أننى لم أدخل السينما إلا بعد تخرجى فى الكلية واشتغالى بالصحافة، المنصورة كان بها ٤ دور للسينما كنت أمر عليها ولا أدخلها.

وتحدث الكاتب الراحل عن دخوله الجامعة فقال: عندما دخلت الجامعة كان من نصائح أمى لى «ماتكلمش بنات» ومن حين إلى آخر كانت تسألنى

«كلمت بنات؟» وكنت أقول: لا، وفى إحدى المرات وقع زرار قميص لى فقامت زميلة بتركيب آخر لى بدلاً منه ومن شدة خوفى من أمى لم أعد إلى البيت إلا مساء حتى لا ترى «الزرار» الجديد!!

أضاف: كنت طالبا مجتهدا أذاكر فقط حتى أكون الأول وبالفعل كنت الأول فى الابتدائية والإعدادية والتوجيهية والليسانس أيضاً، ولم يكن لدى أى طموح من أى نوع.

وعن عمله فى الصحافة قال: اعتبرت أن الصحافة مجرد سلعة معروضة للبيع من تعجبه يشتريها، وبدأت فى الصفحة الأدبية ورأى رؤساء التحرير أننى صحفى جيد وشجعنى ذلك على القيام بعمل رحلتى حول العالم عام ١٩٥٩ ومكثت فى الرحلة ٢٢٨ يوما بلا توقف واعتبرت أن هذه الرحلة هى مسوغات تعيينى رئيس تحرير، وأصبحت بعدها رئيس تحرير ١٠ مرات. وبتأثر قال: أعطتنى الصحافة ما يتمناه أى صحفى رغم أننى كما قلت من قبل لم يكن لدى طموح أو أحلام، كنت طالبا عاديا يجتهد ليذاكر، وتساءل: هل كنت نموذجا جيدا؟ لا أدرى، طالب عادى راض بحياته، وعندما جئت إلى القاهرة وجدت أبناءها لديهم أحلام وخيال، أما نحن لم نفكر إلا فى الكتاب والمدرسة والأرض، دون وجود وسائل ترفيه، أو وسائل مساعدة فى المعيشة. ومؤخراً زرت مدرسة كل طالب أمامه جهاز كمبيوتر وفى جيبه موبايل هذا عز أبهرنى جداً، لأننا كنا بنأكل الطين بدون أحلام أو طموحات. وأتعجب الآن كيف خرجنا أحياء من هذا الريف عندما زرت قريتى وكنت مصراً على الذهاب إلى الكتاب الذى حفظت فيه القرآن فى صغرى ووجدته كما هو بمكان منخفض ينزل إليه الطلاب عبر سلالم قليلة، عندما كنا بالكتاب كان صاحبه أو سيدنا يوزع علينا العمل واحد يكنس والثانى يقطف البامية أو الملوخية، وكانت مهمتى اليومية هى أن أدخل إلى الخزانة أستطلع هل باضت الفراخ أم لا، وأقوم بجمع البيض ولم تكن شكوانا مقبولة أبداً، سيدنا كان أعمى وكان يقوم بعدنا بالعصاية، وأقسى ما كنا نعانيه فى مرحلة الكُتاب عندما كان يأتى سيدنا بالفطير المشلتت السخن ذى الرائحة القوية ويأكله بالقشطة فهذه الرائحة كانت تصيبنا بالدوار، وتجعلنا لا نسمع منه ما يقوله.

أذكر واقعة أيضاً وهى أن د. صبرى الشبراوى وهو «بلدياتى دقهلاوى» كنت أستاذاً بإحدى الجامعات الأمريكية وكان دائماً يقول الدستور الأمريكى «يقول كذا أما عندنا فى البرامون يحدث كذا، شىء مختلف تماما، وعندما كان فى زيارة لمصر فى إحدى المرات طلبت منه زوجته الأمريكية الذهاب إلى مسقط رأسه بالمنصورة أولاً ولم تطق الانتظار من كثرة ما سمعت منه عنها. وذهب بها إلى هناك ورأت الزرايب والضفادع والصراصير والناموس والصرف الصحى، ثم قالت له: إنها معجزة لأنك خرجت من القرية حيا، وهو ما أتعجب منه أنا أيضاً الآن.

الاقتراب من الحاكم:

سأل الطلاب الكاتب الراحل عن تقييمه للاقتراب من الحاكم فقال: إنه صعب جداً وخطير، وعلاقتى بالرئيس السادات كانت قوية جداً ولم أنس أبداً أنه رئيس مهما قربنى إليه، لم أتجاوز حدودى فى أى مرة من المرات وكان البرنامج اليومى لنا يبدأ بسؤالى: ماذا فعلت اليوم.. ماذا قرأت.. هل كلمت فلانا ثم نتكلم فى السياسة وعن المقالة التى سأنشرها بمجلة أكتوبر، بعد ذلك كنا نمشى لمدة ساعة أو ساعتين.

ويستطرد الراحل فى حواره: علاقة المثقف بالحاكم صعبة جداً، وفى نفس الوقت ممتعة جداً لأننى كنت أرى كل الأحداث عن قرب وأرى كيف تتشكل الوزارة، وكيف يختار الرئيس رجاله، وكيف يستبعدهم وتقال، وأحياناً كانت لأسباب وكان كثيراً ما يسألنى الرئيس السادات عن بعض الشخصيات المرشحة لتولى أحد المناصب فى الحكومة، وأذكر أنه استبعد أحد الأشخاص المرشحة لمنصب وزارى عندما علم أنه يضرب أمه.

رفضت منصب الوزير:

وقال أنيس منصور فى حديثه فى عام ١٩٧٦: قال السادات ما رأيك فى أن تكون وزيرا للثقافة لكنى رفضت وقلت له أنا صحفى لا يوجد لدى وقت، أريد فقط أن أقرأ وأكتب، ولم يجبرنى الرئيس الراحل على توليها. وسأله الطلاب عن الاقتراب من المرأة وعن حقيقة مشاعره ناحيتها، ابتسم قليلاً وقال: لا يوجد أحد يحب المرأة «اللى بيحب يشتكى واللى متزوج

بيشتكى يبقى مين اللى بيحبها»؟

وعندما سُئل عن ارتباطه بالعقاد قال: عندما جئت إلى القاهرة التحقت بجامعتين، الأولى جامعة القاهرة والثانية جامعة عباس محمود العقاد وكنت شديد الصلة والالتصاق به وبلغ العقاد من القوة أن شغلنى عن طه حسين فلم أتعرف عليه إلا متأخراً لأن العقاد اكتسح كل الشخصيات من حولى وكان أساتذتنا زكى نجيب محمود وعثمان محمود كامل يجلسان معنا نحن الطلاب مستمعين منصتين إليه وهو المفكر العظيم الرائع الزاهد، وهو بحق شخصية فزة.

وفى إحدى المرات طلبه وزير الثقافة ثروت عكاشة للحضور عنده معى مع آخرين فلم يذهب، وعندما قابلته قلت له: لماذا لم تحضر لقاء وزير الثقافة قال يا مولانا «أنا فاكر إن ثروت عكاشة هو اللى هيعدى عليا». وعندما حصل العقاد على جائزة الدولة التقديرية قلت له: أستاذنا أعطنى كلمتك لأكتبها لك على الآلة الكاتبة، وعندما قرأتها لم أجد فيها أى تحية أو ذكر لجمال عبدالناصر.. ذهبت إلى محمد حسنين هيكل وقلت يا هيكل: إن العقاد كتب كلمة رائعة لكن لم يحيى فيها عبدالناصر ماذا ستفعل؟ فاتفقنا مع العمال المسؤولين عن تنظيم الحفل، أن يخفضوا الميكروفون بعد أن كان مرتفعاً لأن العقاد كان طويل القامة فتكلم ولم يسمع منه أحد أى شيء، وبعد أن انتهى الحفل قال له بعض الحضور أستاذ العقاد لم نفهم مما قلت شيئا لرداءة الصوت، فقال العقاد «عملوها أولاد الكلب»، وفى برنامج مع الخالدين بإذاعة صوت العرب سأله المذيع: ما شعورك عندما أخذت جائزة الدولة التقديرية؟ قال: إنه شعور بالابتلاء إنها جائزة أخذتها من الشعب على يد الحكومة!!

طه حسين:

وعن طه حسين قال الكاتب الراحل: ندمت ندما شديدا لأننى تعرفت عليه متأخرا وكان شخصية لطيفة وكنت أتعجب كثيرا من دماثة خلقه، وعندما صدر كتابى ٢٠٠ يوم حول العالم كتب هو المقدمة وكانت رائعة ولم يكتب العقاد شيئا وهو ما جعل ندمى يزداد أننى لم أعرفه إلا متأخراً. وفى إحدى المرات قال لى زكى نجيب محمود: هل تعلم أننى وأنت من المغفلين؟ قلت: لماذا؟ قال:

أنا كتبت كثيرا عن العقاد وترجمت له كتبا وأنت تصلى له ليل نهار وهو لم يكتب سطرا واحدا عن أى منا «نبقى مغفلين واللا لأ؟ قلت: آه مغفلين».

وعن حبه الشديد للفلسفة قال أنيس منصور: إنه بجانب الشهادة التوجيهية كانت هناك مسابقة للفلسفة وكنت الأول فيها، ودخلت قسم فلسفة، والذى جعلنى أعشقها هو زكى نجيب محمود الذى يعد أسلوبه فتنة غاية الروعة فى العبارة والأسلوب.

وعندما سأله الطلاب عن سبب تركه التدريس بالفلسفة بآداب جامعة عين شمس بابتسامة كبيرة قال: الفلوس لأننى عندما كنت معيدا كان مرتبى ١٧ جنيها لكن عندما عملت بالصحافة كان مرتبى ١٥٠ جنيهاً. ويحاول الطلاب اجتذاب الكاتب الراحل إلى أكثر المواقف طرافة فى حياته فقال: موقفا من الرئيس جمال عبد الناصر معى لأنه رفدنى من عملى بأخبار اليوم، كنت على خلاف مع حافظ الأسد، لذلك لم أذهب إلى سوريا منذ فترة طويلة لأنه كان يهاجم السادات كثيرا، مما ضايقنى منه فقال لى الرئيس السابق حسنى مبارك قبل زيارته إلى سوريا، قال: تعالى معى أصالحك عليه، وأثناء وليمة العشاء قلت للرئيس السورى جمال عبدالناصر: لم يحفظ إلا آية واحدة من القرآن وهى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾، أما سيادتك فتؤمن بحديث نبوى واحد «الدين المعاملة».

سبب رفدى:

وسأل الطلاب الأديب الكبير عن نقطة التحول فى حياة أنيس منصور فقال: حياتى ليس بها مطبات كثيرة غير وفاة أبى وأمى، بالإضافة إلى رفدى من أخبار اليوم سنتين لأننى كتبت مقالة اعتبرها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر هجوما عليه، والمقالة كانت عن مسرحية توفيق الحكيم «السلطان الحائر»، فى الوقت الذى كنا فى أشد الضيق من تأميم الصحافة وبدا لنا أن الحكومة تريد هدم أخبار اليوم وكان الجزء المكتوب عن المسرحية، على لسان الشيخ العز بن عبد السلام.

قال فيه: إن العبيد لا يجوز أن يحكموا الأحرار، والمماليك كلهم عبيد، لذا لا يصح أن يحكموا مصر فينبغى أن يباعوا أولا ثم يعودوا ليحكموا مصر وهم

أحرار وتوفيق الحكيم اختار أن تشترى الغانية السلطان وتشتمه، أما أنا كتبت وقلت العز بن عبدالسلام، خرج من مصر ووقف على الحدود، هو نيابة عن فقهاء مصر والحمار نيابة عن الشعب المصرى، وبسبب هذه الجملة رفدنى عبد الناصر سنتين.

نصيحة للشباب:

وطلب الطلاب من الكاتب الراحل النصيحة فقال لهم، نصيحتى أن لا نصيحة، لأن الشباب منذ أيام نوح عليه السلام على خلاف مع الآباء وهناك فجوة بين الأجيال واستنكار من الآباء لما يفعله الأبناء، والتوافق بينهما صعب جداً لأن الحياة تعنى التوافق المستمر بين عيوب الناس، فأنا أقول للشباب: حاول التوافق مع الأب وليس التطاول عليه.. جيلنا كان مختلفا تماما عن هذه الأيام كنت مثلاً أُقبِّل يد الأب والأم بسبب أو بدون سبب، ومرة دخلت على أمى وكان معها ضيوف وحاولت تقبيل يدها و«اتكسفت منى» فقلت لها: إذا لم تعطينى يديكى لأقبلها سأقبل جزمتك»، فى إحدى المرات قلت لشاب أمام أبيه قبل يده قال لماذا؟!!

وأعتقد أن المشكلة تكمن فى أن الشباب يريدون كل شىء ما يقدر عليه ومالا يقدر عليه، ولابد أن نحترم هذا الاختلاف بين الأجيال. وكان آخر سؤال سأله الطلاب للأستاذ الراحل عن رأيه فى هجرة الشباب خارج مصر فى قوارب الموت؟ قال: أرى أن الشباب محقين فى ذلك لأنه يرى أن الحياة أصبحت غير ممكنة فى مصر والمشكلة تكمن فى أن الشاب المهاجر يذهب إلى أوروبا ليعرض أو يبيع سلعة وهى خبرته، هل هى مطلوبة؟ الإجابة: لا، فتكون النتيجة التوهان فى الشوارع، وهو ما عبّرت عنه فى مسلسل «مين اللى مايحبش فاطمة»، قابلت شابا مصريا بالصدفة وقلت له: ما مهنتك؟ قال: محاميا، قلت: هل تجيد الألمانية وتعرف شيئا عن الدستور السويسرى؟ قال: لا، قلت له: «هاتشتغل إيه؟ قال: ماعرفش»، عرّفته على عدد من الشباب المصرى يبيعون الجرائد هناك وتركته معهم، وعندما عدت وجدته مثل ما تركته.

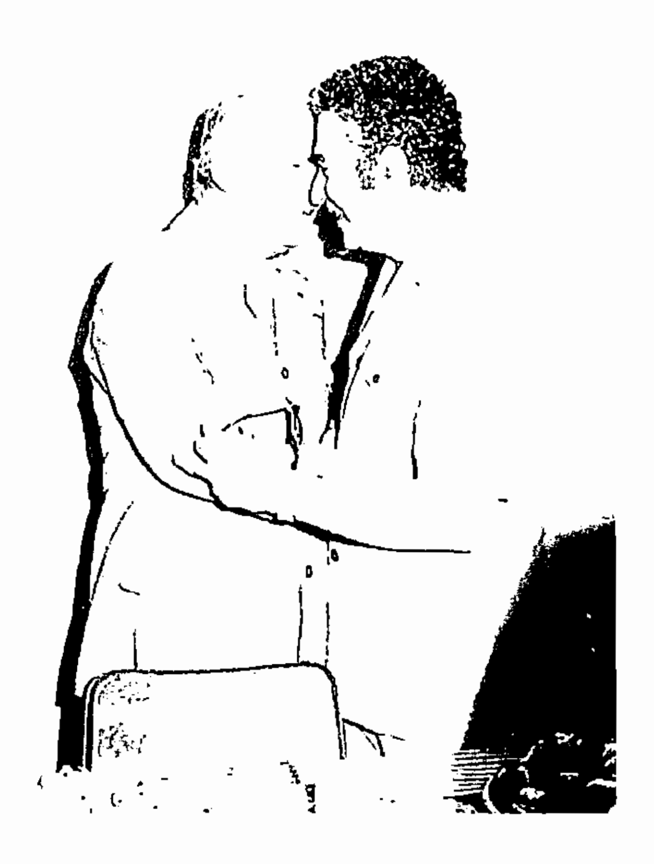
أسرار وخفايا عاشق

الكلمة والمهنة مع الأدباء والإعلاميين

عاش يدهشنا بجديد الرحلات والتنقلات وبغريب الطرف والطرائف.. وبكل ما هو مثير للأفكار والعقول.. والآن يدهشنا بعد رحيله بأسرار وخفايا يرويها عنه بعض أصدقائه ومعاصريه وتلامذته على اختلاف أعمارهم واعمالهم وانتماءاتهم ، قال مرة عنه واحد من أصدقائه كتب ١٤٨ كتاباً، إنه لو وقف عليها لطال الهرم الأكبر ، فماذا سيطال هو لو وقف على كتبه البالغة أكثر من مائتى كتاب وتعذب أحدهم من أنه لم يسمع آخر ما كان يريده بسبب ضعفه ودهنه وتنفيذ واحدة من كل ما طلبه منها دون كلام.. وقال ذات مرة أكثر الذين نحبهم من الموتى.. فهل صدق فى هذا؟

ضحك وتفاهم بين الأصدقاء

يوسف السباعى وأنيس منصور



د. حسين نصار

أنيس منصور - دفعتى فقد تخرجنا فى نفس العام فى كلية الآداب جامعة القاهرة وكان هو فى قسم الفلسفة وكنت أنا فى قسم اللغة العربية ورغم اختلاف التخصصات فإننا كنا على معرفة وصلة قوية ببعض - لأن هناك صديقاً مشتركاً كان بيننا وكان مع الأستاذ أنيس فى قسم الفلسفة وهو صديق من قريتى ودرس معى فى المرحلة الابتدائية من الأشياء التى أذكرها فى ذلك الوقت أن أنيس كان كثير الذهاب فى الإجازات إلى حديقة الأسماك فى الزمالك وكان لا يتهيب أى شيء ولديه القدرة على المبادرة بجرأة والاتصال بكل من يراه فى الحديقة وفى ذلك الوقت كان يتردد عليها مجموعة من مربيات الأطفال الألمانيات، فبادر بالتعرف عليه وتعلم من خلالهم اللغة الألمانية. عندما تخرجنا كان فى ذلك الوقت الحزب السعدى هو الذى يحكم وأراد أن يصدر جريدة جديدة وهى جريدة الأساس - فعرض علينا الحزب السعدى ان نعمل بها نحن الاثنين - فقبل أنيس أن يلتحق بها ورفضت أنا ومنذ ذلك الوقت عرف أنيس طريقه للصحافة وإن كان قد قطعه سنوات قلائل بالالتحاق معيداً فى كلية الآداب بجامعة عين شمس ولكنه تركها وعاد إلى الصحافة مرة أخرى وفى هذه المرة أخلص للصحافة ولم يتركها أبداً كان أنيس مشهوراً بين زملائه باتساعه فى القراءة والثقافة وإلى اليوم مازال مشهوراً بذلك.

د. عبد المنعم تليمة

افتقدنا كاتبا كبيرا واسع الانتشار مؤثرا بخاصة بين الأجيال الشابة كان متعدد القدرات والمواهب ومنتجاً فى ميادين كثيرة - الكتابة المسرحية، القصصية، الترجمة، المقال الثقافى، السير، أدب الرحلات وكان من أصحاب الأساليب - قد لا يراعى بعض الجماليات لكنه يراعى القواعد فهو متمكن من الفصحى وكثير من اللغات وأسلوبه سهل جيد التوصيل أختلف معه اختلافاً عميقاً فى توجهه السياسى وفى عقيدته الفكرية - لكن هذا الاختلاف لم يقف عقبة يوماً فى سبيل تتبعى لأعماله - ولا فى سبيل إعجابى بدأبه الشديد - وانتظامه الصارم فى حياته الشخصية والعملية عرفته فى ندوة للعقاد ولمست عن قرب دماثته، واستقامته الأخلاقية والسلوكية فهو فى هذا الجانب يدعوك بسماحة إلى حبه واحترامه من المواقف التى لا أنساها - كنت أقوم بالتدريس

فى قسمين محددين الدراسات اليونانية واللاتينية وقسم اللغة الفرنسية بجانب جدولى الأساسى فى قسم اللغة العربية وكانت اخته (اخلاص منصور) تلميذتى فى قسم اللغة الفرنسية - وكانت ودودة جداً فتصادقنا لقربنا فى السن وكنا نجتمع كثيراً فى قسمى اللغة العربية والفرنسية - وكانت تحكى لى عن ذكريات الطفولة والعائلة وعن أخويها أنيس ومحمد والوالدين منذ إذ كانوا فى المنصورة إلى أن انتقلوا إلى حى المنيرة.

ونظراً لصداقتنا القوية - دعتنى ذات مرة لرؤية الوالدة ورحبت بهذه الدعوة جداً وذهبت إلى بيتهم فى المنيرة وكانت زيارة مسعدة ومبهجة واستقبلتنى والدتهم بروح عالية ومودة ورقة وتحضر كبير مما يدلل على أنها شخصية عظيمة ومتميزة ومختلفة.

آمال فهمى :

كنا دائما عندما نلتقى يذكرنى بأن لدينا عاملاً مشتركاً وهو موهبة الغناء لدرجة أنه كتب أكثر من مرة فى عموده «مواقف» أننا - الاثنين - نتمتع بصوت جميل وكنا نصلح أن نكون مطربين شهيرين وتساءل كثيراً هل عدم دخولنا مجال الغناء يعد سوء حظ للجمهور أم لحسن حظه أننا اشتغلنا بغير الغناء لنصبح متفوقين فى مجالات أخرى؟

اشتركت أنا وهو فى برنامج الهواة وكانت تخصصه الإذاعة لأصحاب الأصوات المتميزة التى لم تكتشف بعد وكان ذلك فى بداية الخمسينات وكنا قد تخرجنا فى الجامعة حديثا وكان يقدمه المذيع ديمترى لوقا وفى الاختبار وأمام اللجنة الفنية المنعقدة غنى أنيس منصور لعبد الوهاب وغنيت أنا لأم كلثوم وكانت أول وآخر مرة بالمصادفة ترك بعدها المذيع ديمترى لوقا البرنامج ومصر وهاجر إلى استرليا ويومها قال أنيس معلقاً على ذلك بقفشاته المعتادة - يبدو أن المذيع ترك البلد وطفش هرباً من أصواتنا أنيس منصور معجزة لأنه يجمع عدة مواهب ومتعدد الأفكار يستطيع أن يدلو بدلوه فى كل الأمور وأرى أنه الكاتب الذى استطاع أن يتطرق إلى كل ما خلقه الله فى هذه الدنيا واقتحم كل المجالات السماوية والأرضية ولكن أشعر بأسف شديد لأنه فى المرحلة الأخيرة لم يكتب عن المشهد السياسى الراهن مما يعد لغزاً كبيراً وهناك الكثير

من الأسئلة التى تدور فى ذهنى حول هذا الموضوع ولم أجد لها إجابات وأحدثه الآن وأقول له لماذا يا أنيس لم تكتب وأنت لديك الكثير من الأسرار والرؤى والأفكار؟ فقد تمنيت أن اعرف حقيقة أن اعرف حقيقة رأيك ولكنك للأسف رحلت وتركت لنا علامات الاستفهام.

بهاء طاهر

رحم الله الكاتب الكبير فقد كان زميلي فى المجلس الأعلى للثقافة وكنت ألتقى به بشكل دورى ووجدته إنساناً ودوداً للغاية وشخصية عذبة على المستوى الشخصى والإنسانى وأعتقد أن كل من اقترب منه قد لاحظ هذه الصفة وقد كان إنسان يجيد اقامة العلاقات الودية مع الآخرين مثلما كان فى عداواته الفكرية يجيد خلق العداء كان صاحب قلم أنيق له خصوصيته واستطاع أن يبتدع أسلوباً مميزاً للغاية يتسم بالسرعة والجمل القصيرة والقدرة على نقل الفكرة بأقل عدد من الكلمات وهو فى تقديرى انبغ تلاميذة مدرسة الصحفى الكبير محمد التابعى - الذى كان أيضا صاحب أسلوب مميز وقريب جداً من قلب القارئ استطاع بكتبه العديدة مثلماً قلت أن يكسب الأصدقاء وأن يصنع الأعداء معاً فالكثير من كتبه مثيرة للجدل قد يتحمس لها الكثيرون وقد يرفضها الكثيرون وهذا فى تقديرى مميزة وليس عيباً لأنها تعنى أنه كاتب قادر على إثارة فكر ووجدان قارئه واعتقد إن الصحافة المصرية خسرت قلما كبيرا سيفتقده من كانوا يتفقون معه ومن كانوا يختلفون معه على السواء كتب أنيس منصور مرتين فى عموده «مواقف» مرة كانت كتابة فكاهية عن شىء يجمع بيننا نحن الاثنين وهى الإصابة المتكررة بالإنفلونزا وكتب عنى عموداً مؤخرا منذ شهور قليلة تضمن تقييما إيجابياً للغاية للمجموعة القصصية التى أصدرتها أخيراً (لم أعرف أن الطواويس تطير).

الكاتبة الصحفية حُسن شاه

عملت تحت رئاسته فى مجلة الجيل ومجلة هو وهى وكان يرأسها أربع رؤساء تحرير من بينهم أنيس منصور وكنت وقتها نائب رئيس تحرير وكل أسبوع أتعامل مع واحد من الأربعة واستفدت منهم جميعاً ومن يعمل مع أنيس منصور كان لا بد أن يتحمل عبقريته لأنه شخص واثق جدا من نفسه بدرجة

كبيرة إلى الحد الذى وصل به أن يقول أكثر من مرة أنا أستطيع أن أكتب المجلة من الجلدة إلى الجلدة كانت له مواقف جارحة ولكن عمره ما تلفظ بلفظ خارج، كان يلوم من يخطىء بأسلوب أدبى دون أن تخرج كلمة مسيئة من المواقف التى لا أنساها يوم أن قام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر برفته من أخبار اليوم ومنعه من الدخول كانت له مستحقات مالية ولا يستطيع الحصول عليها بسبب قرار المنع عندما عرفت بذلك الأمر تطوعت دون أن أبلغه وقمت بإحضار تلك المستحقات وسلمتها له وكان سعيداً جداً بسبب هذا الموقف. موقف اخر لا أنساه فقد تلقيت منه مكالمة من شخص تقريباً أثنى فيها على مقالاتى الأخيرة وأخيراً - استطيع ان أقول لك إن أنيس منصور يعد من آخر الرجال المحترمين فى الوسط الصحفى من أبناء جيله.

نعم الباز

أنيس منصور كان شديد الولع والاهتمام بالقارئ وشديد القدرة على توصيل أصعب الأفكار لأبسط القراء وكان يتميز بأن لديه القدرة على الدخول فى موضوعات لم يتطرق لها أحد من قبل أتذكر عندما كان رئيس تحرير فى مجلة الجيل قمت بعمل ريبورتاج عن المعلومات المغلوطة التى يقولها المترجم للسياح وكان ذلك عام ٥٧ وبعد أن انتهيت من الموضوع قمت بتسليمه إليه وكتبت له ٥ عناوين لكى يختار منها واحداً وفوجئت به يتجاهل كل العناوين ووضع عنوانا أتذكره إلى الآن وهو «إلى وزير الإرشاد القومى.. مصر فى خطر) فاختلفت معه وغضبت بشدة وقلت له أرفض أن يقوم أى شخص بتغيير عناوين فقال لى أنت وضعت أكثر من خمسة عناوين لأختار منهم عنوانا وقد كان اخترت عنوان (مصرفى خطر.. من ينقذها) فاعتمده ولكن وضع عنوانه أيضاً مع عنوانى فكان ردى عليه أننى أعرف قدراتك الفائقة فى اختيار العناوين «ولكننى لا أريد أشياء جميلة ليست لى» مفارق غريبة لا أنساها.. فى الثمانينات كنت أقوم بعمل سلسلة موضوعات عن المشاهير وكانت فكرته أن أستضيف اثنين من نجوم المجتمع وعندما عرضت على الأستاذ أنيس منصور أن يشترك فى هذه السلسلة وجهت له سؤالاً - من تحب أن تقابل من الشخصيات المشهورة؟ فكان رده أحب أن أقابل سعاد حسنى فاتصلت بسعاد حسنى وعرضت عليها المشاركة فى هذا التحقيق وبعد موافقتها سألتها: من

الشخصيات المشهورة تحبى أن تقابليه - الغريب والمفارق أنها قالت لى أحب أن ألتقى بأنيس منصور. وكانت أول مرة فى سلسلة هذا الريبورتاج أن يختار النجمان كل منهما الآخر أنيس منصور كان شديد الولع بالفنون التشكيلية كان لديه مقومات المحاورة شديد القدرة على استخراج الكنوز والأسرة ممن يحاوره وبرزت هذه الموهبة عندما عمل معداً لبرنامج نجمك المفضل وكانت تقدمه الإعلامية ليلى رستم لأنيس جملة قالها قبل رحيله مؤثرة جداً فقد سمعته يقول: «أنا سعيد لأننى لم أنجب ولداً أو بنتاً حتى لا يتعذبا فى هذه الدنيا وهذه الجملة تعد دلالة واضحة على أنه لم يكن إنساناً سعيداً على عكس ما يظن أو يتوقع الناس.

نادية صالح:

أنيس منصور هو الكاتب الكبير صاحب الكلمة الشابة التى تمر عليها السنون وتظل هذه الكلمة شابة وعصرية ولا تموت أبداً كلمة يستطيع أن يفهمها ويتأثر بها أصغر وأبسط الناس وأكبر المفكرين والفلاسفة كل على حد سواء ورغم كل هذه الشهرة التى يحظى بها فإننى أرى أن مصر لم تستفد من موهبته وإمكانياته بالشكل الكافى ذاكرة فولاذية، لا ينسى أى شيء مر عليه أبداً وأتذكر أنه قابلنى ذات مرة بعد طول غياب وفوجئت به يسألنى ويقول «إيه اخبار حماتك؟» لأنه كان يعلم أن علاقتى بها ليست على ما يرام ويومها استغربت جداً من قوة ذاكرته وزاد إعجابى بهذا الإنسان العظيم الذى أراد من خلال سؤاله أن يؤكد لى أنه يتذكر آلامى ومعاناتى.

بحكم تخصصى وعملى مذيعة منذ أكثر من أربعين عاماً أؤكد على أن أنيس منصور يمتلك صوتاً جميلاً وتون مميزا - وله طريقة خاصة فى تقطيع الكلمات بشكل متفرد - ولن أخفى سراً إذا قلت أن كثيراً من المشاهير كانوا ومازالوا يحاولون تقليد صوته.

عاصم بكرى:

بدأت كمخرج فى التليفزيون المصرى عام ٨٦ وكان طموحى أن اقوم بعمل تطوير فى الفكر البرامجى بمعنى أن أقدم برنامجا تتوافر فيه عناصر البناء الدرامى وقمت بتنفيذ ذلك بالفعل من خلال برنامج اسمه «البداية» وأذيع على

القناة الثالثة وكانت ناشئة حديثاً فإذا بالأستاذ أنيس يفاجئنا بأنه يكتب مقالا فى عموده «مواقف» قال فيه: إنه شاهد برنامج جذبه لأقصى درجة ولم يكن يتصور أن التليفزيون المصرى يستطيع أن يقدم هذا النوع من البرامج وقام بالاتصال بمحمد رجائى رئيس القناة فى ذلك الوقت وطلبت منه أن يرانى وكرر طلبه أكثر من خمس مرات – وعندما أخبرنى رئيس القناة فى المرة الأخيرة – كنت سعيد لابعد الحدود وذهبت اليه وقبل أن يصافحنى بادرنى خمس مرات أطلبك ولا تحضر – فقلت له يا أستاذ العفو – فطلبك أن ترانى هو شرف لى ولكن أنا لم أعرف بهذا الطلب إلا فى المرة الأخيرة فقط قال لى: أنت دارس فى أمريكا؟ فقلت له: لا أنا خريج إعلام القاهرة. وبعد أن تجاذبنا أطراف الحديث وجدته فجأة يقول: لابد أن تكون مذيعاً- اسمع كلامى لا يصلح أن تكون خلف الكاميرا فقط وكان له فضل كبير فى أن ادخل امتحان المذيعين ٩٠ سنة وفوجئت به يأتى إلى الاختبار على غير طلب أوعلم منى. وقال للجنة: أنا أتيت إلى هنا من أجل هذا الرجل لقناعتى بأنه يستحق أن يكون مذيعا ومنذ هذا اليوم وأنا على صلة وطيدة ومستمرة بالأستاذ أنيس ولم تسقط من ذهنى أى كلمة خرجت من فمه – من الممكن أن يكون هناك من هم أقرب له منى ولكن ما تميز أنا به هو أننى كنت أحفظ وأسجل فى عقلى كل شيء يقوله حتى نكته وقفشاته فقد كان يتميز بالحضور الشديد.

وذات مرة فى المعرض الدولى للكتاب وفى ندوته السنوية توجه إليه سمير سرحان قائلاً: يتبقى على نهاية الندوة ثلاث دقائق يا أستاذ أنيس وأنت مخير أن تجيب على واحد من اثنين شخص يريد أن يسألك لماذا لم تكتب كتابا جديدا فى أدب الرحلات والشخص الثانى يريد أن يتحداك فكان رد الأستاذ أنيس: أنت لم تترك لى خيار ياسمير لأنى بالطبع سأختار الذى يريد أن يتحدانى. ووقف شاب فى حدود الثلاثين عاما تقريبًا وبدأ يتكلم بلهجة حادةوضد أفكار الأستاذ. فإذا بالأستاذ أنيس فجأة يقاطعه ويقول له: أنا بس بعد أذنك نفسى تنصب اسم إن وترفع خبرها فقال له الشاب: (معلش) لكل جواد كبوة. فقال له: يا أخى أنا لم أرك تجرى إطلاقا منذ أن بدأت الكلام. وضحك الجميع لسرعة الحضور . مرة أخرى دخلت مكتبه فى الأهرام وبعد أن جلست قليلا أشار إلى موبايل على المكتب وقال لى: ترى هذا الموبايل ياعاصم – فقلت له:

نعم. فقال هذا أحدث موبايل نزل الأسواق واشتريته علشان خاطر أحمد رجب لأننى كنت أتحدث معه بالأمس وكان يقول لى: مش عارف أسمعك يا أنيس غير الموبايل اللى أنت بتكلمنى منه ده.. فرحت غيرته وكلمته فقال لى: مش سمعك يا أنيس مش سمعك يا ابنى وأغلق الخط. فاتصلت به أكثر من مرة وهو على نفس الحال لا يسمعنى وفى آخر مرة لم يرد وقام بتشغيل الأنسر ماشين فتركت له رسالة وقلت له:تعرف يا أحمد إن الموبايل اللى أنا بكلمك منه ده يعتبر آخر حاجة ربنا خلقها فى الدنيا وودانك أنت أول حاجة ربنا خلقها فى الدنيا. عندما استضفته فى حلقة على القناة الثالثة على الهواء لمدة ثلاث ساعات كان سعيدا جدا أننى أطلقت عليه لقب (السواح) عند تقديمى له وكنت أعنى أنه سواح بكل ما تحمله الكلمة من معنى. فهو سواح بين الأفكار والفلسفات وسواح بين الكلمات وسواح بين البلاد تعلقت به بشدة ولم أزعل منه سوى مرة واحدة عندما طلبت منه أكثر من مرة أن أسجل معه حوارا فى برنامج حوارى وأبدى موافقته المبدئية فى كل مرة دون أن ننفذ ذلك بالفعل وفوجئت به فى أثناء تلك الفترة يظهر فى أحد برامج فى التليفزيون المصرى ووقتها تأثرت بشدة وأرسلت له رسالة على الموبايل قلت فيها: يا أستاذ أنا من أكثر الناس حرصا عليك ومن أقل الناس حظا منك آخر كلمات سمعتها منه كانت فى اتصال تليفونى عندما هاتفته منذ ٢٠ يوما تقريبا ورد على شخص ما فى المنزل وعندما علم بأننى المتصل أخذ السماعة وكان صوته ضعيفا جدا وكلمنى كلاما كثيراً ولكن لم أستطع سماع كلماته وكنت فى حرج شديد أن أراجعه وأقول له: يا أستاذ أنا لا أسمع ماذا تقول حتى لا أثقل عليه وأزيده إرهاقا ولكن كلمة واحدة هى التى فهمتها من مكالمته ومازالت متأثرا بها وسأظل فقد قال لى: أنا تعبان أوى ياعاصم أنا تعبان أوى ياعاصم وظل يكررها كثيرا. هناك أمر هام أود الإشارة إليه فمنذ ٧ سنوات قال لى: إنه يقوم بإعداد كتاب مهم جدا عن عملية السلام وأسرار خاصة بالرئيس الراحل أنور السادات. والرئيس السابق (مبارك) وطلب منه جهاز الأمن القومى أن يقوم الرئيس السابق بالتوقيع على كل ورقة فى هذا الكتاب نظرا لأهمية محتواه للأمن القومى المصرى ولأن مبارك كانت له أجزاء كبيرة فى هذا الكتاب.

ولكن مبارك تلكأ كثيرا ولم يوقع وفى كل مرة كان يسأله الأستاذ أنيس: لماذا لم توقع؟ كان يرد بأنه لم يقرأ الكتاب إلى الآن متعللا بضيق الوقت ولكن فى اعتقاد الأستاذ أنيس أن هذا التلكؤ كان مقصودا والآن خُلع مبارك ورحل أنيس ولا أعرف مصير هذا الكتاب المهم. وأنا منشغل جدا بهذا الأمر وسألت نبيل عتمان مدير مكتب الأستاذ أنيس عن أوراق هذا الكتاب فوجدت أن لديه خلفية عن الموضوع ولكنه لا يعرف أين أوراقه وقال لى: إنه سيحاول البحث عنه فى مكتب الأستاذ وسيتصل بى عندما يجده. ولى فى هذا الموضوع سؤال أرجو من أى مسؤول أن يجيبنى عنه وهو هل مازال الحظر قائما على نشر هذا الكتاب بعد أن تنحى الرئيس السابق أم لا؟

وجدى الحكيم:

عندما دخلت دنيا الإعلام كنت منبهرا بشخصية أنيس منصور ككاتب صحفى وعندما التقيت به على المستوى الإنسانى زاد انبهارى وإعجابى به. كنت أرى فيه أنه كل شيء فى هذه الدنيا نظرا لمواهبه وملكاته المتعددة كان قادرا على تسهيل مهمتنا الإذاعية بدرجة كبيرة عندما يشترك معنا فى إعداد البرامج لأنيس فضل كبير على التليفزيون المصرى ولولاه ما استطاع التليفزيون أن يسجل مع طه حسين، عباس العقاد والمازنى وحسين فوزى- فقد كان جسر التواصل مع العمالقة الذين كانوا يرفضون عقد مقابلات من أى نوع- لذلك لولا أنيس لم تكن لتحقق كاميرا التليفزيون هذا السبق التاريخى على المستوى السياسى كان سياسيا محنكا وكان صديقا ودودا لكل الرؤساء حتى من اختلف معهم وأقصوه عن الكتاب، وكان صديقا مقربا لكل أهل الفن تقريبا بدءًا من أم كلثوم، عبد الحليم، فريد مرورا بجيل الوسط وحتى جيل الشباب ولن أخفى سرا إذا قلت: أن الكثيرين من جيل العمالقة القدامى ومنهم أم كلثوم كانوا حريصين على أن يستفيدوا بآرائه فى موضوعات الأغانى التى يقدمونها فى كل موسم كان حريصا أن يسمع إلى أغانى عبد الحليم وعبد الوهاب وأم كلثوم فى البروفات وهذا لم يكن مسموحا لأحد غيره وكان يبدى لهم بعض الملاحظات على الأغنية قبل أن تخرج إلى الجمهور وكان يقول لهم أن الأغنية قبل أن تخرج إلى الجمهور هى ملك مؤلفها وملحنها ومطربها أما بعد أن تخرج للجمهور تصبح ملكا للجمهور.

كان يتميز بعلاقة خاصة مع رياض السنباطى وهو الفنان الكبير الذى اعتزل الصحافة والإعلام ولكن كان حريصا أن يلتقى مع أنيس منصور كل صباح فى مقهى البن البرازيلى.

أنيس كان موسوعة ودائرة معارف فإذا أردت أن تعرف أى معلومات عن فنان عربى أو عالمى تجدها عنده بكل تفاصيلها له دور فى تربيتى إذاعيا لأننى كنت متأثرا بطريقته فى الأداء وكنت أتمنى أن يكون مذيعا.

وحرصت أن أقدم تجربة له أمام الميكروفون فى برنامج ليالى الشرق وفى لقاء جمع بينه وبين الفنانة شادية وهذه السهرة أصبحت من الفلكلور الإذاعى الذى يؤرخ لجميع البرامج الحوارية فى الإذاعة العربية. وعندما دعوته فى هذا البرنامج كنت حريصا على أن أحضر له الموضوعات التى سيحدث فيها فوجئت أنه لا يحتاج لأى تحضير فقد كانت الموضوعات والأسئلة حاضرة وجاهزة فى ذهنه حرصت أن أحول أعماله وكتبه إلى مسلسلات إذاعية ومنها كتاب حول العالم فى ٢٠٠ يوم وكان يقوم بدوره الفنان الراحل صلاح ذو الفقار وأتذكر أن جميع من شارك فى هذا العمل كانوا على درجة كبيرة من الاستمتاع نظرا لكم المعلومات الكبيرة المفيدة الذى يحويها هذا الكتاب وكان هو حريصا على أن يحضر أثناء تسجيل الحلقات لكى يتأكد من سلامة الأداء والنطق اللغوى لكل كلمة فقد كان عاشقا للغة العربية ومتفقها فيها واستفدت أنا شخصيا من حضوره. له دور كبير فى ثراء المسرح المصرى والعربى سواء كاتبا لأكثر من ١٠ مسرحيات أو ناقدا.

عندما كنا نسافر معه فى رحلات إلى بعض من الدول العربية لمسنا فيه تواضعا شديدا وإنكار ذات وكان يحاول دائما أن يقدمنا على نفسه فى بداية حياته كان يهوى الغناء وكان يغنى فى الحفلات والمناسبات داخل محافظة الدقهلية وكان يصاحبه على آلة القانون د.مصطفى محمود وكان يغنى أغانى عبد الوهاب.

وأتذكر عندما سألته لماذا لم تغنِ أمام عبد الوهاب عندما تلتقى به؟ فكان رده على عجيب وقال لى عيب أن أغنى أمامه لأننى لو فعلت ذلك سأكون كما الشخص الذى يملك جنيها فى جيبه ويذهب ليتمنظر على البنك الأهلى. أما

بالنسبة للسينما فهناك سر لا يعرفه الكثيرون وهو أن أنيس منصور لم يدخل السينما إطلاقا إلا بعد أن تخرج من الجامعة لدرجة أنه عندما دخلها لأول مرة كان يلتفت يمينا ويسارا خوفا من أن يراه أحد وهو يرتكب هذا الفعل الشنيع وكان الفيلم الأول الذى شاهده من بطولة (ريتاهيوارت) وظل يكتب على الفيلم وعلى نجمته مرات ومرات وأعتبره حدثا رهيبا إلى أن لفتوا نظره فى أخبار اليوم وقالوا له: (أنت ماعندكش غير ريتاهيوارت) فقال لهم: هو فيه مين غيرها؟ فقالوا له: فلانة وفلانة. وبدأ يتابع هذه الدنيا الجديدة والعالم السينمائى الذى كان فى السابق غريبا عليه وبدأت تدخل كتب الفنانين إلى المكتبة الزاخرة التى يمتلكها كان بيتا خلاف حاد فى شيء واحد فقط فقد كان متحمسا لصوت فايزه أحمد ورفضا لصوت وردة وأنا صديق حميم لوردة ومتحمس لها ولصوتها جدا وحاولت مرارا أن أثنيه عن هذا العداء إلا أننى فشلت وحتى رحيله لم يكن لديه استعداد بأن يتقبل صوتها رغم أنه كان صديقا لبليغ حمدى ومحبا لألحانه.

منى خشبة:

كنت متابعة لكتابات الأستاذ أنيس منصور كلها.. ويشاء القدر أن يتم تعيينى بمؤسسة دار المعارف لأعمل ضمن كتيبة يقودها ويرأس مجلس إدارتها الأستاذ أنيس منصور، فكان يدهشك فإذا التقى بنا عند المصعد يقدمنا على نفسه ويتكلم معنا ببساطة وخفة ظل وأحيانا كان يصعد السلالم برشاقة وخفة ويترك لنا المصعد ولكنه فى نفس الوقت كان صارما فى العمل ومشجعا للجيل الجديد بحب وتفاؤل وثقة.

وكان مكتبه بمؤسسة دار المعارف- مجلة أكتوبر - مفتوحا على مصراعيه للصغير قبل الكبير،وكان فى أيام طباعة المجلة يسهر مع العاملين بالمؤسسة حتى أنهم يجدونه بينهم أحيانا فى انتظار الطبعة يجالسهم ويلاعبهم الشطرنج وكان عند دخوله عليهم ينتابهم الخوف ولكن سرعان ما يكسر بنفسه هذا الشعور ويحتضنهم بحنانه وأسلوبه العبقرى وأحيانا يطلب من قسم السكرتارية الفنية إعادة الصفحة أكثر من عشر مرات، ثم يقول «ألم تتعلموا شيئا من هذا»، ويتدخل بنفسه فى كل صغيرة وكبيرة فى إخراج الموضوعات ومتابعة المانشيتات.

وقد أصدرت له دار المعارف العديد من الكتب منذ أكثر من خمسة عقود مثل: (بقايا كل شيء، مع الآخرين، يوم بيوم، لو كنت أيوب، نحن أولاد للغجر، هي وعشاقها، ٣ مسرحيات كوميدية مترجمة وغيرها من الكتب)، وكان آخر كتاب صدر له كتاب الذى صدر عن دار المعارف كتاب (من أوراق السادات).

والحقيقة أنه لم تلق مذكرات سياسية فى العالم العربى ما لاقته أوراق الرئيس السادات من نجاح حيث كشفت الأحاديث الصحفية التى أدلى بها الرئيس السادات للأستاذ أنيس منصور حينما كان رئيس مجلس إدارة دار المعارف ورئيس تحرير مجلة أكتوبر أن من أوراق السادات لم تكن تسجيلا لحياته وعرضا تاريخيا لها وإنما هى دعوة إلى الأجيال القادمة إلى أن تقلب فى أوراق تاريخ مصر والعالم العربى وتنفض التراب والجليد عنه حتى تستفيد منه الأجيال المتعاقبة كما أنها المرة الأولى فى التاريخ التى يسجل فيها رئيس دولة عربية تفسيرا وتحليلا للعلاقات بين مصر والعديد من الدول العربية والأجنبية من واقع تجربته كرئيس.

وقد كلفت كمدير عام للنشر بمتابعة تنفيذ الكتاب، وهذه التجربة أثرت على شخصيتى ومدى ارتباطى وتعلقى بشخصية ذلك الهامة الصحفية والأدبية العظيمة، وكنت أتصل دائما بالأستاذ أنيس منصور وكان فى هذه السنوات الأخيرة يعانى من شدة المرض وكنت متحمسة جدا للكتاب، ولكنى حينما كنت أتصل به أحيانا أشعر فى صوته بالمرض الشديد كنت لا أستطيع استعجاله على الانتهاء من كتابة مقدمة الكتاب وكنت أقول له: إنى أسأل عنه فقط وعن صحته فكان يقول لى: « لا أنت طبعا تسألى عن الكتاب»، وكنت أخجل جدا لأنى أريد الكتاب فى أسرع وقت وكان يعدنى أنه خلال أيام سيضع لمساته الأخيرة بالكتاب وقد طلب منى أن يتصل به الفنان شريف رضا ليتفق معه على غلاف الكتاب لأنه يهتم بجميع التفاصيل الفنية والتحريرية وبالفعل حدد لوحة الغلاف بنفسه وكذلك بنط العنوان.

وعندما صدرت الطبعة الأولى لكتاب(من أوراق السادات) فى ١١/ ٢/ ٢٠٠٩ انهالت جميع الصحف والمجلات المصرية والعربية والعالمية

للكتابة عن هذا الكتاب وعن علاقة أنيس منصور بالسادات وكان يتصل بى يوميا، وكان يهتم بجمع هذه الأخبار وكان يشرح لى كيف أجمعها وأنشرها وكان سعيدا بهذه الكتابات سواء كانت من صحفى كبير او مبتدئ وخصوصا الرأى الناقد، وكان يعاتبنى أننى اكتب كل من مدح الكتاب ويقول لى: يجب أن تكتبى النقد عن هذا الكتاب قبل المدح. ولكننى كنت أفخر بكل ما يكتب وأحاول تسجيله. وقد عرضت كبرى دور النشر على الأستاذ أنيس منصور مبالغ طائلة وضعتها تحت تصرفه مقدما لطبع كتاب (من أوراق السادات)، ولكنه فضل أن ينشر كتابه فى مؤسسته دار المعارف التى كان يرأس مجلس إدارتها عندما أسس مجلة أكتوبر فى عام ١٩٧٦، ورفض جميع العروض والإغراءات المادية التى عرضت عليه واتصل بى وأبلغنى انه رفض جميع تلك العروض ودفعنى لإصدار طبعة شعبية إضافية إلى الطبعة الفاخرة من الكتاب ليكون الكتاب فى متناول الجميع،وتم طبع أربع طبعات للكتاب خلال عام واحد ونجح هذا الكتاب نجاحا كبيرا وكانت الطبعة تنفد وتباع وهى بالمطابع قبل صدورها، وقد وزع كتاب (من أوراق السادات)ما لم يوزعه أى كتاب آخر أصدرته دار المعارف لعدة سنوات.

وكان يتصل بى لمتابعة تسويق الكتاب رغم مرضه، وكان يتابعه كأنه مولود جديد له يريد أن يطمئن عليه، وقد لاحظت عند صدور هذا الكتاب رغم نجاحاته الدائمة فى كتاباته المتعددة أن صحته قد تحسنت كثيرا فى تلك لأيام. وقد أنهى كاتبنا الكبير مقدمته بعبارة رائعة كانت بمثابة التشجيع لى وهى: « أرجو أن أكون قد أرحت الأستاذة منى خشبة مدير عام النشر التى لاحقتنى برقة وأدب وأكاد أرى من صوتها الدموع فى عينيها، وأرجو أن تكون هذه الأوراق كافية لتجفيف دموعها والاعتذار لها».. وهو لم يكن يدرى أن صوتى كانت تغلفه الدموع لأننى كنت أجده مريضا، وأعتقد أن دموعى الأمة العربية لن تجف بعد فقدانهم عملاق الفلاسفة المتواضع الذى لم يترك القلم حتى فى آخر لحظات حياته.

د. حسين أبو الخير

تعرفت على أنيس منصور فى أخبار اليوم، كنت وقتها أستاذا مساعدا بكلية الفنون التطبيقية ورئيس قسم التصوير الإنتاجى الميكانيكى المسؤول عن صفحات الجرنال، وتصادف ذات مرة أن كانت مع أنيس منصور صورة ملونة صغيرة ٦×٩ غير واضحة وبها بعض العيوب، وكان يريد إصلاحها فقالوا له عنى، فطلبنى وكان وقتها فى الدور السادس فى آخر ساعة وربما كان هذا فى منتصف السبعينات، فأخذت الصورة منه وعملت عليها شغل وأعطيتها له زى الفل.. وبعد كام سنة وجدته يكلمنى ويقول لى: إنه سيصدر مجلة اسمها أكتوبر ويريد أن أشرف عليها لأن كلها ألوان.. وطالبنى بأن أتفرغ لها وأترك الجامعة وكان وقتها الأستاذ الجامعى له شنّة ورنّة، فرفضت، فقال لى العميد بتاعك بيأخد كام، أنا سأعطيك أكثر من العميد وسأجعلك مدير المطابع والمشرف على المجلة، بلاش ترد علىّ الآن، اذهب اسأل المدام أولاً، والحقيقة أن كل من سألتهم فى هذا الأمر نصحونى على قبول الوظيفة الجديدة، ولكن مدير جامعة حلوان وقتها الدكتور المرحوم عبدالرازق عبدالفتاح كان معترضا وغير موافق، وقال لى: لو أنا عندى مثلك عشرة لجعلت من كلية الفنون شيئا فى السماء، ولكننى قلت له: القطار فات المحطة، فوافق على الاستقالة، وفعلاً جئت دار المعارف، وأول شيء عملناه طلبنا ماكينة طباعة حديثة أربعة ألوان، كانت موجودة فقط فى قناة السويس، فأمر الرئيس السادات أن نأخذها فوراً، وبدأنا نعمل، وكانت أكتوبر أول مطبوعة تصدر هكذا، حتى أنهم كانوا يقولون إنها مطبوعة فى قبرص ولا يمكن أن تكون مطبوعة فى مصر، وكنا لا نكذب ولا نؤكد، فقط كنا نعمل سهرنا الليالى، وكان آخر ما أفعله كل أسبوع هو أن أمر بعد الفجر مباشرة يوم الجمعة إلى بيت الرئيس السادات وأترك له خمس نسخ من الإصدار الجديد كى يطّلع عليها، ثم أذهب إلى بيت أنيس فى الجيزة وأترك له أيضاً خمس نسخ وأعود بعدها إلى بيتى، وهكذا تطورت العلاقة مع أنيس منصور حتى صرت نائباً لرئيس مجلس الإدارة وأصبح أنيس جارى فى الفيلا بالبدرشين، وصارت علاقتنا أسرية وعائلية، وقد حزنت كثيراً عندما رأيته فى عيد ميلاده الأخير عندما وجدته يذبل ويكش بعد معاناته من فقرات الظهر والعمليات التى أجراها فى فرنسا.

فتحى الإبيارى

علاقتى بالأستاذ أنيس منصور تمتد إلى حوالى ٥٥ عاماً من العمل الصحفى ابتداء من مجلة الجيل فى مؤسسة أخبار اليوم ثم الملحق الأدبى بالأخبار ومجلة آخر ساعة وأخيراً مجلة أكتوبر.. وخلال تلك الرحلة الطويلة أعددت كتاباً عنه أطلقت عليه عزيزى أنيس على غرار كتابه عزيزى فلان، وظل هذا الكتاب فى أدراجى حتى هذه اللحظة.. أدعو الله أن أتمكن من نشره قريباً.. أول من جاء بى من الإسكندرية موطن مولدى كان هو أنيس منصور فى سنة ١٩٥٩، وبعدها صدر قرار تعيينى من الأستاذ على أمين.. أذكر أن أول علاقته بى عندما قرأ خبراً بعثته من الإسكندرية عن مرض الشاعر الكبير عبد الرحمن شكرى الذى يحتضر وحيداً فى الإسكندرية وكان عبد الرحمن شكرى أستاذاً للعقاد وللمازنى وصاحب مدرسة الديوان.. فجاء أنيس فوراً إلى الإسكندرية وعمل تحقيقاً صحفياً كبيراً لمجلة الجيل عنه يطالب فيه بسرعة الاهتمام به وعلاجه. وأذكر أن وزير الثقافة وقتها د. ثروت عكاشة بعث مندوباً من الوزارة لمتابعة هذا الأمر وتنفيذ علاجه، ولكن عبد الرحمن شكرى كان قد فارق الحياة، وأذكر أن الكاتب الكبير توفيق الحكيم قال لى: أنا لا أدرى كيف يمكن لأنيس منصور أن يصدر هذا العدد الكبير من الكتب، أعتقد أنه لا ينام، وإذا نام فإنه يفكر فى كتابة كتاب جديد فى الصباح، أسأله ما هو السر، وعندما قلت ذلك لأنيس ضحك.. كان أنيس شعلة نشاط يرهق الذين يعملون معه، لأنه يريدهم أن يعملوا مثله، ولا أنسى تلك اللحظات الأخيرة له فى مجلة أكتوبر عندما وضع مفتاح مكتبه على المكتب وآثر أن ينزل على السلالم فهى هوايته التى مارسها منذ كان صغيراً، وأنا فعلاً مع ما قاله الكاتب الكبير الراحل محمود تيمور عن أنه بحث عن شخصية تماثل أنيس ليقارنه بها فلم أجد من يشبه أنيس منصور إلا أنيس منصور.

د. عبدالمنعم الحفنى

هو صديقى الوحيد.. وسبب كل ما أنا فيه من خير، فقد عولجت فى أكبر مستشفى بالسعودية وهو مستشفى بجدة وعرفان بعد أن تعرضت لمشاكل صحيه خطيرة وكتب عنى الأستاذ أنيس فى الأهرام أربع حلقات متتابعة يطالب بإنقاذى وعلاجى وكان ذلك فى عام ١٩٩٤ حيث راح يستغيث برئيس الوزراء

ونقيب الصحفيين، وإذا بفاكس يصله من د. محمد عرفان صاحب ومؤسس هذا المستشفى يقول له فيه إنه مستعد لعلاجى فوراً ودون مقابل، وبالفعل بعث لى تذاكر السفر، وعولجت هناك لمدة شهر كامل، وعملت عملية قلب مفتوح تكلفت وقتها ١٠٠ ألف جنيه، ومن وقتها وحتى آخر لحظة لنا ونحن أصدقاء وصارت علاقتنا وثيقة جداً، ولا أنسى عندما قال لى: يا عبد المنعم أنت لو وقفت على كتبك والموسوعات التي كتبتها وألّفتها والبالغة ١٤٨ كتاباً لطلت الهرم ووصلته، وعندما أصبح مقرراً للجنة الفلسفة بالمجلس الأعلى للثقافة كان أول ما فعله أنه طلبنى معه وبسبب ذلك خرجت من المنزل الذى كنت أعكف فيه على مؤلفاتى ولا أخرج منه، وكان حريصاً على أن يعيدنى إلى بيتى فى كل مرة بسيارته ويجلس هو بجوار السائق وكأننى صاحب السيارة، وفى آخر اجتماع لنا الشهر الماضى باللجنة كان مرهقاً وصوته ضعيفا، وكان يميل علىّ كل فترة ليقول لى ما يريده.. وأذكر أنه تعب قبل هذه المرة الأخيرة ودخل المستشفى، ذهبت للاطمئنان عليه وكان هناك عدد كبير من الضيوف ومنهم وزراء ومسؤولون، وكتبت له الممرضة أسماء الموجودين، وفوجئت بأنه يطلبنى أنا أولاً وقعد معى طويلاً.. كان سخياً جداً وكثيراً ما عزم أصدقاءه ويصرف عليهم بسخاء، آخر عزومة لى معه كانت مع أصدقاء له من ألمانيا عددهم تسعة وكان معهم زاهى حواس.

د. عاطف العراقى

آخر ما طلبه منى أنيس منصور وكنا فى المجلس الأعلى للثقافة أنه قال لى: يا عاطف عندما تذهب إلى دير الدومينيكان أخبرنى حتى نذهب معا.. علاقتى بأنيس طويلة وممتدة وعميقة، فقد جئنا من نفس المدينة المنصورة وتخرجنا فى قسم الفلسفة وكان والدى رجب محمد العراقى مدرساً له فى مدرسة المنصورة الابتدائية، وكثيراً ما قال لى إنه يتذكره حتى اليوم، ولكننى رأيت أنيس لأول مرة وأنا طالب فى الكلية عندما دعته كلية الآداب فى عام ١٩٥٥ وأذكر إجابته عندما سئل لماذا تركت الكلية وذهبت للصحافة؟ فقال وهو يضحك لو بقيت فى الكلية ما كنت امتلكت سيارتين ملاكى، ثم رأيته بعد ذلك مرات أخرى فى ندوة العقاد التى داومت على حضورها لأكثر من خمس سنوات ومازالت صور العقاد محفورة فى ذاكرتى حتى الآن، طريقة قعدته، حركة يده

الدائمة على جانب بطنه بسبب مشاكله مع القولون، طريقة كلامه، تون صوته.. كما أننى كنت أذهب إليه فى أخبار اليوم كلما احتاج بعض أصدقائنا من أساتذة الجامعة نشر أخبار عن كتبهم الجديدة، حيث كانوا يستعينون بى عند أنيس منصور كى ينشر لهم أخبارا فى باب أخبار الجامعات الذى كان يشرف عليها.. ولا أنسى أن أنيس منصور كان أول من بشرنى قبل الجميع بفوزى بجائزة الدولة التقديرية العام الماضى حيث طلبنى فى فترة الراحة بعد التصويت على التقديرية وقبل الاقتراع على جائزة مبارك وقتها، وقال لى مبروك يا عاطف الجائزة أخذتها من أول جولة وبأعلى الأصوات.. قلت له منذ شهور بعد أن أستلم مقرر لجنة الفلسفة من جدول عام، إننى أمتلك كنزاً ثميناً وهو خطاب من الأب جورج قنواتى إلى توفيق الحكيم كتبه له أثناء الأزمة التى تعرض لها الأخير بسبب مقاله (رسالة إلى الله)، وقال لى أنيس أمام جميع أعضاء اللجنة هاته وأنا أنشره، فقلت له: أخاف عليك وعلينا من توابع هذا الخطاب، وكان آخر ما عاصرناه معه فى الشهر الأخير أنه قرر أن يقدم العدد القادم لمجلة الفلسفة والعصر التى تصدر مرة كل عام عن المجلس الأعلى للثقافة على محورين أساسيين، الأول عن المرأة والفلسفة والثانى عن الفكر العربى المعاصر.. وكان أن سأله أحد أعضاء اللجنة هل ملف المرأة هذا معمول لصالح من، لصالح سوزان مبارك أم لصالح إسرائيل؟ فنظر له أنيس منصور ولم يرد عليه، ولكننا فوجئنا فى الجلسة التالية مباشرة بأن أنيس سجل فى محضر الجلسة السابقة إصراره على ضرورة اعتذار هذا العضو كتابياً أو يمنع من الحضور وقد كان له ما طلب.

أنيس منصور .. نمط إنسانى نادر الوجود

أستغفرك ربى وأتوب إليك سبحانك.. فقد جاء إلينا الخبر كالصاعقة رغم أنه من لطف الله بعباده كانت تسبقه مقدمات يمكن أن تخفف من هول الفاجعة..

إنه خبر رحيل من كنا نظن أنه لن يرحل لأنه خالد خلود فكره فى عقولنا وباق بقاء صنائعه الجليلة فى قلوبنا.. ولكن هذا قضاء الله وقدره والذى لا نملك حياله إلا التسليم والاستغفار والحمد فى كل الأحوال.. فقد مات الأستاذ والأب والأخ الأكبر لقد غادر دنيانا الكاتب الموسوعى النادر والفيلسوف المتميز والمفكر العبقرى والأديب الموهوب والمحلل السياسى البارع والمؤلف المسرحى القدير والكاتب الصحفى المرموق..

إنه فقط أنيس منصور الذى تعددت مواهبه وتنوعت قدراته الإبداعية وتباينت ملكاته وكان فى مجملها هو الأستاذ.. الأستاذ بحق وليس كما يدعى بعض من يصفون أنفسهم بالأستاذية.. إنه مرة أخرى أنيس منصور مؤسس هذه المجلة التى بين يديك وجعلها أنيس منصور مصدرا رئيسيا لوكالات الأنباء العالمية لتستقى منها الأخبار حول قضية الشرق الأوسط حتى جاء مولدها مواكبا تقريبا لعملية السلام فى النصف الأخير من سبعينيات القرن الماضى.. إنه أنيس منصور الذى تجاوزت طبعات مؤلفاته على كثرتها وتنوعها الخمسين طبعة فى واقعة ثقافية نادرة الحدوث وغير مسبوقة حتى لأساتذته العارف هو بفضلهم عليه أمثال عباس العقاد وطه حسين ود. عبد الرحمن بدوى ممن جعلهم الفقيد الراحل محورا لكتاباته فى كتبه ومقالاته الصحفية.. مؤكدا عرفانه بفضلهم كمصابيح أضاءت الطريق أمامه فى كتاباته الأدبية والفلسفية ليصبح نجم نجوم هذه النوعية من الإبداعات الفكرية فضلا عن مبدعين فنا وأدبا وفلسفة خارج حدود الوطن وكانت لهم أيضًا آثارهم الفاعلة فى تكوين طاقته الفكرية ومنهم جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار فى فرنسا

وألبرتومورافيا فى إيطاليا وغيرهم ارتبط بصداقات وطيدة معهم حيث استحوذ بعضهم فى فترة زمنية على وجدان أنيس منصور الفكرى خاصة فى مرحلة البداية حين تبحر فى دراسة الفلسفة الوجودية والتى بدلا من أن تفقده عقيدته الإيمانية بالخالق الأعظم فإنها لانت له طوعا وفعلت ما أراده لها وهو العكس تماما حيث استوعب كل هذه التحولات الفكرية العميقة من منظور إيمانى فى حياته لتنتهى به إلى عميق الإيمان بأن هذا الوجود لم يخلق عبثا واستدل على ذلك بقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾، ولكنه خلق بقدرة واحد أحد لا يمكن أن يكون له شريك فى ملكه حتى يستقيم الكون وتستقر أركانه انتظارًا لكلمة النهاية حين يأذن الله وتكون الدار الآخرة ليلق كل إنسان نظير ما عمل مصداقا لقول الحق سبحانه تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾، وهكذا كان أنيس منصور مؤمنا إيمانًا يقينيا أمده بالقدرة على تطويع الفلسفات الغربية إلى ما لا يتناقض وشريعة الله فى أرضه..

ورغم الثراء الفكرى الذى تميز به إنتاج الكاتب الكبير أنيس منصور ورغم الشغف بهذا الإنتاج المتنوع لجيلى والأجيال السابقة واللاحقة لما يتمتع به من عمق وجزالة وخير دلالة على ذلك أن هذا الإنتاج هو أكثر الإبداعات الأدبية فى عالمنا العربى شهرة وذيوعا وتوزيعا على خريطة الآداب العربية على اختلاف نوعياتها الا أننى سوف أترك للباحثين وما أكثرهم تناولها نقديا، وكذلك للدراسين ومعظهم قد نال فى دراستهم كثيرا من شهادات الماجستير والدكتوراه ليست فى عالمنا العربى فحسب وإنما فى كل أقطار الدنيا التى عرفت بحق قدر الرجل ومكانته الفكرية ولذا ففى هذه المناسبة التى نودع فيها أستاذنا العظيم يجدر بى كأحد تلاميذه ممن احتضنهم وأولاهم رعايته مع زملائى الذين واكبوا تأسيس وقيدنا الغالى لمجلة أكتوبر والتى تمثل شعلة للاستنارة الصحفية والتى أضاءها أنيس منصور لتظل نبراسا يذكرنا وقراء مجلتنا بفضل هذا الإنسان وتحفزنا دائما للدعاء له بالرحمة والمغفرة.. وإذا كان قراء أنيس منصور قد أحبوه مبدعا فائق الموهبة فإننا وأبناءه وتلاميذه قد أحببناه حبا مضاعفا لأننا عشنا معه ليس أديبا أو مفكرا فقط وإنما إنسان وهذا لمن لا يعرفه هو الجانب الأعظم فى شخصيته وسر من أسرار روعتها..

وقد التحقت بالمجلة وأنا لم أتجاوز الخامسة والعشرين وكـان الأسـتاذ أنـيس يعد الأعداد «الزيرو» التى تسبق الإصدار الرسـمى حتـى جـاء موعـد صـدور العدد الأول فى ٣١ أكتوبر ١٩٧٦ ليصبح مفاجأة الوسط الصحفى، حيث جـاء مغايرا لكل الإصدارات المماثلة فى ذلك الوقت وقد لاقت قبولا غيـر مـسبوق فى السوق الصحفية خاصة وقد شملها الرئيس الراحل أنـور الـسادات برعايتـه وخصها بكثير من الأخبار التـى انفردنـا بنـشرها فى تلـك الأيـام التـى شـهدت تحويلا فى الخريطة السياسية المصرية حتى أصبحت وكالات الأنبـاء العالميـة تنتظر ما تنشره أكتوبر وترسله إلى كبريات الصحف العالمية نقلا عنها ولهذا فقد تربعت أكتوبر على عرش الصحافة المصرية والدوليـة وفى غمـرة هـذا النجـاح المذهل لم ينس أنيس منصور رعايته لأبنائه من صغار المحررين والـذى جعـل منهم كبارا رغم حداثـة تجـربتهم الـصحفية ولنـا تـدليل عـلى ذلـك كثيـر مـن الذكريات التى تسجل تجربتنا الثرية فى ظل هذا الكاتب العمـلاق والتـى أذكـر منها ما يخصنى حيث توليت النقد السينمائى بالمجلـة وكـان يتـيح لى فرصـا لم تكن تتاح لأساتذتى فى الصحف الأخرى ومنها تغطيتى للمهرجانات السينمائية وكان صديق عمره الراحل كمال الملاخ هو مؤسـسها فى مـصر وقـام الأسـتاذ أنيس بتقديمى له بزميلى «فلان» حتى أصبح الملاخ صديقا لى رغم فارق الـسن والخبرة والمكانة.. وحينما افتتح الملاخ مهرجان الإسكندرية فى دورته الأولى سألنى الأستاذ أنيس سؤالا مباغتا بقوله ألن تشرب شاى فى بهو الفندق؟! أجبته سريعا نعـم سأشـرب فقـال مـنفعلا إذن لمـاذا لا تقـدم طلبـا لبـدل الـسفر؟.. فتلعثمت إجابتى لعـدم معرفتـى بهـذه الإجـراءات فمـا كـان منـه إلا أن أطلـق ضحكته الشهيرة وأخرج ورقة من مكتبـه مـصدرا قـراره بـصرف بـدل الـسفر مودعا لى مع دعواته بالتوفيق مـشفوعة بكلمـات التـشجيع التـى تبـث الثقـة فى الصحفى الصغير الذى يقدم على تجربة غير مسبوقة فى حياته الصحفية القصيرة وتمر السنوات مليئة بتجـارب مماثلـة تـتجلى فيهـا الأبـوة والأسـتاذية فى ذات الوقت ومقابلها منى هو الشكر والعرفان.. إلى أن استدعيت للخدمة العـسكرية فكانت مبادرة طيبة منه حين أقر مكافأة شهرية مجزية لى خلال مدة تجنيدى مع استمرارى فى كتابة باب النقـد الـسينمائى وتمـر شـهور قليلـة لأجـد نفـسى لا أستطيع مواصلة العمـل فى المجلـة لالتزامـى بالمبيـت فى وحـدتى العـسكرية

وجئت إليه يوما معتذرا عن الكتابة إذا لم يخاطب مدير الشؤون المعنوية وكـان اللواء عبد الفتاح العيسوى وهنا ضحك الأستاذ ورفع سماعة التليفون قائلا يـا كمال بيه زميلى فلان مجند عندكم وأرجـوكم تخفـوا عليـه شـوية لأنـه ملتـزم بتحرير بابا أسبوعى بالمجلة وانتهت المكالمة بشكر الأستاذ أنيس لكمـال بيـه الـذى لم يكـن سـوى الفريـق أول كمـال حـسن عـلى وزيـر الـدفاع آنـذاك.. وفى سنواته الأخيرة فى أكتوبر وقبل استشهاد الرئيس أنور السادات بشهور قليلة أراد الأستاذ أنيس منصور تقديمنا للرئيس السادات فكانت دعوتنا جميعا للغداء فى ميت أبو الكوم وهناك قام بتقـديمنا واحـدا واحـدا للـرئيس الـذى صـافحنا بحرارة وحفاوة وقضى معنا وقتا قارب الخمس سـاعات فى جلـسة حكـى لنـا الرئيس بعض ذكرياته وأعقبها بالغداء واختتمت الزيارة بجولة فى البيت الريفى وفوجئت بالأستاذ أنيس منصور يقدمنا مرة أخرى للرئيس والتقطت لنا الـصور ونحن على مقربة من الرئيس السادات فى حديقة منزله.. هذا هو أنـيس منـصور الذى فقدناه أستاذا وأبا وأخا كبيرا.. إنه النمط الإنسانى الرائع الذى لن يتكرر.. إنه فقط أنيس منصور.. رحمه الله وجعل الجنة مثواه لقاء ما قدمت يداه.

حكايته مع الأرواح والأشباح

مع الأرواح والأشباح كانت لأستاذ أنيس منصور حكايات وروايات عن الأرواح. فكان- رحمه الله- محبا للكون بكل ما فيه من مخلوقات الله، وكانت تتملكه روح تتخيل وأنت تقرأ له إنها كانت تهيم فى السماء ليلا وتهبط على الأرض نهاراً وهذا يدل على نوعية أسلوبه فى الكتابة الذى كان يتقنه بشيء من السخرية الجاذبة التى تجعلك تهتم بكل هذه الأشياء لأنه كان يمزج الواقع بالخيال وكانت مقولاته الساخرة يغلفها بتهكم بارع الوصف والتصوير، وقد خلط دراسته بالفلسفة وعلاقته بعباس العقاد وقد ظهر هذا فى جميع كتب الأستاذ.

أما الكتاب الشائق والممتع والمرعب والمخيف فى ذات الوقت فهو كتاب «أرواح وأشباح» والذى تناول بعض حكايات هذا الكتاب والذى برهن فيه على انه كان معتقداً فى الغيبيات والخرافات والقوى الخارقة وهذا نابع من حبه للكون بكل ما فيه من هوام ومخلوقات نراها ولا نراها.

يبدأ الأستاذ فى كتابه بأن تحضير الأرواح يعتبر من أكثر الظواهر الغامضة فى حياتنا والبعض يصدق أنه من الممكن إجراء اتصال حقيقى بالأرواح وأن هذا الأمر يقتصر على الناس فمن وهبهم الله موهبة الاتصال، والبعض لا يصدق إمكانية وجود أى اتصال مع عالم الأرواح ويعتبر ذلك تخاريف ونوعا من أنواع السحر الأسود لجأ إليها السحرة بعد أن تم تعقبهم من السلطات فغيروا من اسم نشاطهم من السحر إلى تحضير الأرواح ليفلتوا من العقاب.

البداية

جاءت بداية فكرة تحضير الأرواح فى أمريكا سنة ١٨٢٨ ثم انتشرت بعد ذلك فى أوروبا والعالم كله وتم تأليف كتب فيها وصارت علما يدّرس فى بعض الجامعات وقامت العديد من الجامعات بتحضير الأرواح وعلى أساس وهذه الفكرة كانت إمكانية السيطرة على الأرواح بعد موت الجسد وإمكانية استحضارها فى أى وقت لتتحدث من عالم الأرواح.

الوسيط:

ومن إحدى القصص فى كتاب أرواح وأشباح أن يمكن الاتصال بالأرواح بعدة طرق منها التجسيد والتقمص بالوسيط وذلك عن طريق أن تحتل الروح جسد أحد الوسطاء بعد دخوله فى غيبوبة مؤقتة وتتكلم الروح بلسان الوسيط وتجيب عن الأسئلة التى تطرح عليها، وذكر مغامرات الكونت «لوى هامون» الذى اشتهر بكتابة قصصه عن الأرواح والمنازل المسكونة، ورغم خوفه ورعبه الشديد فإنه أصر على التأكد بنفسه من وجود الأشباح فى المنازل التى يكتب عنها.

وكانت آخر تجارب هذا الكونت أنه سمع عن وجود أصوات مزعجة فى منزل تسكنه سيدة عجوز صماء تعيش وحيدة بسبب خوف الخدم وهروبهم من تلك الأصوات المزعجة فقرر أن يخوض التجربة وطلب من تلك السيدة أن يستأجر منها المنزل فوافقت العجوز وحذرته من وجود أصوات مخيفة يسمعها الخدم فى تمام الساعة العاشرة مساء ولكنها لا تسمعها بالقطع، وبالفعل أقام الكونت فى المنزل هو وسكرتيره الخاص وانتظر حدوث الأصوات وفى تمام الساعة العاشرة سمعنا طرقا على الأبواب بعظام بشرية وضحكات مخيفة وأضيئت أنوار المنزل كله وهنا تأكد الكونت أنه أمام روح شريرة أو روح معذبة.. فاستدعى وسيطا أعمى يستعين به دائما واستطاع هذا الوسيط التحدث مع الروح وعرف أنه رجل اسمه «كارل» كان يقيم فى هذا المنزل منذ ١٢٠ عاما وقام بقتل صديقه لأنه غازل زوجته «شارلوت» ودفنه فى المنزل وكان يبكى وهو يدفنه ثم ماتت زوجته ودفنت فى المنزل أيضا وهو لا يريد تركهما ولا يريد أن يزعجه أحد لذلك يقوم بتخويف كل من يسكن المنزل وانتهت المغامرة بعقد اتفاق بين الكونت وروح كارل ليتوقف عن تخويف ساكنى المنزل بشرط أن يتم تخصيص حجرة يتم وضع منضدة ومقعدين بها لأن كارل سيقابل زوجته فى تلك الحجرة ونفذ اللورد الاتفاق وخصص حجرة فى المنزل لكارل وزوجته والعجيب أن تلك الأصوات توقفت بعد ذلك.

التجسيد:

ويذكر الأستاذ فى كتابه أن هناك طريقة أخرى للتواصل بين الأرواح والبشر وفيها التجسيد: ويعنى أن تظهر الروح مجسدة فى صورة مطابقة لصورة صاحبها فى الدنيا أو يمكنها أن تتحدث، كما يمكن التقاط صورة لها بواسطة الأشعة تحت الحمراء ويقال إنه تم التقاط صورة من هذا النوع لروح الملكة «استويد» ملكة بلجيكا.

وذكر أيضا قصة لروح تم التقاط صور لها وتعود بداية هذه القصة لسنة ١٧١٠م حيث كانت هناك فتاه تدعى «دوروثى» ابنه روبرت والبول» عضو مجلس العموم البريطانى وكان أخوها «سير روبرت والبول» رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الوقت وقد أحبت هذه الفتاه شابا من النبلاء لكن والدها اعترض على زواجهما لأسباب سياسية وتزوج حبيبها من فتاة أخرى، لكن دوروتى لم تستلم وانتقمت من أسرتها بأن عرفت كل ليلة شابا حتى قام والدها بقتلها وأعلن عدم تقبل العزاء فيها وكانت تظهر لهم وتتجسد فى شخصيتها لذلك قام بنفس الطريقة حتى ترتاح روحها وتصعد إلى بارئها.

حركات النصب:

ويؤكد أنيس منصور فى كتابه «أرواح وأشباح» أنه رغم انتشار الكلام عن الأرواح وتحضيرها وإمكانية استحضار أرواح الموتى والتحدث معها والتعرف على عالمها الغامض فإنه لم يمكن حتى الآن إثبات صحة أى اتصال بالأرواح وإمكانية رؤية الإنسان لشبح حقيقى والتحدث معه بأية لغة وأية وسيلة.

وأن هناك وسيلة لإثبات أن تلك الفكرة خرافية أعلنت مجلة «ساسيتتبك» أميريكان» عن جائزة مالية ضخمة لمن يؤكد صدق هذه الظواهر الروحية ولكنها لا تزال تنتظر ولم يفز أى أحد بالجائزة ولعل ذلك دليل على بطلان هذه الظاهرة.

أما علماء النفس فقد فسروا هذه الظاهرة بأن العقل الباطن والذى ينسج الشخصية ويجعلها تتكلم أو تكتب أو غير ذلك من أفعال وهم يبرهنون على ذلك بأن إحدى الطرق الخاصة بتحضير الأرواح تنص على إحضار ورقة وقلم

رصاص ويتم رسم بعض الخطوط بدون رفع القلم، وبعد ذلك يتم إرخاء اليد فإذا كتبت اسم الشخصية بطريقة ملتصقة فإن ذلك يعنى أن الروح التى يتم تحضيرها قد تحكمت فى يد الوسيط ، وقد فسر العلماء ذلك بأن اليد معتادة على كتابة الاسم آلاف المرات وأن العقل الباطن قام بعملية «flash back» فيجعلها تكتب الاسم، وعند سؤال الروح أى سؤال فإن العقل الباطن يفرض أنه ليس هناك حركات نصب أو شخص يتحدث من وراء باب مغلق أو ستارة مدلاة مع وجود ايحاءات مختلفة من إضاءة خافته ونقل الأجسام وتحريكها بتتابع معين للإيحاء بوجود اتصال بالأرواح وفى نهاية كتابه قال- رحمه الله- على العموم فإن أغلب الطرق أن جلسات تحضير الأرواح هى نوع من السحر الأسود وهذا ما يؤكده فضيلة الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود- رحمه الله- فى كتابه «توازن الأرواح» فيقول: إن ما يحضر فى هذه الجلسات التى يعقدونها ليست روحا لبنى بشر وإنما هى أنواع من الجن تحضر سخرية من بنى البشر أو تضليلا له.

وصدق الله العظيم حين قال:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء الآية ٨٥).

قراءة الكف والفنجان:

ومن الطرائف التى كان دائما يتندر بها أنيس منصور- رحمة الله عليه- مجالسته لمن يقرؤون الطالع والكف وقراءة الفنجان من الشاى والقهوة وكان دائما يقول: إن هناك أناسا لهم قوى خارقة أو أرواحاً شفافة بحيث تقرأ شكل السحاب ويفسره الكاتب الراحل بـ «الظن» الذى يستخدم لمعرفة الحاضر وليس معرفة الغيب لأن الغيب لا يعلمه إلا الله، بالإضافة إلى قراءة الكف والكوتشينة ويطلق عليها «الطاروت».

ويذكر أنه تعرف إلى عرافة يهودية اسمها «مريم» وقالت له: إن السادات سيقتل وعندها قال للنبوى إسماعيل الذى قال له: إن السادات يعلم أن هناك من يريد أن يقتله وقال له: إن الأعمار بيد الله.

وتلك المغيبات أو الغيبيات وغيرها كثير اختص الله سبحانه وتعالى بها الرسول ﷺوهو ما يؤكده هذا الحديث قالى ﷺ: «ما منكم من أحد ألا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا: وإياك يارسول الله قال: وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بالخير».

بأقلام تلاميذه

هذه السطور سطرها تلاميذ أنيس منصور بقلوبهم وليس بأقلامهم يروون فيها لحظات مع وعن المعلم الأول الذى خطوا الخطوة الأولى فى عالم صاحبة الجلالة بين يديه

أستاذى وداعًا

لا أعرف من أين أبدأ فى وداع أستاذى أنيس منصور.. هل أكتب عن الصحفى اللماح أم عن الكاتب الموسوعى أم عن السياسى المستتر أم عن الإنسان الحنون العطوف؟.. لقد كان كل ذلك وأكثر.. لقد اقتربت منه كثيرا حيث شملنى برعايته وعلمنى بأستاذيته ونصحنى بخبرته وأهدانى كتبه بعد أن وضعنى «على القضبان» كما يقولون.. فى بداية مشوارى الصحفى، حيث طلب أن أعمل معه مباشرة على الرغم من حداثة عهدى فى العمل بالمجلة، وذلك بعد أن أنقذنى من مؤامرات «عواجيز الفرح» بالمجلة وقتها الذين لم تعجبهم شخصيتى ورغبتى فى الاحتفاظ باستقلالى وعدم الدخول فى «شلل» التابعين!

نعم.. إننى أدين بالفضل- بعد الله- فى عالم الصحافة إلى هذا الرجل الذى كان يتمتع بنظرة ثاقبة وأستاذية كانت بمثابة «المظلة» التى حمت الشباب من أمثالى وقتها من مؤامرات الصحافة المعتادة مع الصحفيين الجدد.. لقد علمنى احترام الذات فى التعامل والجدية فى العمل والانضباط فى المواعيد.. وكثيرا ما كان يجمعنا أنا وزملائى من شباب المجلة وقتها ليسألنا ماذا نقرأ هذه الأيام؟ فقد كان من رأيه أن لكل مهنة «عدة» وعدة الصحافة هى القراءة سواء فى الكتب أو فى الصحف والمجلات.. وكان يشطاط غضبا لو رآنى جالسا على مكتبى.. ففى رأيه أن الصحافة فى الشارع مع المصادر وبين الناس.. وفى إحدى المرات كلفنى بالنزول لمقابلة النائب العام وإحضار أحدث القضايا محل التحقيقات.. وإلا!

وذهبت وقتها للمستشار صلاح الرشيدى- عليه رحمة الله- وأخبرته أننى مهدد بالفصل إذا لم أحصل على تفاصيل القضية الخطيرة التى تحقق فيها النيابة.. فضحك الرجل وهو يقول «بلاش شغل الصحفيين ده معايا يا محمد» ولكنه كان يحبنى ويشجعنى وأعطانى تفاصيل قضية العثور على مخزن أسلحة بمنطقة سيناء، وعدت مسرعا إلى «الأستاذ» الذى أحسن استقبال ما أنجزته وهنأنى عليه ونشره بالصفحة الأولى من المجلة، حيث نقلته عنا جميع الصحف والمجلات المصرية والعربية والأجنبية.

وفى إحدى المناسبات سألنى: كيف تعمل محررا قضائيا وأنت غير دارس للقانون، وتلعثمت فى الإجابة بما معناه أننى اقرأ بعض الكتب وأتابع مرافعات النيابة والمحامين.. ولكنه أصر على دراستى للقانون لأكون ندا فى تعاملى مع المصادر من أعضاء الهيئات القضائية.. فقد كان يؤمن بأن الصحفى لابد أن يتمتع بثقافة خاصة فى القطاع الذى يعمل فيه..

وفى مناسبة أخرى سألته وكان قد بدأ فى نشر مذكراته فى صالون العقاد.. هذا العمل الأدبى الثقافى الضخم.. كيف تكتب على لسان المحاور فى الصالون، كل هذا الكلام وبدقة بالغة ولم يكن هناك تسجيلات ولا كلام مكتوب وإنما حواراته شفهية تتجدد كل أربعاء فى منزل الأديب الكبير عباس العقاد؟.

فأجابنى بأن الله وهبه «ذاكرة» قوية استطاع من خلالها مع بعض القصاصات البسيطة أن يستعيد وقائع تلك الجلسات وكأنها حدثت بالأمس القريب..

لقد كان الأستاذ يتمتع فعلا بذاكرة قوية كانت تنعكس على ما يرويه لنا نحن تلاميذه من ذكرياته القديمة مدعمة بالتواريخ والأسماء والأماكن. كما كان له قدرة غريبة على الكتابة فى كافة الموضوعات ببساطة ويسر وأسلوب ممتع وجمل قصيرة قوية.

الذكريات كثيرة والمواقف متعددة ولكن القلم لا يسعفنى.. فالعين تدمع والقلب يحزن على فراق الأب والأستاذ أنيس منصور.

رحمه الله وأدخله فسيح جناته..

من موقف

إنسانيته وإداراته

كان لأستاذنا الكبير أنيس منصور مواقف كثيرة تنم عن ثقافة وأصالة وحُسن تصرف فمن المواقف التى عايشتها أنه فى أول أيام عملى بمجلة أكتوبر كانت هناك طفرة صحفية عظيمة ظهرت فى مجلتنا التى ولدت على يديه ثم وصلت إلى ريعان الشباب منذ ولادتها فكانت مثالا لتجمع كل المدارس الصحفية التى تأثر بها أستاذنا الكبير فهو العقاد فى أدبه ومصطفى أمين فى أخباره وعلى أمين فى طيبته ومحمد حسنين هيكل فى دهائه وسرعة بديهته. ففى يوم كنا أنا وزميلى الأستاذ عبد الجواد المصرى نصحح موضوعاً لأستاذنا سيد نصار وكان الأستاذ سيد نصار- لقرب عهدنا بخطه - فظهرت ثلاثة أخطاء فى مقاله لا تغير المعنى ولكن فى اللفظ وإذا بالأستاذ سيد نصار يصمم على رفت من قام بتصحيح الموضوع، فما كان من الأستاذ أنيس إلا أن قال: لا، لا تجد إلا من يعملون وتحاول رفتهم.. وإذا بالأستاذ سيد نصار يسأل عنا أنا والزميل عبدالجواد المصرى وسألنا من الذى عينكما؟ قلنا: الأستاذ أنيس.. فقال لذلك عرفت السبب.. وروى لنا ما حدث بينه وبين الأستاذ أنيس. وموقف آخر يدل على إدارته الحكيمة للأمور، صعد أحد زملائنا - رحمه الله - يشكو آخر.. فإذا بالأستاذ أنيس منصور يقول لمدير مكتبه: ابعت لفلان المشكو فى حقه.. ليتلاقيا ويواجههما وجها لوجه، فكان لا يذهب إليه أحد بعد ذلك إلا أن يكون صادقا فى كلامه.. رحمه الله رحمة واسعة بما علم تلامذته.. وبما كان له من إنسانيات لم يترك واحدا ممن يعملون معه إلا استفاد بشىء علما أو عملا.

وداعا أستاذنا

برحيل الكاتب الكبير أستاذنا الفاضل أنيس منصور فقدت الساحة الثقافية والصحفية مفكرًا مؤثرًا وشخصية مهمة فى مجالات الأدب والثقافة والصحافة وترك فراغا يصعب ملؤه وسيظل علامة بارزة فى تاريخ الحياة الأدبية والصحفية وفى شتى مجالات المعرفة.. وتربطنا نحن أسرة تحرير مجلة أكتوبر صلات قوية وعلاقات مميزة بالحب والإخلاص والتقدير والثقة والوفاء لما اكتسبناه من قيادته لنا فى مسيرة المجلة من تجارب ومعرفة وخبرة ستظل زادًا وثروة ونورًا معنا طوال العمر.. ولن ننساه أبدًا.

وهنا أبادر كشاهد عيان وما تربطنى بكاتبنا الكبير من صلة قرابة وقارىء دؤوب لمقالاته وكتبه وعضو هيئة تحرير مجلة أكتوبر قبل إصدارها.. أن الرئيس السادات عرض فكرة إصدار المجلة على الكاتب والأديب الكبير الأستاذ إحسان عبد القدوس رئيس تحرير مجلة «روز اليوسف» ولكنه اعتذر عن تولى هذه المسؤولية الصعبة والشاقة خاصة أنه يتولى رئاسة تحرير مجلة كبرى ذات تاريخ عريق، وبعد عرض هذه المهمة على الأديب والصحفى اللامع الأستاذ يوسف السباعى والكاتب الكبير يوسف إدريس وقد اعتذر كل منهما أيضًا.

وبعد ذلك عرض الرئيس السادات هذه المهمة على الأستاذ والكاتب والأديب أنيس منصور، وبعد تفكير عميق ناقش الرئيس السادات من جوانب متعددة فى مقاصده من إصدار مثل هذه المجلة التى تحمل اسم النصر العظيم ووافق على هذه المهمة الشاقة ولكنه فاجأ الرئيس السادات بشرط واحد للقبول وهو «ألا يتدخل فى فرض أى اسم لمحرر أو كاتب أو أية جهة فى سياسة المجلة تحت التأسيس ومسيرتها وأن تترك له الحرية كاملة فى هذا التخصص وتكوين أسرة تحرير المجلة وسياساتها الصحفية..

ومازالت مجلة أكتوبر تواصل صدورها ومسيرتها الصحفية تحتل موقعًا مهما وبارزًا وتولى رئاسة تحريرها تباعًا كبار الكتاب والصحفيين الأساتذة الكبار صلاح منتصر ورجب البنا ومجدى الدقاق وإسماعيل منتصر رئيس مجلس إدارة المجلة الحالى ومحسن حسنين رئيس التحرير الحالى.

نقطة نظام

أستاذى الذى علمنى الصحافة

أذكر يوم أن تخرجت فى كلية آداب عين شمس قسم فلسفة لم أكن أتصور أو أتخيل ان أعمل فى المجال الإعلامى، ولم أكن طول فترة دراستى بالجامعة أعلم اننى سوف أمارس هذه المهنة.

إلى ان تلقيت هاتفا من والدى وكان وقتها فى زيارة عمل لدولة الإمارات مرافقاً للدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء فى ذلك الوقت والأستاذ أنيس منصور رحمه الله وآخرين وجاء مقعده بالطائرة بجوار الأستاذ أنيس ودار حوار بينهما عن أول ماكينة طباعة بالألوان فى مصر تملكها هيئة قناة السويس. ولأن مجلة أكتوبر هى من بنات أفكار الرئيس الراحل أنور السادات وراعيها فقد كلف الأستاذ بتأسيسها واختيار معاونيه لتصدر مجلة تليق بالاسم والمناسبة.

وفى ذات الوقت أصدر الرئيس الراحل أمراً للمهندس مشهور أحمد مشهور رئيس الهيئة فى ذلك الوقت بتسليم ماكينة الطباعة للأستاذ ليبدأ بها طباعة أول أعداد المجلة.

دار الحوار بين والدى الذى كان يشغل نائب رئيس الهيئة وقتها والأستاذ حول كيفية تنفيذ تكليفات الرئيس وتطرق الحديث حول أننى قد تخرجت فى الجامعة ومن ذات القسم والتخصص الذى تخرج فيه الأستاذ وجاءت الدعوة من الأستاذ الكبير لأنضم إلى أسرة تحرير المجلة بهذه الدعوة تحدد مصيرى ومستقبلى وبدأت أولى خطواتى فى المجال الإعلامى كانت فرحتى تفوق أى فرحة فقد جاءت الدعوة من هذا العملاق بما له من مؤلفات عديدة وحضور يحلم أى فرد أن يقابله، خاصة أنه كان قد أصدر فى ذلك الوقت أشهر مؤلفاته ٢٠٠ يوم حول العالم.

لم تغمض عينى فى هذه الليلة سألتقى وأعمل تحت ظلال هذا العملاق الكبير هل أنا فى حلم؟!

أذكر وقت اختيار غلاف المجلة فى كل أسبوع يوجه الدعوة لى مع زملائى لمناقشة وأخذ الرأى فى الاختيار الأمثل ربما كان له اختياره لكن مشاركتنا فى الرأى فى اختيار الغلاف ساعد فى تنمية شخصياتنا كان دائماً معنا نفاجأ به وسط صالة التحرير يناقشه ويطرح الموضوعات ويستمع ويساعدنا فى اختيار الأدوات، باب مكتبه مفتوح دائما للجميع، أذكر فى أول مهمة صحفية أكلف بالقيام بها انقلبت بنا سيارة المجلة أنا والسائق والمصور فى طريق الإسماعيلية فى حادثة مروعة توفى فيها السائق، أذكر أن الأستاذ زارنى بالمستشفى أكثر من مرة وكان حريصا على تكليف سيارة من المجلة يتنقل بها زملائى أسبوعياً من القاهرة إلى الإسماعيلية ليمضوا معى يوماً كاملاً بالمستشفى هذا الحب الذى لاقيته من رئيسى وزملائى ساعدنى على سرعة الشفاء. كان ضحوكاً وبسيطاً ومحباً هذا هو الأستاذ الكبير رحمه الله فقد كان أستاذاً ومعلماً وأباً للجميع.

همسة

إلى أستاذى

مع حبى واعتزازي

الموت علينا حق.. «والبقية فى حياتى».. والأخير عنوان كتاب لأستاذى أنيس منصور.. الذى كان أستاذًا متميزًا فى فن كتابة العناوين التى تغنيك عن قراءات كثيرة لو درست معانيها.. ولا أنسى يوم خروج الشاه من إيران وعودة الإمام الخومينى وظهر غلاف أكتوبر عليه صورة للشاه وهو يبكى ودمعه تسقط من عينيه وصورة للخومينى وشخص يقّبله.. فكتب الأستاذ تعليقًا مازال فى ذاكرتى.. «دمعة على الخد.. وقبلة على اليد»..

ارتباطى بأستاذى أنيس منصور لم يبدأ بعملى معه بمجلة أكتوبر فى السبعينات ولكن علاقتى معه بدأت قبل ذلك بكثير فى الستينات حين كان بأخبار اليوم عن طريق تلميذه النجيب المرحوم عادل البلك -ابن عمى- وعن طريق أبى رحمه الله مسلم البلك الذى كان الأستاذ أنيس يناديه بـ «عمى مسلم» تقديرًا له.

وعندما قرر الرئيس السادات تخليد نصر أكتوبر.. رأى إصدار جريدة أو مجلة تحمل نفس الاسم؛ ووجد ضالته فى الأستاذ أنيس فهو خير من توكل له هذه المهمة، وحشد لها الأستاذ خيرة أهل الصحافة وكان على رأسهم تلميذه النجيب بأخبار اليوم عادل البلك، واستعان بكتيبة من الشباب الواعد وقتها وهم الآن عُمد المجلة ومنهما اثنان تقلدا منصب رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير الزميلان إسماعيل منتصر ومحسن حسنين. وعند وفاة أبى وقبل أن تظهر نتيجة الليسانس قرر عادل البلك بعد استئذان الأستاذ ضمى لكتيبة أكتوبر.. وقال لى وقتها البلك الكبير: «بقاءك أو خروجك من المجلة مرهون بشخصيتك.. أنا عديتك من الرصيف لباب المجلة». وكان درسا بل الدرس الأول فى حياتى العملية..

ولأستاذى مواقف معى غير عموده اليومى «مواقف» بالأهرام.. فلا أنسى وأنا أحبو على بلاط صاحبة الجلالة ومكتوب بالقلم الرصاص أن جمعنى به لقاء فى حفل عشاء بسفارة تركيا فرأيته هناك واقفًا قامة تعلو كل من حوله، فتقدمت منه على استحياء ومددت يدى للسلام عليه وزادت ضربات قلبى عندما اقتربت منه وتبددت مخاوفى مع ابتسامته الودود وضحكته الأثيرة إلى القلب وهو يقول لى: أهلاً يابلبك.. ويقدمنى لمن معه قائلا: «زميلى الأستاذ أحمد البلبك بمجلة أكتوبر». ولم ينس أن يسألنى: هل أكلت؟.. هل شربت؟ تمتع بوقتك. وأتذكر أنه فى فجر أحد الأيام ارتكبت خطأ بشعًا؛ كنت أراجع كلام صور باب المجتمع الذى كانت تحرره الزميلة العزيزة القديرة سامية على شكرى، وقد تركنا الزميلان الأستاذان محمد سليم عامر رئيس قسم التصحيح ونائبه محمود عنان،وبقيت مع الأستاذ عبدالحكيم طه لليوم الثانى لنراجع مقالة الأستاذ أنيس الذى كان جالسًا وقتها مع الرئيس السادات فى استراحته بجزيرة الفرسان بالإسماعيلية وكان المتبع أن تأخذ سكرتارية الرئاسة المقالة منا ليقرأها الأستاذ للرئيس لتعديل أو إضافة مايراه السادات وبالمرة يراجع الأستاذ الملزمة الأولى. وشاء قدرى أن يقرأ السادات الملزمةويتصفح أوراقها فإذا به تتسمر عيناه أمام صور المجتمع، فتغير وجهه وضغط على البايب فى فمه حتى كاد يكسره ونظر إلى الأستاذ -كما قال لنا الأستاذ بعد ذلك- إيه ياأنيس هى أكتوبر بتجوز جيهان من ورايا؟! فاندهش الأستاذ وبسرعة أخذ يقرأ كلام الصورة التى كانت تجمع جيهان السادات وسوزان مبارك حرم نائب رئيس الجمهورية وقتها.. كل الحكاية سقوط حرف «الواو» منى عند المراجعة.. فظهر الكلام «جيهان السادات حرم حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية». ولم أدر بوقع المصيبة فأنا حديث عهد بالصحافة وبالتصحيح، فاستشاط الأستاذ غضبا واتصل بالمجلة وطلب وقتها من المرحوم الأستاذ عبد العزيز صادق مدير التحرير التحفظ على كل من بالمجلة والتحقيق مع المتسبب فى سقوط «الواو» لحين حضوره فى الصباح، وجاء الصباح.. وجاء معه الأستاذ وانعقد مجلس التحرير، وانكشف المستور، وعُرف أننى صاحب الخطأ، وأخذ البعض يكيل لى الاتهامات وبأن المونتاج والمطبعة يشكوان منى ويجب «رفدى» وسحب الأستاذ ورقة ليكتب قرار «الرفد» وطلب أستاذى محمد

سليم رئيس القسم لسؤاله عنى فأثنى الرجل علىّ؛ فقال الأستاذ: أنا أعرفه وأعرف والده شخصيًا أكثر منك.. ولكن هل تم تعيين البلك؟ فكانت الإجابة: لا.. فضحك الأستاذ أنيس وقال: يبقى نعينه وبعدين نرفده.. وكان هذا درسا تعلمت منه الانتباه والدقة فى كل شيء. كان الأستاذ قريبًا منا؛ كثيرًا ما كان يأخذنا من عناء العمل إلى مأدبة غداء بأحد الفنادق التى كان مديروها يتبارون فى استضافتنا حبًا وتقديرًا له أو بصالة الاجتماعات بالدور العاشر، يوم كانت هناك صالة اجتماعات تضمنا كأسرة واحدة.

إشراقة الفلاح الفصيح

كان لكاتبنا الكبير أنيس منصور - الفلاح ابن المنصورة - أسلوب رشيق مميز لم نجده عند كثير من الكُتّاب والمفكرين المصريين والعرب.. جمع بين الفصاحة والبساطة واعتمد على الإيقاع السريع والجُمل القصيرة التى تحمل كثيراً من الدلالات والمعانى لتوصيل فكرته إلى القارئ فى زمن قليل ونفس قصير.. حتى لا يمل وينصرف عن القراءة..

ومن خلال عملى معه تلميذاً فى مدرسته الصحفية كنت أجد صعوبة فى فك طلاسم خطوط مقالاته.. حيث كان خطه غير واضح وقليلا ما يضع النقاط على الحروف.. ذلك لأنه كانت تشغله الفكرة ويخاف أن تذهب منه فيسجلها بسرعة فى كلمات تشبه الخطوط المتعرجة. ومع ذلك كنا فى قسم التصحيح نتعاون معاً فى الوصول إلى القراءة الصحيحة لهذه الخطوط.. وكانت بساطة الأسلوب الذى يكتب به أستاذنا الراحل يسهّل علينا كثيراً فك طلاسم تلك المتعرجات الكثيرة..

لكن أحياناً ما كانت تعيينا بعض منها ولا يستطيع أحد أن يصل إلى القراءة الصحيحة لهذه الكلمات فيذهب أحدنا إليه فى مكتبه. وعندما كثر ترددنا إليه لهذا السبب قال لنا جملة أحسسنا بها أننا نشاركه فى كتابة المقال: قال إذا لم تفهم العبارة جيداً فاكتبها كما تراها ليفهمها من بعدك.. فأنت أول قارئ لأكتوبر وإن لم تفهم ما أكتبه فلن يفهمه القراء بعد ذلك.. فكنا نجتهد فى حل طلاسم كلماته ونكتبها بما يقربنا من فهمنا ثم نعرضها عليه فيقر منها ما يراه صحيحاً وقريباً من المعنى ويعدل منها ما ابتعدنا فيه عن فكره..

وقد استمتعنا ونحن نعمل معه بكبار الكُتّاب والمفكرين من أمثال إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وفايز حلاوة وجمال حماد ود. عبد العظيم رمضان وغيرهم.. وكان - رحمه الله - مدرسة صحفية متحركة تَخرَّج فيها صحفيون على أعلى مستوى، منهم تلميذه النجيب المرحوم عادل البلك وحاتم نصر فريد

وإسماعيل منتصر ومحسن حسنين وشاركه فى قيادة سفينة أكتوبر الأساتذة محمد عبدالوارث وإبراهيم صالح ومريم روبين ونفيسة عابد وأحمد شاهين وعبد العزيز صادق وسراج ومحمد سليم ومحمود عنان وفخرى فايد وإبراهيم مصبح وإبراهيم المليجى وحامد دنيا وسلامة ومسعود ونصار والتهامى وقابيل وعبدالبارى وأسيمة جانو ومحمد الطويل ومحمد المصرى وسوسن القصبى وهيام ومحمد إبراهيم وألفت نور وألفت الغندور وعبدالعال الحمامصى وفتحى الإبيارى وابتهال غيث وأسامة أيوب ومحمد نجم، والقائمة طويلة من محررين ومخرجين ومصححين ومصورين وطباعين.. إلخ..

رحم الله أستاذنا أنيس منصور الذى اجتمعنا على جمال أسلوبه وبساطته واختلفنا مع بعض آرائه ما بين مؤيد ومتحفظ ومعارض.. لكن يبقى أنيس منصور واحداً من المصريين الذين كانت لهم بصمة مميزة فى فن الكتابة الصحفية والخواطر الحياتية لم ينافسه فيها أحد حتى الآن.

مواقف

نحن أبناء المنصورة عندنا جاليات أجنبية كثيرة ولها مدارسها وكنائسها. ولذلك كان المألوف أن نتكلم ونحن صغار لغات عديدة. وكان الأجانب يعلموننا ويعطوننا مكافآت مالية أيضا. ولذلك تكلمت الفرنسية والايطالية والألمانية صغيرا وكثيرون غيرى. ولم يمض يوم فى حياتى لم أردد فيه هذه الأسماء: جرجس وحنا وكوهين وليفى وجاك وماريان وفيوليت وأرليت. وهى أسماء لزملاء فى المدرسة أو جيران. وكلنا نلعب فى الشارع أو نلتقى فى المكتبة العامة. أو نتجمع فى دكان كوهين الذى يبيع الورنيش والدبابيس والكبريت. ونشارك زميلنا فى البيع أثناء غياب والده. وكذلك الزميل جرجس فأبوه ترزى ويترك لنا المحل ونتولى خدمة الزبائن فى كى الملابس أو تنظيف المحل. لم يحدث أن تساءل أحدنا. ولكن لماذا؟ ولا عندما عرف أبى أو أمى فاستنكر ذلك. وإنما كانت والدتى تراه أخوة ومحبة وسلوكا أخلاقيا سليما. وكانت أمى أيضا تزور زوجات اليهود والمسيحيين وكن يزرنها أيضا. وكنت أرافق أمى إلى المستشفيات تحمل الورد والفواكه إلى طفل مريض أو إلى أمه أو إلى أبيه. والطفل زميلى فى المدرسة وفى إحدى المرات طلبت أمى أن أرتدى ملابس نظيفة قاتمة وأن أقوم بمسح حذائى ونصحتنى أن أجلس فى صمت مهما رأيت وألا أتكلم وكان لابد أن أذهب إلى الكنيسة فقد توفى والد أحد الأصدقاء. ذهبت وجلست فى الصف الأخير ووجهى فى الأرض. وسمعت ولم أكن أعرف ولم أفهم!

وحتى تلك اللحظة لم أعرف معنى أن يكون الإنسان مسيحيا أو يهوديا وما الفرق. ولا معنى أن تقبلنى أم مسيحية أو أم يهودية ولا أن أجدها فى بيتنا أو أن أذهب مع أمى إلى بيت جرجس وبيت كوهين !

أنيس منصور

المصرى اليوم

رحل الكاتب الصحفى الكبير أنيس منصور عن عالمنا، صباح أمس، فى مستشفى الصفا بالمهندسين، عن عمر يناهز ٨٧ عاما، بعد مسيرة طويلة حافلة بالإنجازات الفكرية والأدبية والصحفية. كان «منصور» قد أصيب بالتهاب رئوى حاد وآلام فى الظهر، تم على إثره نقله إلى غرفة العناية المركزة، الأسبوع الماضى، حتى فاضت روحه، ودفن جثمانه فى مدافن والدته بمدينة نصر.

بدأ أنيس منصور حياته العملية مدرساً للفلسفة الحديثة بكلية الآداب جامعة عين شمس، ويعد أحد المفكرين العظماء فى مصر، ثم عمل فى مؤسسة «أخبار اليوم»، وكان مقرباً من الرئيس الراحل أنور السادات، وهو صاحب المقال اليومى الشهير «مواقف» فى جريدة «الأهرام»، كما كان يكتب مقالا فى جريدتى «الشرق الأوسط» و«العالم اليوم» اليوميتين، وامتزجت لديه الصحافة بالفلسفة، حتى أطلق عليه البعض لقب «فيلسوف الصحافة»، كما تلازمت عند الراحل الكبير صفتا «المفكر» و«الصحفى» فوصفه الكثيرون بأنه «يكتب وهو يفكر، ويفكر وهو يكتب»، حيث يمارس الصحافة بعقلية المفكر، ويكتب فى الفلسفة بأسلوب الصحفى.

رأس «منصور» تحرير عدة دوريات منها «هى»، و«آخر ساعة»، و«أكتوبر»، و«العروة الوثقى»، و«كاريكاتير»، كما رأس مجلس إدارة «دار المعارف»، وحصل على جوائز الدولة التشجيعية والتقديرية و«مبارك» فى الآداب، بالإضافة إلى جائزة الإبداع الفكرى لدول العالم الثالث، وجائزة كاتب الأدب العلمى الأول من أكاديمية البحث العلمى. وتميز إنتاجه الفكرى بالغزارة والتنوع والسهولة، إذ كتب فى الفلسفة والعلم والأدب بأسلوب قريب من رجل الشارع، حتى صار أكثر الكُتاب الصحفيين شعبية فى مصر والعالم العربى.

ألّف «منصور» أكثر من ٢٠٠ كتاب، ويعد من رواد أدب الرحلات، وأشهر كتبه فى هذا المجال «حول العالم فى ٢٠٠ يوم»، كما كتب روايات عديدة تحول بعضها إلى أعمال درامية، وألف ١٣ مسرحية، وترجم العديد من الكتب

والأعمال الأدبية، وصُنع له تمثال فى مسقط رأسه بمدينـة المنـصورة محافظـة الدقهلية، إيماناً بما قدمه فى عالم الصحافة والأدب والفكر.

قال الدكتور مصطفى الفقى: «إن منصور كـان جـزءاً عزيـزاً مـن تاريخنـا، وقطعة غالية ومكوناً أساسياً فى فكرنا»، معتبراً رحيله بمثابة طىّ لفصل من حياة مصر الحديثة. ونعت نقابة الصحفيين الكاتب الراحل، واصـفة إيـاه بأنـه أحـد أهم الصحفيين فى التاريخ الحديث، وأعلنت عزمها تنظيم حفل تأبين له عقـب الانتهاء من انتخابات النقابة، وانطلقت دعوات بإطلاق اسمه على بهو النقابة.

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة